

قراءة في الأدلة السلفية

(المجموعة الأولى النصوص الحديثية)

مروان خليفات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«إِنَّمَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلًا قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا
رَوَى عَلَيْهِ بِهِجْتَهُ وَكَانَ رَدَّ الْإِسْلَامَ، اعْتَزَلَ إِلَى
مَا شَاءَ اللَّهُ وَخَرَجَ عَلَى جَارِهِ بِسَيْفِهِ وَرَمَاهُ
بِالشَّرْكِ»^١.

١. مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ١، ص ١٨٧ - ١٨٨، قال: (رواه البزار وإسناده حسن)، ابن كثير في (تفسيره، ج ٢، ص ٢٧٦) وقال: (هذا اسناد جيد).

كلمة المعهد

الحمد لله رب العالمين و صلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين
إن السلفية هي نزعةٌ تسلك طريق الإفراط في التمسك بظواهر الكتاب و السنّة و
تجعل فهم السلف للكتاب و السنّة معياراً لأفكارها و أعمالها، و لا تُطبق أيّ نوعٍ من
التأويل في ظواهر النصوص و إن كانت معارضة للأحكام البديهية و الضرورات العقلية.
و من هذا المنطق فإنّ السلفيين يحملون الصفات الخبرية الواردة في الكتاب و السنّة و
التي يقتضي ظاهرها وجود أعضاء و جوارح لله سبحانه و تعالى على نفس معناها
الظاهري دون أيّ تأويلٍ، فجعلوا له جلّ شأنه يدين و رجلين و وجهاً، لكن غاية ما في
الأمر أنّهم يبرّرون هذه المزاعم بالقول بأننا لا نعرف كيف تكون يدالله تعالى أو رجله إلا
أننا نعتقد بأنّه يتّصف بهكذا أوصاف. أما الدليل الذي يستندون إليه في زعمهم هذا هو
أنّ السلف الصالح قد نفوا وجود أيّ نوعٍ من التأويل أو المجاز في هذا المجال و كانوا
يتمسّكون بظواهر الكتاب و السنّة.

إنّ دراسة و تحليل هذا الزعم نفيّاً و إثباتاً يتطلّب مجالاً آخر، لكنّ الباحث الكريم
الأستاذ مروان خليفات قام في هذه الدراسة بالإجابة عن هذه الأسئلة: لماذا يكون فهم
السلف و استنتاجاتهم حجةً علينا؟ و ما هي الأدلّة التي تثبت حجّية أفكار السلف و
أفعالهم؟

و يتقدّم معهد الحجّ و الزيارة بالتقدير و الشكر الجزيل للأستاذ الباحث مؤلف الكتاب و يسأل الله تعالى أن ينعمه بطول العمر لخدمة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) و أن يكون هذا الأثر نبراساً لطلاب الحقّ و الحقيقة.

معهد الحجّ و الزيارة

فرع الكلام و المعارف

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. مما لا شك فيه أنّ للسلفية - بما تمتلك من امكانيات مادية ومنابر اعلامية - دعوة وتأثيراً على الضعفاء، وقد انخدع بدعوتها الكثير من المسلمين ممن لا يملكون وسائل المعرفة ولا يستطيعون تقييم الأدلة، وكل واحد ممن تأثر بهذه الدعوة سيكون مشروعاً لإنسان ارهابي إن لم يتدارك نفسه، لذا من المهم أن تكون هناك مؤسسات دراسية وإعلامية تُعني بالرد على مغالطاتهم وتبين شبهاتهم وتجيب عنها، وتعيد طرح الإسلام صافياً نقياً بعيداً عن ثقافة العنف والتطرف.

وبحثنا التالي هو في هذا السبيل، وقد ارتأيت تناول موضوع المستندات والأدلة السلفية، فإنّه كلما يجد القارئ للكتب السلفية كتاباً إلا ويحوي مجموعة من النصوص التي يتكئ عليها مؤلف الكتاب ويستدل بها لإيجاد الطمأنينة في نفسه ونفوس القراء ممن ينتمون لمدرسته وليؤكد لهم أنّهم في المسار الصحيح، وهي دعوة لغيره للالتحاق بمنهج.

السؤال الذي يُطرح هنا: ما هي هذه الأدلة التي يروجها السلفيون دائماً؟ وما هو

موقعها في ميزان النقد العلمي الموضوعي؟ هل تمتلك السلفية أدلة صحيحة وصريحة تلزم المسلم باتباع طريقتهما؟ في هذه الأبحاث سنقف على أغلب أدلتهم وقفة تفصيلية، معتمدين أولاً على مبانيهم، ثم على ما يفتح الله به علينا، وهو الموفق لكل خير.

المدخل

معنى السلفية

لغة: قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: سلف، (السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون).^١
وقال الراغب الأصفهاني في المفردات: السلف: المتقدم، قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ (الزخرف: ٥٦) أي معتبراً متقدماً ولفلان سلف كريم: أي آباء متقدمون، جمعه: أسلاف وسلوف....

وجاء في لسان العرب:^٢ سلف: سَلَفَ يَسْلُفُ سَلْفًا وَسُلُوفًا: تَقَدَّمَ... وَالسَّالِفُ: الْمُتَقَدِّمُ، وَالسَّلْفُ وَالسَّلِيفُ وَالسُّلْفَةُ: الْجَمَاعَةُ الْمُتَقَدِّمُونَ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلْفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾، وَيُقْرَأُ: سُلْفًا وَسُلْفًا؛ قَالَ الزَّجَّاجُ: سُلْفًا جَمَعَ سَلِيفٍ أَيْ جَمْعًا قَدْ مَضَى، وَمَنْ قَرَأَ سُلْفًا فَهُوَ جَمَعَ سُلْفَةٍ أَيْ عُصْبَةٍ قَدْ مَضَتْ. وَالتَّسْلِيفُ: التَّقْدِيمُ؛ وَقَالَ الْفَرَّاءُ: يَقُولُ جَعَلْنَاهُمْ سَلْفًا مُتَقَدِّمِينَ لِيَتَعَطَّ بِهِمُ الْآخِرُونَ، اللَّيْثُ: الْأُمَمُ السَّالِفَةُ الْمَاضِيَةُ أَمَامَ الْغَابِرَةِ وَتُجْمَعُ سَوَالِفٌ؛ وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ:

١. معجم مقاييس اللغة، مادة سلف.

٢. لابن منظور، ج ٩، ص ١٥٨.

وَلَا قَتُّ مَنَائِمِهَا الْقُرُونُ السَّوَالِفُ كَذَلِكَ تَلَقَّاهَا الْقُرُونُ الْخَوَالِفُ
 الجوهري: سَلَفٌ يَسْلُفُ سَلْفًا مِثَالُ طَلَبٍ يَطْلُبُ طَلْبًا أَيْ مَضَى. وَالْقَوْمُ السُّلَافُ:
 الْمُتَقَدِّمُونَ.

اصطلاحاً: وضح المعنى الاصطلاحي للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء،
 فقالوا: السلفية: نسبة إلى السلف، والسلف: هم صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
 وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى (رضي الله عنهم) الذين شهد لهم رسول
 الله (صلى الله عليه وسلم) بالخير في قوله: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين
 يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»، رواه الإمام أحمد في
 مسنده والبخاري ومسلم.

والسلفيون: جمع سلفي نسبة إلى السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا
 على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنة والدعوة إليهما والعمل بهما، فكانوا
 بذلك أهل السنة والجماعة. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله
 وصحبه وسلم.^١

وأما في معنى الدعوة السلفية، قالت اللجنة: الدعوة السلفية هي: الدعوة إلى ما
 كان عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه (رضي الله عنهم) وأتباعهم بإحسان،
 بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، مع جهاد نفسه على العمل
 بما يدعو إليه.

نستنتج مما ذكر أن السلفية هي منهج في فهم الإسلام من خلال فهم الصحابة
 والتابعين والسلف الصالح له، لأنهم أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم وأقدر من غيرهم على فهم النصوص الإسلامية.

١. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، أحمد بن عبد الرزاق الدويش، ج ٢، صص ١٦٥ و ١٦٦.

لمحة عن السلفية

السلفية هي فرقة تذهب إلى قراءة الإسلام من خلال الرجوع للكتاب والسنة استناداً إلى السلف، وقد بدأت تبلور هذه المدرسة على يد إمامهم أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ ق)، وبعد موت ابن حنبل بمدة تبلور منهج كلامي جديد مخالف لطريقة أهل الحديث، وهو المنهج الأشعري على يد أبي الحسن الأشعري، وخاض صراعات شديدة مع الفرق الإسلامية، ولا زالت مدرسة أهل السنة تتمثل بهذين المنهجين إلى يومنا هذا. إن أغلب عقائد السلفية المعاصرة تنسب لابن حنبل بالرغم من مخالفته لهم في قضايا عديدة.

وبعد عصر ابن حنبل جاء ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ ق) وقد كان من أكثر المتحمسين والمنظرين للمنهج السلفي، ولم يستطع نشر أفكاره بالصورة التي أرادها لما واجهه من ردود أفعال من قبل العلماء في وقته، وبعد وفاته نشر بعض تلاميذه أفكاره، وبوفاتهم خبت تلك الأفكار قرون عديدة إلى أن جاء محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ ق) وأحيها من جديد، وما زالت هذه المدرسة موجودة، خاصة في نجد وما حولها، وهم يحاولون بشتى الطرق بثّ دعوتهم في شتى أنحاء العالم، وقد ساعدتهم الدعم الحكومي كثيراً على إنشاء جامعات ومراكز في شتى أنحاء العالم، ومن أسمائهم التي يكرهونها (الوهابية)، وقد أطلق هذه التسمية عليهم سليمان بن عبد الوهاب، أطلقها على أخيه محمد حين ألف كتاباً في الردّ عليه أسماه: الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية.

كذلك يكرهون تسمية خصومهم لهم بالمشبهة والمجسمة، ومن أسمائهم الأخرى التي يجذبونها السلفية، أهل الحديث، أهل الأثر، أهل المدرسة النصية وغيرها.^١

١. وقد واجه علماء الإسلام من مختلف الفرق والمذاهب الدعوة السلفية الوهابية وما زالوا يفعلون، وقد جمع كتبهم الشيخ عبدالله محمد علي في كتابه (معجم المؤلفات الإسلامية في الردّ على الفرقة الوهابية) وتجاوز عدد الذين نقضوا الفكر الوهابي الف وثمانمائة مؤلف.

إنَّ أهمَّ ما يميز الدعوة السلفية:

١. انكار المجاز في القرآن^١.

٢. إمرار الصفات الإلهية على ظاهرها.

وهذا أدى بهم إلى نسبة الجسمية لله بالرغم من عدم اعترافهم بهذا، وهم يحاربون التوسل بالأموات من الأنبياء والأولياء ويتهمون فاعل ذلك بالشرك، وكذلك يمنعون الاستغاثة والتبرك ويكفرون من يفعل ذلك من المسلمين.

ويمتاز السلفيون بالعنف والتطرف، ولا مانع عندهم من قتل الناس الأبرياء من أطفال ونساء لأجل تحقيق أهدافهم، خاصة إذا كانوا من شيعة أهل البيت (عليهم السلام). ولهذا التطرف أسبابه السياسية والفقهية، إذ إنَّ كبار علماء هذا التيار يخضعون لما يمليه عليهم الساسة، كما أنَّ الفقه الإسلامي ملئٌ، بكثير من نصوص التكفير والقتل واقامة الحد على البعض سواء تابوا أم لم يتوبوا، ولأنَّ ديننا هو دين الحوار والمنطق لا دين الإرهاب والقمع فقد كتبت هذه البحوث راجياً الخير فيها للمسلمين ممن ينتمون لديننا الحنيف، وممن ينتمون للدعوة السلفية خاصة.^٢

١. ولازم هذا الانكار الوقوع في مطبات عديدة، فالقرآن نزل بلغة العرب، والمجاز مستخدم بكثرة في اللغة، وعلى مقولتهم بإنكار المجاز سيثبت وجود يدين للقرآن من قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت، ٤٢). ويلزم القول أن الله ينسى ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (الجاثية: ٣٤) وعليه سيثبت وجود جناح للذل من خلال قوله تعالى: ﴿وَ أَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (الإسراء، ٢٤).

٢. ليس الهدف في هذا الكتاب مناقشة هذه الأفكار، ولكن ينبغي القول إنَّ المسلمين بجميع طوائفهم وعلى مدى قرون عديدة كانوا يزورون القبور ويتوسلون بالأموات ويتبركون بأولياء الله ويستغيثون بالصالحين، وهذا اجماع، والأمة لا تجتمع على ضلال، وقد استمرت سيرة المسلمين على هذا النحو، إلى أن جاء ابن تيمية وحارب هذه الأمور، ولاقت دعوته رواجاً في العصر الحديث ممن ينتمون لمدرسته، وقد أفردنا فصولاً عديدة في كتاب (وركبت السفينة)، حول السلفية.

الفصل الأول:

النصوص الحديثة

الحديث الأول: خير القرون قرني

أخرج البخاري عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...»^١.

وفي صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم عن عبد الله عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^٢.

المستدلون بالحديث

وقد استدلّ بهذا الحديث:

- ١- ابن تيمية، حيث قال: «وإنما دين الله ما بعث به رسله، وأنزل به كتبه وهو الصراط المستقيم، وهو طريقة أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خير القرون وأفضل الأمة»^٣.
- ٢- ابن القيم، قال بعد ذكره للحديث: «فأخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أنّ خير القرون قرنه مطلقاً وذلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبواب الخير»^٤.

١. كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي، ج ٤، ص ١٨٩.

٢. صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٨٤.

٣. مجموعة الفتاوى، ج ٣، ص ٨٥، واستدل بالحديث في، ج ٤، ص ٢٦٤ و ج ١٠، ص ٤٩ من الكتاب نفسه؛ منهاج السنة،

ج ٢، ص ٣٥.

٤. إعلام الموقعين، ج ٤، ص ١٣٦.

٣- الشوكاني، قال: «وَأَنَّ الْحَقَّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا شَبْهَةَ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ خَيْرَ الْقُرُونِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^١.

معنى القرن

اختلف العلماء في تفسيره، فبعد أن ذكر النووي الاختلاف في معناه، قال في شرحه على مسلم، ج ١٦، ص ٨٤: «والصحيح أنَّ قرنه (صلى الله عليه وسلم) الصحابة والثاني التابعون والثالث تابعوهم».

وقال ابن حجر: ^٢ «وقد وقع في حديث عبدالله بن بسر عند مسلم ما يدلُّ على أنَّ القرن مائة وهو المشهور».

الملاحظ على نص الحديث الاطلاق في أفضلية القرون الثلاثة المذكورة على سائر القرون، فكيف نفضل عصر الصحابة أو التابعين مثلاً على سائر العصور السابقة وفيها أنبياء من أولي العزم وغيرهم من الرسل والصدّيقين والصالحين؟!

نصوص معارضة

استنبط معظم العلماء من الحديث المذكور أفضلية الناس في تلك القرون على غيرهم، لكنَّ ابن حجر قال: ^٣ «لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد، محل بحث وإلى الثاني نحا الجمهور».

هذا الحديث تعارضه آيات قرآنية وأحاديث كثيرة، وإذا تعارض نص قطعي مع ظني قُدِّم القطعي. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ

١. التحف في مذاهب السلف، ص ٥؛ واستدل بالحديث ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٣، ص ٧٣؛ ابن أبي العز الحنفي في (شرح العقيدة الطحاوية)، ص ٤٦٩ وغيرهم الكثير.

٢. فتح الباري، ج ٧، ص ٤.

٣. مصدر السابق.

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (المائدة، ٥٤).

فهذا خطاب للصحابة قبل غيرهم، وهو يدل على وجود من هم أفضل منهم في عصور لاحقة، وهو نص يدل على جواز الارتداد من قبل أولئك الذين كانوا مؤمنين، كما يدل عليه السياق القرآني.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٨)

وهو نص صريح يثبت وجود من هم أفضل من الصحابة.

أما الأحاديث فهي عديدة وبعضها يعارض هذا الحديث معارضة صريحة ويتفق مع روح الإسلام في أن الفضل بالعمل الصالح وليس بالصحبة.

عن أنس بن مالك عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أو آخره»^١.

قال ابن حجر^٢ واحتج ابن عبد البر بحديث: «مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره» وهو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة.

وقال الهيثمي^٣: «رواه أحمد والبزاز والطبراني ورجال البزاز رجال الصحيح غير الحسن بن قزعة وعبيد بن سليمان الأغر وهما ثقتان وفي عبيد خلاف لا يضر».

وصحح الحديث المحقق حسن السقاف^٤.

فحال أمته (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره، ولو كان قرن

١. مسند احمد، ج ٣، ص ١٣٠ و ج ٤، ص ٣١٩؛ سنن الترمذي كتاب الأمثال، حديث رقم: ٢٨٦٩؛ المعجم الأوسط،

الطبراني، ج ٤، ص ٢٣١؛ مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، ص ٩٠؛ مسند أبي يعلى الموصلي،

ج ٨، ص ١٤٣؛ المحدث الفاصل، ج ١، ص ٢٩٠؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ٤٣، ص ١٦.

٢. فتح الباري، ج ٧، ص ٥.

٣. مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ٦٨.

٤. صحيح شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢١٤.

الصحابة أفضل من قرن غيرهم لبين ذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث «إن مثل أمتي مثل المطر...».

وفي الحديث التالي تأكيد لما نذهب إليه: روى أحمد من حديث أبي جمعة: «قال تغدينا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعنا أبو عبيدة بن الجراح قال فقال: يا رسول الله هل أحد خير منا أسلمنا معك وجاهدنا معك قال: نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني»^١.

ومن حديث أبي جمعة وكانت له صحبة، قال: قلنا يا رسول الله هل أحد خير منا؟ قال: «قوم يجيئون من بعدكم فيجدون كتاباً بين لوحين يؤمنون بما فيه ويؤمنون بي ولم يروني ويصدقون بما جئت به ويعملون به فهم خير منكم».

قال ابن عبد البر: «وهذا الحديث رواه حمزة بن ربيعة عن مرزوق عن نافع عن صالح بن جبير عن أبي جمعة وكلهم ثقات»^٢.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد^٣ رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بأسانيد، وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات.

وحسنه ابن حجر في فتح الباري^٤.

وقال ابن عبد البر: «فقد أخبر (صلى الله عليه وآله وسلم) أن في آخر أمته من هو خير من بعض من صحبه»^٥.

فالنص يصرح بوجود من هم خير وأفضل من صحابة رسول الله الذين أسلموا

١. مسند أحمد، ج ٤، ص ١٠٦.

٢. الاستذكار، ج ١، صص ١٨٧-١٨٩ وروى في، المستدرک، ج ٤، صص ٨٥ و ٨٦ وصححه، وكذا الذهبي؛ سنن الدارمي،

ج ٢، ص ٣٠٨.

٣. ج ١٠، ص ٦٦.

٤. ج ٧، ص ٥ و ٦.

٥. الاستذكار، ج ٢، ص ١٧٢.

وجاهدوا معه، بل ينص على وجود من هم أفضل من أبي عبيدة الذي اعتبروه من العشرة المبشرين بالجنة!

وهذا نص آخر صريح: «عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير قال: لما اشتد خوف أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) على من أصيب مع زيد يوم مؤتة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليدركن المسيح من هذه الأمة أقوماً إنهم لمثلكم أو خير (ثلاث مرات) ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها»^١.

فأصحاب المسيح مثل الصحابة أو خير منهم، وذكر ذلك ثلاث مرات تأكيداً لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنهم خير.

وعن أبي أمامة أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «طوبى لمن رآني فأمن بي، وطوبى سبع مرات لمن لم يرنني وآمن بي»^٢.

وروى الحاكم وصححه عن عمر قال: كنت مع النبي (صلى الله عليه وآله) جالساً فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أتدرون أي أهل الايمان أفضل ايماناً؟». قالوا: يا رسول الله الملائكة، قال: «هم كذلك ويحقّ ذلك لهم وما يمنعهم وقد أنزلم الله المنزلة التي أنزلم بها، بل غيرهم»، قالوا: يا رسول الله فالأنبياء الذين أكرمهم الله تعالى بالنبوة والرسالة؟ قال: «هم كذلك، ويحقّ لهم ذلك وما يمنعهم وقد أنزلم الله المنزلة التي أنزلم بها، بل غيرهم»، قال قلنا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «أقوام يأتون من بعد في أصلاب الرجال فيؤمنون بي ولم يروني ويجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهو لاء أفضل أهل الايمان ايماناً»^٣.

وفي رواية الطبراني قالوا: فأصحابك يا رسول الله؟ قال: «كيف لا يؤمن أصحابي وهم

١. المصنف، ابن أبي شيبة الكوفي، ج ٤، ص ٥٦٧؛ وحسنه ابن حجر فى فتح الباري، ج ٧، ص ٥؛ والشوكاني فى نيل الأوطار، ج ٩، ص ٢٢٩.

٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ج ٣، ص ٢٤٤، رقم الحديث ١٢٤١.

٣. المستدرک، ج ٤، صص ٨٥ و ٨٦؛ وحسنه الهيتمي فى مجمع الزوائد؛ مسند أبي يعلى، ج ١، ص ١٤٧.

يرون ما يرون، ولكن أعجب الناس إيماناً قوم يحيؤون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ويصدقوني ولم يروني، أولئك إخواني»^١.

فليس الصحابة أفضل إيماناً من غيرهم، بل الأفضل إيماناً هم أقوام في أصلاب الرجال يؤمنون بالمصطفى ولم يروه، وهذا وحده كافٍ لنقض معنى حديث خير القرون الذي تبناه الجمهور.

وقد كان حذيفة يغبط التابعين إذ آمنوا بالنبي ولم يلقوه، روى ابن عساكر عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب أن رجلاً قال لحذيفة: نشكو إلى الله صحبتكم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنكم أدركتموه ولم ندركه ورأيتموه ولم نره! فقال حذيفة: ونحن نشكو إلى الله عز وجل إيمانكم به ولم تروه والله لو تدري يا ابن أخي لو أدركته كيف يكون، لقد رأيتنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليلة الخندق في ليلة باردة مطيرة وقد نزل أبو سفيان وأصحابه بالعرضة فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم أدخله الله الجنة؟» ثم قال: «من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيق إبراهيم في الجنة يوم القيامة؟»، فوالله ما قام منا أحد. فقال: «من رجل يذهب فيعلم لنا علم القوم جعله الله رفيق يوم القيامة؟»، فوالله ما قام منا أحد، فقال أبو بكر: يا رسول الله إبعث حذيفة، فقلت: دونك والله، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «يا حذيفة»، فقلت: لبيك بأبي أنت وأمي، فقال: «هل أنت ذاهب؟» فقلت: والله ما لي أن أقتل ولكن أخشى أن أؤسر، فقال: إنك لن تؤسر»، فقلت: مرني يا رسول الله ما شئت^٢.

وروى الحاكم عن عبدالرحمن بن يزيد قال: ذكروا عند عبدالله أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) وإيمانهم، قال: فقال عبدالله إن أمر محمد كان بيناً لمن رآه، والذي لا

١. المعجم الكبير، ج ١٢، صص ٦٨ و ٦٩.

٢. تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٣، ص ٤٤٤.

إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمانٍ بغيبيٍّ، ثم قرأ: ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ إلى قوله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^١

فهذا عبدالله بن مسعود يوضح لنا المسألة بما يتفق مع القرآن.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا»، قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟! قال: «أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»^٢.
فإخوانه لم يأتوا بعد، ولا شكّ في أنّ صفة الأخوة أفضل من صفة الصحبة التي جعلها لهم.

إذن، هناك آيات وأحاديث كثيرة تعارض حديث خير القرون، ولو افترضنا امكانية الجمع بين بعض الأحاديث وحديث خير القرون، فتبقى الآيات اللتان عرضتهما هما الفيصل وتقدمهما، لأنّ النص القرآني قطعي الثبوت، وعليه يسقط حديث خير القرون. لقد ذكر ابن عبد البر أنّ بعض الأجلء من العلماء قد عارضوا حديث خير القرون، قال: وقد عارض بعض الجلّة من العلماء قوله (صلى الله عليه وسلم): «خير الناس قرني» بقوله (عليه السلام): «خير الناس من طال عمره وحسن عمله»^٣.

وليت ابن عبد البرّ ذكر أسماء هؤلاء العلماء! فكلامه يكشف لنا وجود خلاف قديم حول هذا الحديث.

لا شكّ في أنّ الإيمان بالنبي - مع عدم رؤيته - والثبات على دين الله مع كثرة الفتنة وتكالب الأعداء هو أفضل بكثيرٍ من إيمان أولئك الذين رأوا المعجزات بأعينهم، فكان

١. المستدرک، ج ٢، ص ٢٦٠ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وراجع تفسير ابن أبي حاتم، ج ١، ص ٣٦؛ وقد التزم ابن أبي حاتم في تفسيره الاعتماد على أصحّ الأسانيد. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤٤.

٢. صحيح مسلم، ج ١، صص ١٥٠ و ١٥١.

٣. التمهيد، ج ٢٠، ص ٢٥٢؛ والحديث المذكور، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم الحديث: ٣٣٦٤.

يكفيهم وجود المصطفى بينهم، يستقبلون أنواره ويزيل حيرتهم.

أليس من الاجحاف أن نفضل هؤلاء — بالرغم مما اقترفوه — على أناس مؤمنين قابضين على دينهم كقبضهم على الجمر؟!

في عمق الحديث

بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ارتد كثيرٌ من الناس، وقتل مالك بن نويرة وقومه بواسطة المسلمين، وفي هذا القرن تم اغتيال عمر بن الخطاب، حدثت فتنة بين عثمان والصحابة أدت إلى قتله بأيديهم. وما إن قام عليٌّ (عليه السلام) بالأمر حتى نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون. فقتل في حرب الجمل قرابة ثلاثين ألف نفس — في خير القرون! وقتل في صفين قرابة مائة ألف نفس — في خير القرون! ثم كانت النهروان فقتل الآلاف فيها — في خير القرون! وكل هذه الحروب بين أهل القرن المشهود لهم بالفضل!!

وفي هذا القرن قتل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وسُم ابنه الحسن (عليه السلام) وقتل العديد من الصحابة الأجلاء على يد معاوية. وكل هذا الشر المتدفق كان في خير القرون!! وفي خير القرون كانت المصيبة العظمى، ألا وهي قتل الحسين (عليه السلام) وأهل بيته في كربلاء، حتى إن الرّضع حصلوا على نصيب من هذه الأفضلية المزعومة!! فكان نصيب رضيع الحسين سهماً في نحره. بعد ذلك حمل رأس الحسين على رمح من كربلاء إلى الشام.

رُوي في طبقات ابن سعد بسنده إلى المنهال أنه قال: دخلت على علي بن الحسين، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ فقال: «ما كنت أرى شيخاً من أهل مصر مثلك، لا يدري كيف أصبحنا، فأما إذ لم تدر أو تعلم فأنا أخبرك؛ أصبحنا في قومنا بمنزلة بنى إسرائيل في آل فرعون!! إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرب إلى عدونا بشتمه أو سبه على المنابر، وأصبحت قريش تعدّ أنّ لها الفضل

على العرب لأنّ محمداً منها لا يعدّها لها فضل إلا به، وأصبحت العرب مُقرّة لهم بذلك، فلئن كانت العرب صدقت أنّ لها الفضل على العجم، وصدقت قريش أنّ لها الفضل على العرب لأنّ محمداً منها، إنّ لنا أهل البيت الفضل على قريش لأنّ محمداً منّا، فأصبحوا يأخذون بحقنا ولا يأخذون لنا حقاً، فهكذا أصبحنا إذا لم تعلم كيف أصبحنا»^١.

وفي خير القرون أصبحت نساء بيت النبوة وموضع الرسالة أسارى. وفيها استبيحت مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثة أيام لجيش يزيد، وافتضت ألف بكر من بنات الصحابة! وذبح الأطفال والشيوخ، وضربت الكعبة بالمنجنيق حتى هدمت. فهل رأيت مثل هذا الشرّ في خير القرون؟!

فهل المطلوب منّا تعظيم تلك القرون بكلّ ما فيها من مأس؟! أم هل ينبغي لنا الاقتداء بأهل تلك القرون وبكلّ ما فعلوه؟!

ويوضح لنا الصحابي أنس بن مالك حال القرن الأول بقوله: لو أنّ رجلاً أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الاسلام شيئاً.^٢

فكيف يكون حال القرن الثاني والثالث؟!

وقال مالك: وبلغني أنّ أبا هريرة تلى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ × وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ فقال: والذي نفسي بيده أنّ الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً.^٣

ولو افترضنا صحة الحديث، فلا بد من فهمه من خلال معطيات وقرائن عديدة، والنصوص تفسر بعضها .

١. الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ١١٣.

٢. الاعتصام، للشاطبي، ج ١، ص ٢٦.

٣. مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، ص ٣٢٢، محمد بن عبد الوهاب، الدرر السننية في الأجوبة النجدية، علماء نجد

ولابن عبد البرّ كلام لطيف في هذا المورد، حيث قال: والذي يصح عندي - والله أعلم - في قوله «خير الناس قرني» أنّه خرج على العموم ومعناه الخصوص بالدلائل الواضحة في أنّ قرنه - والله أعلم - فيه الكفار والفجار كما أنّ فيه الأخيار والأشرار، وكان فيه المنافقون والفسّاق والزناة والسراق، كما كان فيه الصديقون والشهداء والفضلاء والعلماء؛ فالمعنى على هذا كله عندنا أنّ قوله - عليه السلام - «خير الناس قرني» أي خير الناس في قرني.^١

ولعل ما يؤيد فهم ابن عبد البرّ هو قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «خير الناس القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث» وفي رواية: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».^٢

وهذا المعنى صحيح، ففي مقدمة خير الناس في تلك القرون هو المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم عليّ الذي هو بمنزلة نفس النبي بنصّ القرآن، ثم فاطمة سيدة نساء العالمين، ثم بقية أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عدول القرآن وهداة الانسان، وكفاهم فخراً أنّهم لا يفترون عن القرآن كما نصّ عليه الحديث الصحيح؛ هؤلاء في المرتبة الأولى ثم يأتي بعدهم من ذوى الفضل.

فكانت تلك القرون بحقّ هي خير القرون، بمعنى أنّ خير الناس كانوا فيها، ولا أستبعد القول إنّ أسوأ الناس كانوا فيها!

إنّ فهم ابن عبد البرّ للحديث قريب من فهم أبي الصلاح الحلبي، حيث قال: «أما ما رووه أولاً، فإنّ قوله (عليه السلام): «خير القرون القرن الذي أنا فيه ثم الذين يلونهم»، فدلالة على كثرة الأخيار في المذكورين دون جميعهم، كقول القائل: بنو فلان خير من بنى فلان

١. الاستذكار، ج ١، ص ١٩٠.

٢. صحيح الجامع، للألباني حديث رقم: ٣٢٨٨ وحديث رقم ٤٢٩٤.

وبنو فلان أشجع من بنى فلان، لا يفيد كلام هذا إلا ما ذكرناه من كثرة الأخيار والشجعان في إحدى القبيلتين على الأخرى، يؤكد ذلك خروج أكثرهم عن هذه السمة باتفاق. ولحصول العلم الضروري بوجود أعيان تابعين أفضل من صحابة، وتابعهم أفضل منهم، ومعاصرين لنا أفضل من كثير من الصحابة»^١.

إنّ الأفضلية تكون باعتبار المجموع وليست باعتبار الأفراد، فليس معنى قولنا: العرب حملوا رسالة الإسلام، أنّ كلّ واحد منهم حملها، بل أنّ هناك من وقف في وجهها وحاربها وقتل المؤمنين بها. فكذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «خير الناس قرني»، ليس نصّاً في الأفراد، حتى نجمد عليه^٢.

والأفضلية في الحديث كالأفضلية في قول الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. فهى في الحديث مقرونة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقرآن والسنة يفسر أحدهما الآخر.

دلالة الحديث

المحور الأهم في البحث هو: كيف يخدم نص «خير القرون» السلفيين؟ وكيف صاغوه دليلاً يؤيد دعوتهم؟

يمكن الاجابة عن هذين السؤالين من خلال عبارة الشوكاني التي مرت بنا، ورأيت العديدين يكررون هذا المعنى.

قال الشوكاني: «وأنّ الحقّ الذي لا شكّ فيه ولا شبهة، هو ما كان عليه خير القرون، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»^٣.

١. تقريب المعارف، ص ٣٩٥.

٢. شبهات حول الشيعة، عباس الموسوي، ١١٦.

٣. التحف في مذاهب السلف، ص ٥.

وإنَّ الحقَّ الذي لا شكَّ فيه ولا شبهة أنَّ هذا الكلام عائم، لأنَّ أهل هذه القرون الثلاثة المذكورة لم يكونوا على أمر واحد في الدين! فاختلافهم في الفقه لا يخفى على أحد، لدرجة أنَّ بعض الباحثين ألفوا موسوعات فقهية خاصة لبعض السلف. واختلاف أهل تلك القرون في العقيدة أوضح، فمن المعلوم ظهور المدارس الكلامية كالخوارج والمرجئة والمعتزلة في تلك القرون، وكذا الشيعة الذين يسميهم البعض بالروافض من أهل تلك القرون.

فهل من الممكن أن نكون على ما كان عليه هؤلاء جميعاً؟!

إذن الحديث لا يصحَّ لأن يكون دليلاً للسلفية. فإنَّ خصَّصوه بفئة معينة ممن كانوا في تلك القرون، فقد أثبتوا عدم دلالة الحديث على ما يذهبون إليه واحتاجوا إلى نصوص أخرى تبين وتوضح ما يريدون. وهذا الضعف في الاحتجاج بالحديث وحده كافٍ لطرحة جانباً!

الحديث الثاني: ما أنا عليه وأصحابي

ورد حديث الافتراق في العديد من مصادر الحديث دون تحديد الناجية، وفي بعض الروايات حددها بالجماعة أو السواد الأعظم، ومرة حددها «بما أنا عليه وأصحابي»، وأكثر استدلالات السلفية بالنص الأخير، وعليه يكون بحثنا هذا بغضَّ النظر عن صحة حديث الافتراق من عدمه.

روى الترمذي: حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود الحفري عن سفيان عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي عن عبدالله بن يزيد عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك. وإنَّ بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قال من

هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».^١

وفي لفظ المستدرک: فقيل له: ما الواحدة؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي».^٢

الذين استدلّوا بالحديث

استدل بهذا الحديث كثير من أئمة السلف وعلمائهم على أنّهم هم الناجون، منهم:

١- عبدالغني المقدسي في كتاب الصفات المطبوع في «عقائد أئمة السلف»، ص ١٣١.

٢- ابن القيم في «مختصر الصواعق المرسلّة»، ج ٢، ص ٥١٦.

٣- ابن أبي العز الحنفى في «شرح العقيدة الطحاوية»، ص ٢٦٠.

٤- محمد بن عبد الوهاب في «أصول الايمان» وقال: رواه البخاري وهو خطأ منه.

٥- ابن باز في «العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام»، ص ٢١.

٦- الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود في «موقف ابن تيمية من الأشاعرة»،

ج ١، ص ٢٨.

٧- «اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» - جمع وترتيب الشيخ أحمد بن

عبدالرزاق الدويش، ج ٢، ص ١٥٨.

وفي تخريجه أحالوا إلى مسند أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجه والحاكم والآجری في الشريعة، مع العلم أنّه لم يرد الحديث بهذه الصيغة إلا عند الحاكم والترمذي والآجری!

قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: «الفرقة الناجية قد بينها رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) في بعض روايات الحديث المتقدم بصفاتها ومميزاتها في جوابه

١. سنن الترمذي، ج ٤، ص ١٣٥.

٢. المستدرک على الصحيحين، كتاب العلم، ج ١، ص ١٢٩.

على سؤال أصحابه: من الفرقة الناجية؟ حيث قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» فوصفها بأنها هي التي تسير في عقيدتها وقولها وعملها وأخلاقها على ما كان عليه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وما كان عليه الصحابة (رضي الله عنهم).^١

٧- أحمد سلام في كتابه «ما أنا عليه وأصحابي»: قال: وهذا الحديث «ما أنا عليه وأصحابي» أصل من الأصول.

وقال أيضاً: «تفيد هذه الجملة الهامة من الحديث أنّ مسلك الفرقة الناجية من بين الفرق المتفرقة قائم بالدرجة الأولى على اتباع سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع قرينة هامة، وهى اتباع ما كان عليه الصحابة (رضي الله عنهم)، وبهذه القرينة النبوية يصبح اتباع ما كان عليه الصحابة من اتباع الرسول (صلى الله عليه وسلم) فمن سلك سبيلهم ونهج منهجهم فهو أولى الناس بالنبي (صلى الله عليه وسلم)».^٢

٨- الدكتور محمد با كريم محمد با عبد الله، حيث قال بعد ذكره للحديث: «وهذا الوصف لا ينطبق إلا على أهل الحديث والسنة فإنهم هم الذين ما كان عليه النبي وأصحابه، فهم الفرقة الناجية ولهذا قال الامام أحمد بن حنبل - وقد ذكر حديث الافتراق - إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم».^٣

٩- أما ابن تيمية فقد استدلل به كثيراً في كتبه، فعندما سئل عن حديث الافتراق قال: الحمد لله الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد... وفي رواية قالوا: يا رسول الله، من الفرقة الناجية؟ قال: «ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».^٤

ووجه الاستدلال: أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أخبر أنّ الفرقة الناجية هي ما كان عليه هو

١. فتاوى اللجنة الدائمة، ج ٢، صص ١٥١ و ١٥٢.

٢. انظر كتابه ما أنا عليه وأصحابي، صص ٥٠ و ٥١.

٣. وسطية أهل السنة، ص ١٢١.

٤. مجموعة الفتاوى، ج ٣، ص ٢١٥.

وأصحابه لا توجد فرقة على ما كان عليه النبي وأصحابه إلا السلفية.

أسانيد الحديث

روى هذا الحديث الترمذي، فقال: حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود الحفري عن سفيان عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي عن عبدالله بن يزيد عن عبدالله بن عمرو: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك. وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قال من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

وعلة هذا السند عبد الرحمن بن زياد الإفريقي.

قال الحافظ المزني فيه: «قال أبو موسى محمد بن المثنى: ما سمعت يحيى ولا عبدالرحمن يحدثان عن سفيان عنه. وقال عمرو بن علي: كان يحيى لا يحدث عنه... وقال علي بن المديني: سألت يحيى بن سعيد عنه. فقال: سألت هشام بن عروة عنه، فقال: دعنا منه، حديثه حديث مشرقى».

وقال في موضع آخر: «سمعت يحيى يقول: حدثت هشام بن عروة عن الإفريقي. عن ابن عمر في الوضوء. فقال: هذا حديث مشرقى، وضعف يحيى الإفريقي».

وقال محمد بن يزيد المستملي: «سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: أما الإفريقي، فما ينبغي أن يروى عنه حديث».

وقال أبو طالب، عن أحمد بن حنبل: ليس بشئ وقال أحمد بن الحسن الترمذي وغيره، عن أحمد بن حنبل: لا أكتب حديثه.

وقال أبو بكر المروزي عن أحمد بن حنبل: منكر الحديث وقال أبو بكر بن أبي خيثمة، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن يحيى بن معين: ضعيف. زاد محمد عن

يحيى: ويكتب حديثه، وإنما أنكر عليه الأحاديث الغرائب التي يحيى بها.

وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين: «ليس به بأس، وهو ضعيف، وهو أحبّ إلى من أبي بكر بن أبي مريم الغساني» وقال على بن المديني: «كان أصحابنا يضعفونه، وأنكر أصحابنا عليه أحاديث تفرد بها لا تعرف» وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: غير محمود في الحديث.

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: «سألت أبي وأبا زرعة عن الإفريقي وابن لهيعة أيهما أحب إليكما؟ قالوا: جميعاً ضعيفين وأشبههما الإفريقي. بين الإفريقي وابن لهيعة كثير». وقال صالح بن محمد البغدادي: منكر الحديث، ولكن كان رجلاً صالحاً.

وقال الترمذي: ضعيف عند أهل الحديث، ضعفه يحيى القطان وغيره، ورأيت محمد ابن إسماعيل يقوي أمره، ويقول: هو مقارب الحديث.

وقال النسائي: ضعيف وقال أبو بكر بن خزيمة: لا يحتج به وقال ابن خراش: متروك وقال زكريا بن يحيى الساجي: فيه ضعف وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات ويدلس عن محمد بن سعيد المصلوب.

هذا حال الإفريقي وأعرضنا عن أقوال بعض من وثّقه، لأنها لا تقدّم ولا تؤخّر في حال الرجل، وهذا ابن حجر يعطى خلاصة رأيه به، حيث قال: والحقّ فيه أنّه ضعيف لكثرة روايته المنكرات وهو أمر يعترى الصالحين^١.

وقد أدرج العلماء الإفريقي في كتب الضعفاء والمتروكين، منهم: ابن عدى في الكامل في ضعفاء الرجال، ١٥٩/٤ و العقيلي في الضعفاء الكبير، ٣٣٢/٢ - ٣٣٣، الدارقطني: في الضعفاء والمتروكين ص ١١٩، قال الألباني حين ذكر حديثاً فيه الإفريقي: «وهذا إسناد ضعيف من أجل عبدالرحمن، وهو ابن زياد بن أنعم الإفريقي،

وهو ضعيف لسوء حفظه»^١.

قال محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه وتعليقه على أحد الأحاديث التي فيها الإفريقي: «مدار الحديث على عبدالرحمن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف. ومع ضعفه كان يدلس»^٢.

قال المباركفوري بعد شرحه لحديث الترمذي: «فى سنده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف»^٣.

وروى الحاكم حديث «ما انا عليه اليوم وأصحابي» بسند فيه الإفريقي صاحب الترجمة، ومن كلام الحاكم فيه وفي كثير بن عبدالله: ولا تقوم بهما الحجة^٤.
وأخرج الحديث الآجری بسندٍ فيه الإفريقي^٥.

وروى الحديث الطبراني بسند آخر، فقال: حدثنا محمود بن محمد الواسطي حدثنا محمد بن الصباح الجرجاني حدثنا كثير بن مروان الفلسطيني عن عبدالله بن يزيد بن آدم الدمشقي قال حدثني أبو الدرداء وأبو أمامة ووائلة بن الأسقع وأنس بن مالك ...^٦
وفي هذا السند كثير بن مروان، قال الذهبي كثير بن مروان أبو محمد الفهري المقدسي. ضعفه يروي عن إبراهيم بن أبي عبلة وغيره.

وقال يحيى والدارقطني: «ضعيف». وقال يحيى - مرة - «كذاب». وقال الفسوي: «ليس حديثه بشيء»^٧.

قال ابن حجر: «قال ابن حبان: منكر الحديث. قلت: وضعفه يحيى والسعدى

١. إرواء الغليل، ج ٨، ص ٥٩.

٢. سنن ابن ماجه، ج ١، ص ١٧١.

٣. تحفة الأحوذى، ج ٧، ص ٤٠٠.

٤. المستدرک على الصحيحين، ج ١، صص ١٢٨ و ١٢٩.

٥. انظر كتابه: الشريعة.

٦. المعجم الكبير، ج ٨، صص ١٥٢ و ١٥٣.

٧. ميزان الاعتدال، ج ٥، ص ٤٩٦.

والدارقطني وقال النسائي ليس حديثه بشيء، وقال محمود بن غيلان: أسقطه أحمد وابن معين وأبو خيثمة وعن يحيى بن معين هو كذاب»^١.

وضعه ابن المديني وأبو حاتم وقال البخاري: منكر الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال أبو زرعة: واه.^٢

وذكروا كثير بن مروان في كتب الضعفاء مثل: ابن عدي في الكامل ٧/ ٢٠٧؛ الذهبي في المغني في الضعفاء ٢/ ٢٢٨ وديوان الضعفاء والمتروكين؛ ٢/ ٢٥٩.

قال ابن حبان في المجروحين: «لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب»^٣.

وأخرج الحديث الطبراني بسندٍ فيه عبدالله بن سفيان بدل الإفريقي^٤.

ونقله عنه الهيثمي: وقال في كثير بن مروان: ضعيف جداً^٥.

وقد أورد الذهبي حديث عبدالله بن سفيان في ميزان الاعتدال وقال: وإنما يعرف هذا الحديث - بآبنا أنعم الإفريقي عن عبدالله بن يزيد عن عبدالله بن عمرو^٦.

وذكره العقيلي في الضعفاء الكبير وقال: ليس له من حديث يحيى بن سعيد أصل، وإنما يعرف هذا من حديث الإفريقي.

هذا هو سند الحديث الذي امتلأت به كتب القوم، لهذا ضعفه غير واحد من علماء المسلمين، وفيهم بعض السلفيين، منهم:

- ابن حزم: فهو لا تصح عنده أحاديث الافتراق أصلاً^٧.

١. تعجيل المنفعة، ص ٣٩٠.

٢. الضعفاء والمتروكين، الدارقطني، تحقيق صبحي البدري السامرائي، ص ١٤٤.

٣. المجروحين، ج ٢، ص ٢٢٥.

٤. المعجم الصغير، ج ١، ص ٢٥٦.

٥. مجمع الزوائد، ج ١، ص ١٨٩.

٦. ميزان الاعتدال، ج ٤، ص ٠٩.

٧. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٢، ص ٢٦٧.

- رشيد رضا، حيث قال في رواية: «ما أنا عليه وأصحابي»، في إسنادها عبدالرحمن ابن زياد الإفريقي فالرواية إذا لم تخل من طعن فيها.^١
- البوطي طعن بهذه الزيادة كما في موقعه في الشبكة العنكبوتية.
- ضعفه المحقق حسن السقاف.^٢
- أحمد سعد حمدان في تخريجه لأحاديث شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.
- ص ٨٠.

- الدكتور سيد عبدالعزيز السيلي، حيث قال: أخرجه الترمذي وهو ضعيف، والغريب أنه احتج به!^٣
- فواز أحمد زمزلي في «عقائد أئمة السلف».
- الحافظ محمد بن طاهر المقدسي في ذخيرة الحفاظ المخرج على الحروف والألفاظ. ١٢٧٨ / ٣.

- وبالرغم من ضعف الحديث لكن يحتج به الكثيرون وجعلوه أحد أعمدة المدرسة السلفية!
- و بالرغم من ضعفه باعترافهم فأنهم يحتجّون به ثم ينهالون على الشيعة بالتقريع بأنّ أحاديثهم ضعيفة!!

مع الألباني

- الألباني ضعف الإفريقي في أكثر من موضع من كتبه، لكنه احتجّ بالحديث وصحّحه، وليس هذا منه إلا نصرة لمنهجه السلفي! قال حين ذكر حديثاً آخر فيه الإفريقي: «وهذا إسناد ضعيف من أجل عبد الرحمن وهو ابن زياد بن أنعم الإفريقي،

١. المنتقى من روائع فتاوى المنار، عز الدين بليق ج ١، ص ٦٥٣.

٢. صحيح شرح العقيدة الطحاوية، ص ٦٣٢.

٣. العقيدة السلفية، ص ١٤.

وهو ضعيف لسوء حفظه»^١.

وقال في تخريجه على الطحاوية عن الحديث المذكور: «فيها ضعف»^٢.

وقال: «ضعيف بهذا السياق وقد حسنه الترمذي في بعض النسخ وهو ممكن باعتبار شواهد»^٣.

إنّ تحسين الترمذي أو تصحيحه غير معتبر عند العلماء لتساهله، وكم من مرة ذكر الألباني هذا عن الترمذي، يقول مثلاً: «تساهل الترمذي، إنكاره مكابرة، لشهرته عند العلماء. وقد تتبعت أحاديث سننه حديثاً حديثاً، فكان الضعيف منها نحو ألف حديث، أي قريباً من خمس مجموعها، ليس منها ما قوّيته لمتابع أو شاهد»^٤.
وقول الألباني إنّه ممكن باعتبار شواهد، مردود فلا يمكن اعتبار حديث الافتراق من شواهد لوروده دون هذه الزيادة، أو فيه زيادات أخرى غير هذه. ولكنّه أراد أن ينتصر لمذهب السلف ليس إلا.

لا شكّ في أنّه أخطأ بتصحيحه، فقد كان متردداً حين خرّج الحديث في الطحاوية، فقد قال: «وهو ممكن - أي تحسين الترمذي له - باعتبار شواهد فهو غير متيقن».

وبعض العلماء السلفيين قد ضعفوه كما مرّ علينا.

والألباني كغيره من الرجال يخطئ، قال محمد صالح العثيمين فيه: «أما من حيث التحقيقات العلمية الحديثية فناهيك به على تساهل منه أحياناً في ترقية بعض الأحاديث إلى درجة لا تصل إليها من التحسين أو التصحيح»^٥.

ونحن للاعتبارات السابقة والقادمة نضع الحديث ضمن الأحاديث الضعيفة. ومن

١. إرواء الغليل، ج ٨، ص ٥٩.

٢. شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥١٢.

٣. شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٦٠.

٤. السلسلة الضعيفة، ج ٣، ص ٣٠.

٥. حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، ج ٢، ص ٥٤٣.

يصححه فليكن تصحيحه على أسس علمية متينة، وليدفع الاشكالات التي ترد عليه .

اشكالات على الحديث

يذكر النبي حدثاً مهماً جداً ستعرض له أمته، وهو الافتراق إلى ثلاث وسبعين فرقة وواحدة ناجية فقط، لهذا استنفع القوم هذا القول وبادروا بسؤاله عن هذه الناجية، فقال: «ما أنا عليه وأصحابي».

وكان المخاطبين ليسوا بأصحابه حتى يقول: «ما أنا عليه وأصحابي»!! فقد قال لمن حوله من المسلمين والمفروض أنهم صحابته «ما أنا عليه وأصحابي» وليس ما أنا عليه وأنتم أو ما نحن عليه، أو شيء آخر من هذا القبيل، ولكن قال: «ما أنا عليه وأصحابي»!

فأصحابه الذين سألوه عن الطائفة الناجية مأمورون بالكون بما كان عليه النبي وأصحابه!!

هل رأيت معقولاً في اللامعقول؟ وألا تكفي هذه الشواهد لضرب الحديث؟! ثم هل هذا الحلّ - لو صح - يعصم الأمة ويدلها على الناجية؟!!

لماذا نجا الصحابة - إن نجوا -؟ لأنهم كانوا على ما كان عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو المعيار للنجاة، فما معنى هذه الزيادة «وأصحابي»؟!!

أوليس السلفية يدعون أنهم على ما كان عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه؟! أوليس الأشاعرة والماتريدية يدعون أنهم على ما كان عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه؟!!

أوليس الشيعة يدعون أنهم على ما كان عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه الخلفاء وعلى رأسهم علي (عليه السلام)؟

فهل هذه العلامة كافية للناس لكي يلتحقوا بهذه الناجية؟! وكيف لهم أن يعرفوها،

ولم يبين الحديث ما الذي كانوا عليه؟! وكيف يعرفونها ومذاهب الصحابة شتى، وقاتلهم مع بعض لا يخفى؟!

فهناك قسم وصفهم الرسول بأنهم يدعون إلى النار كما جاء في «صحيح البخاري».

١ / ٥٤١، وقد فصلنا القول هذا في مبحث حديث الحوض من هذا الكتاب.

فهل الكون مع هؤلاء مدعاة للنجاة؟!

هل المقصود اتباع جميع الصحابة كما هو مقتضى الاطلاق في الحديث؟ إنَّ البحث عما كان عليه جميع الصحابة محال، لخفاء حال القسم الأعظم منهم، وعدم وجود ترجمة لحالهم، وعدم ورود رواية عنهم، فعدد الصحابة على أقلّ تقدير كان مائة وأربعة عشر ألف صحابي، وعشر هذا العدد غير معروف كما في «الإصابة لابن حجر»^١.

وهذا وحده كافٍ لرد الحديث.

وحتى المعروفين، وهم أحد عشر ألفاً وستة وعشرون على ما في الإصابة، لم يرو إلا عن ١٥٦٥ منهم!^٢

إن كان المقصود اتباع بعضهم، فهذا ما لا دليل عليه، ولو افترضنا أنّ هذا هو المتعين من النص، فمن هم هؤلاء البعض؟ وهل يوجد نص صريح يعينهم لنا؟ ولماذا لم يبينهم لنا النبي ليسهل الأمر على أمته؟

عندما يختلف الصحابة إلى مجموعتين أو أكثر فمع من سنكون؟ وهل يكون اتباعهم كلهم سبباً للنجاة؟ ثم أليس اتباعهم في هذه الحالة أمر للتعبد بالمتناقضات والحقّ واحد لا شكّ فيه؟!

فهل يمكن أن نصدق صدور هذا عن المشرع الحكيم؟

١. الإصابة، ج ١، ص ٢.

٢. للاطلاع أكثر راجع: كتابنا وركبت السفينة، ص ١٦٣.

إنَّ من بين الصحابة الذين ترجعنا المدرسة السلفية إليهم منافقون. وبعض هؤلاء لم يكن يعلمهم حتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّى نَعْلَمَهُمْ﴾^١.

روى مسلم عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «في أصحابي اثنا عشر - منافقا، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ...»^٢.

وعن حذيفة بن اليمان قال: «إنَّ المنافقين اليوم شرٌّ منهم على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) كانوا يومئذٍ يسرون واليوم يجهرون»^٣.

حتى الأعراب المعدودين ضمن الصحابة كانوا من ضمن المنافقين، وما أكثرهم! قال تعالى ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾^٤.

إذا كان هناك عدد كبير من المنافقين بين الصحابة مع علم النبي ببعضهم، فكيف يجوز لنا أن نكون على ما كانوا عليه ونجعلهم معياراً للنجاة؟! كيف يودعهم ثروات الإسلام غير مبال بذلك؟!!

فهل رأيت صائغاً يجعل لصاً في محله إذا غادر هو للاستراحة مثلاً؟! هل من عاقل يبين لنا هذه المعضلة؟!!

كيف يجعلهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معياراً للنجاة، مع ورود قسم كبير منهم نار جهنم؟!!

أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «بيننا انا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم فقلت أين قال إلى النار والله قلت وما

١. التوبة: ١٠١.

٢. صحيح مسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.

٣. صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٠٠.

٤. التوبة: ٩٧.

شأنهم؟! قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين قال إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟! قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم».. أي مثل ضوال الإبل!¹

أخرج البخاري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «بينما أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»².

وأخرج مسلم عن عبد الله، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا رب أصحابي، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»³.

وفي تاريخ ابن كثير قال: أخرج البيهقي عن أبي الدرداء، قال: قلت:

يا رسول الله بلغني أنك تقول: «ليرتدن أقوام بعد إيمانهم»، قال (صلى الله عليه وسلم): «أجل ولست منهم»⁴.

فكيف يرجعنا النبي لأصحابه وقد فعلوا ما فعلوا وارتدوا كما ورد؟! أليس هذا استغفالا لأمته؟! - حاشاه من هذا - لو اتبعناهم فيما أحدثوا وبدلوا ألا تكون عاقبتنا كهؤلاء المساقين إلى النار؟! وهل من الحكمة أن يرجع أمته إلى أصحابه مع تفرقهم في البلدان وضياع تسعة أعشار أسمائهم ورواياتهم؟!⁵

الرواية التي استدلل بها ابن تيمية مراراً هي «ما كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»،

١. صحيح البخاري، ج ٧، صص ٢٠٨ و ٢٠٩، وسيأتي في الفصل الثاني بحث كامل عن حديث الحوض.

٢. المصدر السابق: كتاب الرقاق، باب في الحوض، ج ٧، ص ٢٠٩.

٣. صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا (صلى الله عليه وسلم) وصفاته، ج ٧، ص ٦٨.

٤. البداية والنهاية، ج ٦، ص ٧٣١.

قد قيدها باليوم وغير معلوم بقاء الصحابة على ما كانوا عليه في ذلك اليوم بعد شهادتهم

على أنفسهم بما أحدثوا وغيّروا، فالنص مقيد بما كانوا عليه في ذلك اليوم!

هذا الحديث يصحّ إذا عرفنا أنّ الصحابة المقصودين في الحديث، هم الذين اتبعوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته وبعد مماته، ولم يبدلوا ولم يحدثوا من بعده. فهؤلاء ومن أتبعهم هم الناجون، ولكن كيف تتمكن من معرفتهم بعد ورود عدد كبير من الصحابة النار كما في الروايات السالفة. نحن نريد منهم أن يميّزوا لنا الصحابة الناجين من الهالكين، حتى نتبع الناجين ونسير على نهجهم، فعدم احرازنا الناجين من الصحابة يوجب علينا عدم اتباعهم والأخذ عنهم.

الملاحظ أنّ أهم كتب الحديث لم تذكر الحديث بتلك الزيادة «ما أنا عليه وأصحابي» بالرغم من أهمية هذه الزيادة عند القوم حتى اعتبرها البعض بأنّها من الأصول، فالبخاري الذي كتب في صحيحه أكثر من مائة ألف حديث لم يروه وكذا مسلم، وأحمد الذي ضمّن مسنده حوالي ستمائة ألف حديث! وكذا النسائي وابن ماجه ومالك وغيرهم لم يرووا هذه الزيادة.

وهذا يزيد من علامات الاستفهام حول هذا الحديث الذي يرسم مستقبل الأمة حسب زعمهم!

إنّ هذا الحديث والذي جعله بعضهم من الأصول لم يخرج البخاري، ولو وجد له طريقاً صحيحاً لما توانى عن إخراجه تقويةً لمنهج أهل الحديث في اتباع الصحابة.

قال ابن عبد البرّ في بعض الأحاديث: «ولم يخرج البخاري ولا مسلم بن الحجاج منها حديثاً واحداً. وحسبك بذلك ضعفاً لها»^١.

وعلى رأي ابن عبد البرّ: حسبنا عدم تخريج الشيخين للحديث السابق ضعفاً له!

الحديث الثالث: لا تزال طائفة

أخرج البخاري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون».^١

وأخرج مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك».^٢

وفي رواية: «قوم من أمتي».^٣

وفي رواية: «عصابة من المسلمين».^٤

وهناك طرق أخرى للحديث في سنن الترمذي.^٥

الذين استدلوا بالحديث

١- ابن تيمية، حيث قال: وهم - أهل السنة - الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي (صلى الله عليه وسلم): «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة».^٦

٢- ابن كثير، حيث قال بعد إيراد الحديث: هم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين.^٧

١. صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب لا تزال طائفة من أمتي، ج ٨، ص ١٤٩.

٢. صحيح مسلم، كتاب الأمانة، باب قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تزال طائفة، ج ٣، ص ١٥٢٣.

٣. المصدر نفسه.

٤. المصدر نفسه، ص ١٥٢٤.

٥. كتاب الفتن، باب ما جاء في الشام، سنن ابن ماجه: المقدمة، حديث رقم، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ٤٣٦،

ج ٥، صص ٢٤ و ٢٥ و ٢٧٩.

٦. مجموعة الفتاوى، ج ٣، ص ١٠٥.

٧. تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٤٣٣.

٣- ابن القيم، ذكر الحديث في «إعلام الموقعين» تحت عنوان «الأدلة الدالة على اتباع الصحابة».^١

٤- محمد بن عبد الوهاب.^٢

٥- ابن أبي العزّ الحنفي.^٣

لا شكّ في أنّ هذه الطائفة الظاهرة على الحقّ التي أشار لها الحديث هي الطائفة الناجية نفسها التي أشار لها حديث الافتراق، واستدلال السلفيين في غير محله، فالحديث عام وكل طائفة تستطيع أن تدّعي أنّها المعنية بهذا الحديث.

و ذهب ابن تيمية إلى أنّ هذه الطائفة متواجدة بالشام إلى قيام الساعة! وهذا يوصد الباب أمام السلفية للاحتجاج بهذا الحديث، لأنّ موطنهم نجد، ومن هناك صدر الفكر السلفي ولا يزال إلى أنحاء مختلفة من العالم.

قال ابن تيمية: إنّ النصوص عيّنت أنّهم بالشام، كقول معاذ وكما روي مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنّه قال: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين».

قال الأمام أحمد: «وأهل الغرب هم أهل الشام. وذلك أنّ النبي كان مقيماً بالمدينة فما يغرب عنها فهو غربه، وما يشرق عنها فهو شرقه، وكان يسمّي أهل نجد وما يشرق عنها أهل المشرق كما قال ابن عمر».^٤

يبدو لي أنّ ابن تيمية لو كان يعلم أنّ نجد ستكون موطناً لكثير من أتباعه لبحث عن مخرج يجعل به من نجد موطن الطائفة الظاهرة، لكنّه لم يترك مجالاً لغيره، فقال:

١. ج ٤، ص ١٤٩.

٢. مؤلفات الشيخ الأمام محمد بن عبد الوهاب، ج ٣، ص ٣٢.

٣. شرح العقيدة الطحاوية، ص ٧٢.

٤. مجموعة الفتاوى، ج ٤، ص ٢٧٣.

«والنبي (صلى الله عليه وسلم) ميّز أهل الشام بالقيام بأمر الله دائماً إلى آخر الدهر وبأنّ الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر، فهو إخبارٌ عن أمرٍ دائمٍ مستمرٍّ فيهم مع الكثرة والقوة»^١.

من لطف الله بالمسلمين أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بيّن للناس طريق الخير والفلاح، وفي المقابل أشار ببيان واضح لموطن الشرّ، لكي يحذروه ولا ينخدعوا به .
عن عبدالله بن عمر قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشير بيده نحو المشرق ويقول:
«ها إنّ الفتنة ههنا، إنّ الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان»^٢.

وعن ابن عمر قال: ذكر النبي «اللهم بارك لنا في شأنا، اللهم بارك لنا في يمننا»، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا! قال: «اللهم بارك لنا في شأنا اللهم بارك لنا في يمننا»، قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا! فأظنه قال في الثالثة: «هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان»^٣.
وعن أبي هريرة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «رأس الكفر نحو المشرق»^٤.

وعن أبي مسعود يبلغ به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من ههنا الفتن نحو المشرق والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين (الذين تعلقوا أصواتهم في حروثهم ومواشيهم) أهل الوبر عند أصول أذنان الأبل والبقر في ربيعة ومضر»^٥.

قال ابن تيمية: «وقد استفاضت السنن عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في الشرّ أنّ أصله من الشرق»^٦.

١. مجموعة الفتاوى، ج ٤، ص ٢٧٣.

٢. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ج ٤، ص ٢٥١؛ صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان، ج ٤، ص ٢٢٢٨.

٣. صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب من قبل المشرق، ج ٩، ص ٩٧.

٤. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال، ج ٤، ص ٢٥٨.

٥. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، ج ٥، ص ١٢.

٦. مجموعة الفتاوى، ج ٤، ص ٢٧٣.

هذه الروايات تنصّ على أنّ أصل الشرّ من الشرق أو المشرق، وهو رأس الكفر ومنه يخرج قرن الشيطان، ولأنّ نجد تقع شرق المدينة وظاهر النصوص يعيّننها، قام السلفيون وخلافاً لظاهر النصوص ودون أي قرينة بتفسير الأحاديث السالفة بالعراق، مخالفين بذلك ابن تيمية وابن حنبل، ملتقيين على كلّ الأحاديث والقرائن التي فيها كلّ هذا، لكي ينقذوا حركتهم التي انطلقت من هناك.

إنّ المتأمل في النصوص السابقة يتّضح له بكلّ يسرٍ أنّ الشرق يعني نجد، فحين قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في رواية ابن عمر: «اللهم بارك لنا في يمننا»، قال بعض من حوله: وفي نجدنا! فهم يقصدون نجدهم التي هي شرق المدينة، ويؤكد هذا قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة: «هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان» وهي مضمون عباراته الأخرى حول الشرق والمشرق.

وفي فتاوى اللجنة الدائمة فسروا المشرق بعدة معانٍ، ومن ضمنها نجد دون أي انكار! ثم إنّ الروايات تشير إلى مكان قريب، ودليله قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ههنا» في بعض الروايات، وهي قرينة كافية لتوضيح كلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) دون القفز إلى بلاد أخرى بعيدة كلّ البعد عن المدينة! إنّ نجد هي المقصودة، وهكذا فسرها أحمد بن حنبل وابن تيمية، فقد قال الامام أحمد: «وأهل الغرب هم أهل الشام، وذلك أنّ النبي كان مقيماً بالمدينة فما يغرب عنها فهو غربه، وما يشرق عنها فهو شرقه، وكان يسمّي أهل نجد وما يشرق عنها أهل المشرق كما قال ابن عمر».^٢

إنّ تفسير الحديث بالعراق هو خلاف الظاهر، ويعد قفزاً صريحاً فوق القرائن الموجودة في الحديث، فهناك أحاديث - على افتراض صحتها - ذكرت العراق بالاسم صريحاً، فلماذا لم يذكره النبي هنا صريحاً؟! وجغرافياً فالعراق لا يقع في جهة المشرق

١. ج ٣، ص ٩٤.

٢. مجموعة الفتاوى، ج ٤، ص ٢٧٣.

من المدينة، بل إنّه إلى الشمال أقرب منه إلى الشرق!

إنّ تحذيرات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لنا من نجد وما يخرج منها من فتنٍ تضع علامات استفهام كبيرة على الاتجاه الفكري السائد فيها، ولو كانت الحركة السلفية هناك حركة خيرٍ وإصلاحٍ ويحبّها الله ورسوله، لكان عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبيّن لأمته هذا الأمر في حديث ما ويستثني هذه الطائفة ويبيّس بها، لئلا يغرر بالناس ويخدعهم - حاشاه - وهذا ما لا وجود له، بل تراه (صلى الله عليه وآله وسلم) يبعث لنا بإشارات من بعيد يزيد فيها بيانه حول نجد ويؤكدده.

رُوي عن أبي سعيد قال: قال عليّ: «أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذهبة وتربتها وكان بعثه مصدقاً إلى اليمن فقال: «أقسمها بين أربعة، الأقرع بن حابس وزيد الطائي وعيينة بن حصن الفزاري وعلقمة بن علاثة العامري. فقام رجل غائر العينين ناتيء الجبين مشرف الجبهة مخلوق، فقال: والله ما عدلت، فقال: ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟! إنّا أتألفهم، فأقبلوا عليه ليقتلوه، فقال: «اتركوه فإنّه من ضضيء هذا قوم يخرجون في آخر الزمان يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^١.

مفهوم حديث (لا تزال طائفة)

جميع الروايات تبدأ بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تزال أو لا يزال» وهو فعلٌ يدلّ على استمرار وجود هذه الطائفة، ولن أتحدث عن وجود هذا الفكر قبل ابن تيمية وخلو الزمن منه، ولكن الملاحظ أنّ الأفكار التي جاء بها ابن تيمية - والتي عليها أساس المدرسة السلفية اليوم - قد اضمحلّت لفترة ثلاثة قرون تقريباً، ولم تجد لها أتباعاً، فبعد عهد ابن تيمية وتلاميذه، ولُنُقِل تلاميذ تلاميذه، لا نجد ذكراً لأفكار هذه المدرسة أو أحداً نادى بها، حتى ظهر محمد بن عبد الوهاب وأحيّاها من جديد، أي من سنة

١. السنة، لابن أبي عاصم ج ٢، ص ٤٢٦، رقم الحديث: ٩١٠، وصححه الألباني.

ثمانمائة للهجرة تقريباً إلى سنة ١١٥٠ هجرية، والحال أنّ الحديث ينصّ على استمرار وجود هذه الطائفة ظاهرة على الحقّ!

فهل يستطيع أحد أن يدلنا على مكان تواجد هذه الطائفة خلال فترة ثلاثة قرون و يذكر أعلامها وتراجمهم وكتبهم؟!!

إنّ الحديث أكثر ما ينطبق على الشيعة الامامية، فهم موجودون على مرّ التاريخ من بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهم ظاهرون على الحقّ بما عندهم من قوة حجّة مستمدّة من كتاب الله وسنة رسوله. وقد وصفهم الحديث بأنّهم مخذولون «لا يضرهم من خذلهم» وهي صفة حسنة، وهذا منطبق عليهم، فإنّهم تبعاً لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) تعرضوا لشتى أنواع البلاء، فهم منبوذون من قبل سائر المسلمين، وقد عاشوا مستضعفين ما بين مشرّد، أو محبوس أو قتيل، وكم من عالم ربّاني قدم حياته قرباناً لموالاته لأئمة العترة! والغريب أنّ هذا الظلم واقع من الحكام الظلمة وأعوانهم من مشايخ البلاط من المسلمين!

ومن هذا الخذلان التضييق عليهم واغتصاب حقوقهم، ومنعهم من شعائرهم في بعض البلاد ومصادرة كتبهم، كلّ هذا واضح للعيان وهو من أصدق مظاهر الخذلان، بعكس غيرهم من سلفية وأشاعرة، كدعم الحكام لهم وتسهيل أمورهم من معاشٍ وغيره مما لا يخفى على أحد. فهؤلاء لا يزالون محلّ عناية الحكام، فلم يكونوا يوماً مخذولين، فهنيئاً لشيعة أهل البيت (عليهم السلام) هذا الوصف «لا يضرهم من خذلهم» وهو كذلك لم يضرهم، ولم يثنهم عن القيام بدورهم.

شبهة سلفية

قال أحدهم لي مستبعداً انطباق هذا النصّ على الامامية: «إنّ الامامية لا عزّة لهم ولا منعة ولا ظهور حتى العصر الحديث، بل في بعض مراحل التاريخ كان أصحاب

الأئمة يعدون على الأصابع حتى كان الرجل منهم لا يكاد يجد زوجة إمامية!»

وقال أيضاً: «إنّ معنى الظهور - ظاهرين على الحقّ - في الحديث هو البروز والمجاهرة لا التستر والتخفي».

فأجبتة: إنّ البروز والمجاهرة من مصاديق الظهور، ولكن لا شكّ في أنّ الظهور يكون قبل كلّ شيء بامتلاك الحجّة والبرهان، ثم البروز والمجاهرة به إذا سمحت الظروف بذلك، وإلا ما الفائدة من البروز والمجاهرة دون امتلاك الحجّة والبرهان؟!

كما لا يمكن قبول معنى الظهور بأنّه فقط البروز والمجاهرة، فبيننا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) قد تخفّى وستر دعوته أحياناً، فهل معنى هذا أنّه لم يكن ظاهراً على الحقّ؟! قال العيني في باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقّ: قوله: «ظاهرين» أي غالبين على سائر الناس بالبرهان أو بالسنان.^١

إنّ حال الامامية يختلف كذلك حسب البلد الذي هم فيه، فالشيعة في لبنان بارزون ومجاهرون بدعوتهم لا يخشون أحداً، لقوتهم ووجود الحرية لديهم، بل حتى إنهم مجاهدون ولا يخفى هذا على أحد. وفي بلاد أخرى أقلبات متخفية من بطش ذوي السلطة، وظهور الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مواجهة الاستكبار العالمي لا يخفى على أحد.

وفي قول الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥)

فهل كان هؤلاء المستضعفين على الباطل قبل أن يمن الله عليهم ويجعلهم الوارثين؟!

أوليس هؤلاء هم أهل الله الظاهرين على الحقّ بالرغم من استضعافهم؟! فوصف

هؤلاء بالاستضعاف أقرب ما يكون إلى الامامية والحديث ينص على أنهم مخذولون «لا يضرهم من خذلهم» وهذه الصفة لا تنطبق على السلفية فمنذ ظهور ابن عبد الوهاب والحكومات تدعم الفكر السلفي بمليارات الدولارات، ولهم حرية التعبير في كلّ البلاد، فهل تنطبق على هؤلاء صفة الخذلان التي جاءت في الحديث بالرغم من دعم الحكام لهم عبر التاريخ؟! ومن الذي خذلهم؟! وأسئلة عديدة أخرى تحول دون انطباق الحديث عليهم.

ثم هل كان ظهور «السلفية» دائماً وفي كلّ بقاع الارض! لا شكّ في أنّ التسنن مر بفترات كان ضعيفاً فيها، كفترة البويهيين والحمدانيين والفاطميين، والفترة المغولية الشيعية والفترة الصفوية وفترات أخرى، ومنذ سقوط الدولة العثمانية فلا غلبة ولا ظهور لأهل السنة وإنّما الغلبة لأهل الكفر من إنجليز وفرنسيين وإيطاليين وأمريكان. فاين ظهور اهل السنة بالحقّ مع أنّ الحديث ينصّ على استمرار ظهورهم حتى يأتي أمر الله؟! هل ظهورهم يتجلّى بالعنتريات، وإقامة الندوات والمؤتمرات؟! هذا مع أنّ مليوني يهودي يسيطرون على مليار وربع مليار مسلم بفضل خضوع السلفية لليهود والكفار داخل بلدانهم.

بل لا نبالغ إذا قلنا إنّ القوي الإمبريالية العالمية تسيطر عليهم ويوجهونهم كما شاؤوا وهم لا يكادون يشعرون.

فهم أدوات طيعة بيد أهل الكفر، وليس لهم حول ولا قوة، فأين ظهورهم المدعى؟! فالحديث إذن لا ينطبق عليهم، وكلّ الظهور السياسي لهم إنّما هو بسماع من الغربيين.

الحديث الرابع: كتاب الله وسنتي

هناك اصرارٌ على الاحتجاج بهذا الحديث بالرغم من ضعفه، متناسين الحديث الثابت المتواتر «كتاب الله وعترتي». وهذا تفصيل حول هذا الحديث.

نص الحديث

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وستي»^١

الذين استدلّوا بهذا الحديث

- ١- عبد الغني المقدسي الحنبلي (ت ٧٠٠ للهجرة) في كتابه «الصفات»^٢.
 - ٢- الشاطبي في كتاب «الاعتصام»^٣.
 - ٣- الدكتور عدنان علي رضا النحوي في بعض كتبه. مثل: «قبسات من الكتاب والسنة» و «منهج المؤمن بين العلم والتطبيق».
- هؤلاء وغيرهم الكثير جعلوا هذا الحديث أحد أهم الركائز لدعوتهم .

ملاحظات أولية

- تذكر الروايات أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال هذا الحديث في حجة الوداع، والملاحظ أنّه حضر مع النبي أكثر من مائة ألف إنسان، ومع هذا لم يرو الحديث إلا ابن عباس وأبو هريرة.

إنّ الوصية بالكتاب والسنة كضمان للأمة من الضلال - إن صحت - فهي عظيمة، فلماذا لا يروي هذه الوصية إلا اثنان من أولئك المائة ألف؟!!

- إنّ أصحاب الصحاح الستة بمن فيهم البخاري ومسلم، لم يرووا هذا الحديث، وبالرغم من أنّ البخاري أفرد باباً في صحيحه بعنوان «باب الاعتصام بالكتاب والسنة»، إلا أنّه لم يورد هذا الحديث، مع العلم أنّه أنسب حديث في الباب، والغريب أنّ البخاري اختار صحيحه من مائة ألف حديث صحيح كانت لديه، فلماذا لم يختار هذا

١. موطأ مالك، ج ٢، ص ٨٩٩.

٢. وهو مطبوع في كتاب: عقائد أئمة السلف، ج ١٢٧.

٣. ج ٢، ص ٣٨٣.

الحديث المهم؟!!

- إن إمام السلفية أحمد بن حنبل وهو الداعي الأول لاتباع النصوص، لم يرو هذا الحديث في مسنده أيضاً بالرغم من ذكره ستمائة ألف حديث صحيح!!
ومن يراجع كتب أئمة السلفية: كابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب مثلاً، لا يجد للحديث أي ذكر، وهذا كله يدل على عدم اعتناء هؤلاء بالحديث المذكور بالرغم من حاجتهم الماسة إليه لتأييد منهجهم.

و كيف يصحّ هذا الحديث فيأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس بالرجوع إلى سنته مع عدم تدوينه لها ومع نهيه عن كتابتها كما في حديث مسلم^١؟
وأين يجد الآخرون من غير الصحابة سنة النبي؟! فهل يرجعون إلى الصحابة ولا يمكن هذا؟! فهم ليسوا مخلّدين، كما أنّ إرجاع الناس إلى صحابته يؤدي إلى ضياع السنة، فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم أنّ صحابته عرضة للموت في أي لحظة وخاصة في ساحات القتال، فكيف يودع سنته عندهم؟! كيف يودعها عندهم وفيهم منافقون لا يعلمهم إلا الله؟!!

من الثابت أنّ عمر ردّ على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين أمر بإحضار كتفٍ ودواةٍ ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، وكان ردّه: «حسبنا كتاب الله»،
وهو الحديث المعروف برزية الخميس.^٢

فلماذا لم يذكر «وسنتي» وهي لا تشكل تحدياً له، إن صح الحديث؟! فلا شكّ في أنّ عمر هو أول من رفض العمل بمقولة «وسنتي»!

على افتراض صحّة الحديث، فقد قامت سياسة الخلفاء على منع التحدث عن النبي

١. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام.

٢. راجع صحيح البخاري، كتاب المرض والطب، باب قول المريض قوموا عني، صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية.

ومعاقبة من يفعل ذلك وحرق سننه المجموعة، فكيف يترك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سنته ضماناً للأمة من الضلال فيعمد الخلفاء إلى اخفائها ومنع التحدث بها؟
فإن صحَّ الحديث فهم أول من خالفه (صلى الله عليه وآله وسلم) بحرمان الناس المتعطشة
للأنوار النبوية؟!!

فالتمسك بالكتاب والسنة غير كافٍ للأمن من الضلال، وأغلب الفرق الإسلامية
تدعي تمسكها بهما بطريقٍ أو بآخر، ومع ذلك فهي مختلفة وتائهة.
هذه أهم الاشكالات التي ترد على الحديث وهي كافية لإسقاطه، خاصة بعد النظر
في سنده .

سند الحديث

ورد هذا الحديث في موطأ مالك،^١ وسيرة ابن هشام.^٢

وذكره الحاكم بهذا السند: حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه أنبأ العباس بن
الفضل الأسفاطي حدثنا إسماعيل بن أبي أويس وأخبرني إسماعيل بن محمد بن
الفضل الشعراني حدثنا جدي حدثنا ابن أبي أويس حدثني أبي عن ثور بن زيد
الديلي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خطب الناس
في حجة الوداع فقال: «يا أيها الناس، إنّي قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا
أبداً كتاب الله وسنة نبيه».^٣

وفيه ابن أبي أويس، وهذه ترجمته:

قال - فيه - النسائي: ضعيف.

وقال الدارقطني: لا أختاره في الصحيح

١. كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر.

٢. ج ٤، ص ٢٥١ بدون اسناد!

٣. المستدرک علی الصحیحین، ١، ص ٩٣.

وقال ابن عدي: قال أحمد بن أبي يحيى: سمعت ابن معين يقول: هو وأبوه يسرقان الحديث.

وقال الدولابي في الضعفاء: سمعت النضر بن سلمة المروزي يقول: كذاب، كان يحدث عن مالك بمسائل ابن وهب.

وقال العقيلي: حدثني أسامة الدقاق بصري: سمعت يحيى بن معين يقول: إسماعيل ابن أبي أويس لا يساوي فلسين.^١

قال ابن حجر: وقال اللالكائي: بالغ النسائي في الكلام عليه إلى أن يؤدي إلى تركه، ولعله بان له ما لم يبين لغيره لأنّ كلام هؤلاء كلّهم يؤول إلى أنّه ضعيف. وقال ابن عدي: روي عن خاله أحاديث غرائب لا يتابعه عليها أحد.

وقال ابن حزم في المحلى: قال أبو الفتح الأزدي: حدثني سيف بن محمد أنّ ابن أبي أويس كان يضع الحديث.^٢

وقد احتج الشيخان بآبن أبي أويس، وهذا لا يعني صحّة حديثه هذا. قال ابن حجر: وأما الشيخان فلا يظنّ بهما أنّهما أخرجا عنه إلا الصحيح من حديثه! الذي شارك فيه الثقات.^٣

ولم يصحّ الحاكم الحديث بالرغم من تساهله، وبالرغم من أنّه ذكره كشاهدٍ له وهو: أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه أنبا محمد بن عيسى بن السكن الواسطي حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا صالح بن موسى الطلحي عن عبد العزيز بن ربيع عن أبي صالح عن أبي هريرة.^٤

وفيه صالح بن موسى الطلحي.

١. ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٢٢٢ و ٢٢٣.

٢. تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢٧١ و ٢٧٢.

٣. نفس المصدر، ج ١، ص ٢٧٣.

٤. المستدرک، ج ١، ص ٩٣.

قال ابن حجر: قال ابن معين: ليس بشيء.
وقال أيضاً: صالح وإسحاق ابنا موسى ليسا بشيء ولا يكتب حديثهما.
وقال هاشم عن ابن معين: ليس بثقة.
وقال الجوزجاني: ضعيف الحديث على حسنه.
وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: ضعيف الحديث، منكر الحديث جداً، كثير المناكير عن الثقات.
وقال البخاري: منكر الحديث عن سهيل بن أبي صالح.
وقال النسائي: لا يكتب حديثه، ضعيف.
وقال في موضع آخر: متروك الحديث.
وقال أبو نعيم: متروك، يروي المناكير.^١
وقال الذهبي فيه: كوفي ضعيف.^٢
وروى الحديث البيهقي وابن حزم بإسنادين، الأول فيه ابن أبي أويس والثاني فيه،
صالح بن موسى الطلحي. وقد مرّ الكلام فيهما.^٣
وروى ابن عبد البرّ الحديث بإسناد فيه صالح بن موسى الطلحي.^٤
ووصل ابن عبد البرّ رواية مالك المرسله من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن
عوف عن أبيه عن جده.^٥
وروى الحديث ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» بسند فيه كثير بن عبد الله.^٦
قال عنه ابن معين: ليس بشيء.

١. تهذيب التهذيب، ج ٤، صص ٣٥٤ و ٣٥٥.

٢. ميزان الاعتدال، ج ٢، صص ٣٠١ و ٣٠٢.

٣. السنن الكبرى، ج ١٠، ص ١١٤؛ الإحكام، ج ٦، ص ٢٤٣.

٤. التمهيد، ج ٢٤، ص ٣٣٢.

٥. المصدر نفسه، ص ٣٣١.

٦. ج ٢، ص ٩٧٩.

وقال الشافعي وأبو داود: ركن من أركان الكذب، وضرب أحمد على حديثه.

وقال الدارقطني وغيره: متروك.

وقال أبو حاتم: ليس بالمتين.

وقال النسائي: ليس بثقة.

وقال مطرف بن عبدالله المدني: رأيت، وكان كثير الخصومة، لم يكن أحد من أصحابنا يأخذ منه.

وقال ابن حبان: له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه.^١

وقال فيه ابن حجر: ضعيف من السابعة، منهم من ينسبه إلى الكذب.^٢

وقال أبو طالب عن أحمد: منكر الحديث، ليس بشيء.

وقال عبدالله بن أحمد: ضرب أبي على حديث كثير بن عبدالله في المسند.

وقال أبو خيثمة: قال لي أحمد: لا تحدث عنه شيئاً.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال: واهي الحديث ليس بقوي.

وقال أبو نعيم: ضعفه على بن المدني.

وقال ابن سعد: كان قليل الحديث يستضعف.^٣

وروى الحديث المذكور أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات»،^٤ وأبو القاسم اللالكائي

في «شرح اصول اعتقاد أهل السنة»^٥ وفي كلا السندين صالح بن موسى الطلحي.

ورواه الخطيب البغدادي بسندٍ فيه سيف بن عمر، وهو زنديق لا يحتجّ به، وبسند

١. ميزان الاعتدال، ج ٣، صص ٤٠٦ و ٤٠٧.

٢. تقريب التهذيب، ج ٢، ص ١٣٢.

٣. تهذيب التهذيب، ج ٨، صص ٣٧٧ و ٣٧٨.

٤. ج ١، ص ٥١٠.

٥. ج ١، ص ٧٦.

آخر فيه الطلحي المذكور.^١

فهذه أسانيد الحديث وهؤلاء رواته، وجاء العلماء من بعدهم ونقلوه عنهم في كتبهم كالبخاري في «مصابيح السنة»^٢ وابن الأثير في «جامع الأصول من أحاديث الرسول» عن الموطأ،^٣ والخطيب التبريزي في «مشكاة المصابيح»^٤ والسيوطي في «الجامع الصغير»^٥ والمتقي في «كنز العمال» نقلاً عن المستدرک.^٦

الذين ضعفوا الحديث

- ١- أحمد سعد حمدون، قال: سنده ضعيف فيه صالح بن موسى الطلحي.^٧
 - ٢- حلمي كامل أسعد، قال في تعليقه على «الغيلانيات»: «إسناده ضعيف جداً»^٨.
 - ٣- قال فواز أحمد زمرلي في تعليقه على «عقائد أئمة السلف»: «قلته: سنده ضعيف جداً».
 - ٤- الشيخ محمد الأمين في «ملتقى أهل الحديث» في الشبكة العنكبوتية.
 - ٥- الشيخ حاتم الشريف، قال في موقع «الإسلام اليوم» الإلكتروني: «الحديث المذكور أورده الإمام مالك في الموطأ بلاغاً معلقاً غير متصل، رقم ٢٦١٨، ووصله بعض أهل العلم من طرق لا تصحّ، وليس في طرقه ما يقوّي بعضها».
 - ٦- ذهب حسن السقاف إلى أنّ هذا الحديث موضوع.^٩
- ذكر حديث كتاب الله وسنتي الدكتور عبد الكريم بن عبدالله الخضير في كتابه

١. الفقيه والمتفقه، ج ١، ص ٣٠٦.

٢. ج ٢، ص ٢٣٩.

٣. ج ١، ص ٢٧٧.

٤. ج ١، ص ٥٣ عن الموطأ.

٥. ص ٥٠٥.

٦. ج ١، ص ١٧٣.

٧. شرح اصول اعتقاد أهل السنة، ص ٨، تخريج أحمد سعد حمدون.

٨. ج ١، ص ٥١٠.

٩. صحيح صفة صلاة النبي، ص ٢٨٩.

الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به.^١

ثم احتجّ بالحديث المرسل مع أنّه يقول: إنّ الحديث الضعيف لا يحتجّ به على الاطلاق؟! لا شكّ في أنّ السنة مصدر أساسي من مصادر التشريع، ولكن هل الكتاب والسنة هما سبيل نجاة الأمة الذي تركه النبي للناس؟!

قد بينا ضعف هذا القول، وللفرق الذي يصر على تصحيح حديث «كتاب الله وستي» دون مستند صحيح يقال: لو افترضنا صحّة هذا الحديث فيمكن الجمع بينه وبين حديث «كتاب الله وعترتي» فيكون النبي قد ترك لنا الكتاب والسنة والعترّة، فتكون السنة عند الأئمة من العترّة وهو ما يقوله الإمامية.

قال الشيخ الدكتور رجب ديب: فالمسلمون مأمورون بشكل صريح باتّباع كتاب الله وسنة نبيه(صلى الله عليه وسلم) وآل بيته.^٢

وفي رواية قال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لعليّ: «...وأنت أخي ووارثي»، قال: «ما أرث منك يا نبي الله؟» قال: «ما ورث الأنبياء قبلي»، قال: «وما ورث الأنبياء قبلك؟» قال: «كتاب الله وسنة نبيهم».^٣

وجاء في «مسند زيد بن علي»: يا أيها الناس اني خلفت فيكم كتاب الله وستي وعترتي أهل بيتي.^٤

قال ابن حجر الهيتمي: وفي رواية «كتاب الله وستي»، وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب لأنّ السنة مبينة فأعنى ذكره عن ذكرها، والحاصل أنّ الحثّ وقع على التمسك بالكتاب والسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك

١. ص ٢٤٦ عن مالك.

٢. من تقديمه لكتاب فقه الآل بين دعوى الإهمال وتهمة الإنتحال، الشيخ أمين بن صالح هران الحداء، ص ٧.

٣. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٦٦٦.

٤. ص ٤٤٠.

بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة.^١

ولو افترضنا صحة حديث «كتاب الله وستي» فهو قاضٍ باتِّباع أئمة أهل البيت، لأنَّ حديث «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» من سنة النبي التي يجب اتباعها! قد يستشكل البعض ورود هذا الحديث في بعض كتب الامامية، ولكن سرعان ما يُحلّ هذا الاشكال حين ننظر في سنده حيث أنَّ رجال السند هم من غير الشيعة، ولا يحقُّ للآخرين الاحتجاج بكتب الامامية لتصحيح حديث لديهم، إلا أن يأخذوا بمبنى الامامية في التعامل مع هذا النوع من الأحاديث، ورجال السند مطعون بهم عند الامامية وهذا وحده كافٍ لإسقاط الحديث.

روى الشيخ الصدوق: حدثنا محمد بن عمر البغدادي قال: حدثنا محمد بن الحسين ابن حفص الخثعمي قال: حدثنا محمد بن عبيد قال: حدثنا صالح بن موسى قال: حدثنا عبد العزيز بن رفيع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني قد خلفت فيكم شيئين لن تضلّوا بعدي أبداً ما أخذتم بهما وعملت بهما فيها، كتاب الله وستي، وإتّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».^٢

قال علي أكبر الغفاري معلقاً: ذكر هذه الرواية عن أبي هريرة بهذا اللفظ هنا لا يناسب المقام، اللهم الا أن يكون المراد ذكره لبيان تحريف أبي هريرة لفظ الحديث، أو إيراد جميع ما سمعه.

وقال محمد باقر البهبودي معلقاً: هذا من تحريفات أبي هريرة المدّلس الوضّاع، وقد عرفت من أخبار كثيرة أنّه قال: «وعترتي» وخبر الثقلين من الأخبار المتواترة التي لا يشكّ فيها.^٣ قال محمد الريشهري: ما روي في الأخذ بالكتاب والسنة — رسول الله (صلى الله عليه

١. الصواعق المحرقة، ج ٢، ص ٤٣٩.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، ص ٢٣٥.

٣. بحار الأنوار، المجلسي، ج ٢٣، ص ١٣٢.

وآله): «خلفت فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما، كتاب الله وسنتي، ولن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض» - عنه (صلى الله عليه وآله): «تركت فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما، كتاب الله وسنتي، ولن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض». أقول: مثل هذه الروايات لا اعتبار بسندها، والظاهر أنّها جعلت في قبال حديث الثقلين، المتواتر والمتفق عليه.^١

وقال السيد عبد الحسين شرف الدين: «ومنها ما كان معارضاً للعترة في حديث الثقلين المجمع على صحته، كحديث صالح بن موسى بن عبدالله بن إسحاق بن طلحة ابن عبيد الله القرشي التيمي الطلحي بسنده إلى أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إني قد خلفت فيكم ثنتين لن تضلّوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يفرقا حتى يردا على الحوض»: قلت مضمون الحديث حق، لكن صدوره عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بلفظ: «وسنتي» باطل، ومرمى راويه تضليل.^٢

الحديث الخامس: اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر

روى الترمذي من حديث الثوري، عن عبد الملك بن عمير، عن هلال مولى ربّعي ابن جرّاش، عن ربّعي، عن حذيفة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر».^٣

الذين استدلّوا بالحديث

ابن تيمية: احتجّ به في مواضع عديدة من كتبه.^٤
ابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية».^٥

١. ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٣٧٠.

٢. إلى المجمع العالمي بدمشق، ص ١١٤ و ١١٥.

٣. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٧١.

٤. مجموعة الفتاوى، ج ٤، ص ٣٩٩.

٥. ص ٥٣٤.

ابن القيم في «إعلام الموقعين عن رب العالمين»^١.
وغيرهم الكثير قد احتجوا بهذا الحديث.

مناقشة السند

في سند الترمذي عبد الملك بن عمير، وقد ورد الرجل في سند هذه الرواية أيضا في مسند أحمد^٢، وورد في أسانيد الحاكم في خمسة طرق^٣، وورد في ثلاثة أسانيد عند الطبراني في الأوسط^٤، وورد في سند عند ابن ماجه^٥، وورد في سند للبيهقي في السنن الكبرى^٦، وورد في طريق ابن عبد البر في استيعابه^٧.

قال ابن حجر فيه: أحمد عبد الملك مضطرب الحديث جداً مع قلة روايته، ما أرى له خمسمائة حديث وقد غلط في كثير منها، وقال إسحاق بن منصور: ضعه أحمد جداً، وقال صالح بن أحمد عن أبيه: سَمَّاكَ أصلح حديثاً منه وذلك أَنَّ عبد الملك يختلف عليه الحفاظ، وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: مخلط، وقال العجلي: يقال له ابن القبطية، كان على الكوفة وهو صالح الحديث روى أكثر من مائة حديث، تغيّر حفظه قبل موته. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا صالح بن أحمد حدثنا علي بن المديني: سمعت ابن مهدي يقول: كان الثوري يعجب من حفظ عبد الملك. قال صالح فقلت لابي: هو عبد الملك بن عمير؟ قال: نعم، قال ابن أبي حاتم: فذكرت ذلك لأبي فقال: هذا وهمٌ إنما هو عبد الملك بن أبي سليمان وعبد الملك بن عمير لم يوصف بالحفظ.^٨

١. ج ٤، ص ١٤٠.

٢. ج ٥، ص ٣٨٢.

٣. المستدرک، ج ٣، ص ٧٥.

٤. المعجم الاوسط، ج ٤، ص ١٤٠؛ ج ٥، ص ٣٤٤؛ ج ٦، ص ٧٦.

٥. سنن ابن ماجه، ج ١، ص ١١٧.

٦. ج ٥، ص ٢١٢.

٧. ج ٣، ص ٩٧٠.

٨. تهذيب التهذيب، ج ٦، صص ٣٦٥ و ٣٦٦.

وفي ميزان الاعتدال للذهبي، قال أبو حاتم: ليس بحافظٍ، تغير حفظه. وقال أحمد: ضعيف، يغلط. وقال ابن معين: مخلط. وقال ابن خراش: كان شعبة لا يرضاه.^١ وفي سند الترمذي أيضاً هلال مولى ربي وهو مجهول، قال فيه الذهبي: ما حدث عنه سوى عبد الملك بن عمير.^٢

وقد ورد هلال في أسانيد عديدة، وجهالته تغنيا عن ذكرها.

قال الحاكم: وقد وجدنا له شاهداً بإسنادٍ صحيحٍ عن عبدالله بن مسعود حدثنا أبو بكر بن إسحاق أنبا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى ابن سلمة بن كهيل حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن أبي الزعراء عن عبدالله بن مسعود (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه...)^٣.

إن الحاكم متساهل وإن صحَّ الحديث، وفي هذا السند يحيى بن سلمة بن كهيل، وقد ورد الرجل في سند هذه الرواية عند الطبراني.^٤

قال ابن حجر في ترجمته: قال الدوري عن ابن معين: ضعيف الحديث، وقال مضر ابن محمد عن ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: منكر الحديث ليس بالقوي وقال البخاري: في حديثه مناكير، وقال الترمذي: يضعف في الحديث وقال النسائي: ليس بثقة. وذكره ابن حبان في الثقات وقال في حديث ابنه عنه مناكير. مات سنة تسع وسبعين ومائة وقال مطين: مات سنة اثنتين وسبعين. قلت: وذكره ابن حبان أيضاً في الضعفاء فقال: منكر الحديث جداً لا يحتجُّ به وقال النسائي في الكنى: متروك الحديث، وقال ابن نمير: ليس ممن يكتب حديثه وقال الدارقطني متروك وقال مرة ضعيف وقال العجلي

١. ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٦٦٠.

٢. ميزان الاعتدال ج ٤، ص ٣١٧.

٣. المستدرک على الصحيحين، ج ٣، صص ٧٥ و ٧٦.

٤. المعجم الكبير، ج ٩، ص ٧٢.

ضعيف الحديث، وكان يغلو في التشيع وقال ابن سعد: كان ضعيفاً جداً وقال البخاري في الأوسط منكر الحديث، وذكره يعقوب بن سفيان في باب [من يرغب عن الرواية عنهم]: وكنت أسمع أصحابنا يضعفونهم، وقال الآجري عن أبي داود: ليس بشئ.^١
وفي سند الحاكم أيضاً اسماعيل بن يحيى بن سلمة وهو متروك.^٢
وفيه أيضاً إبراهيم بن اسماعيل، وهو ضعيف.^٣

وروى ابن عساكر هذا الحديث في تاريخه بهذا السند: أخبرنا أبو شكر محمد بن أبي طاهر حمد بن أبي نصر عبدالله بن الحسين المستوفي بأصبهان حدثنا أبو عمرو بن مندة حدثنا أحمد بن سعد البغدادي بتيس حدثنا محمد بن عبد العزيز بن ربيعة الكلابي حدثنا أحمد بن رشد بن خثيم حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح عن فراس بن يحيى عن الشعبي عن علقمة بن قيس عن عبدالله بن مسعود قال...^٤
وفيه أحمد بن رشد بن خثيم، ذكره الذهبي في المغني في الضعفاء،^٥ وقال فيه: أحمد ابن رشد الهلالي عن سعيد بن خثيم بخبر باطل في بني العباس فحكم ببطلان الخبر لورود ابن خثيم فيه.

قال الزيلعي في نصب الراية عنه: فإنه متهم، وله أحاديث أباطيل.^٦

هذه أشهر أسانيد هذا الحديث، وقد ضعفها أكثر من واحد بسبب وهنها، فقد ضعف الحديث ابن حزم حيث قال: «فلو أننا نستجيز التدليس والأمر الذي لو ظفر به خصومنا، طاروا به فرحاً أو أبلسوا أسفاً، لاحتججنا بما روي «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»

١. تهذيب التهذيب ج ١١، ص ١٩٧.

٢. تقريب التهذيب، ج ١، ص ١٠٠.

٣. المصدر نفسه، ص ٥٣.

٤. تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٠، صص ٢٢٧ و ٢٢٨.

٥. ج ١، ص ٦٦.

٦. نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الأملعي في تخريج الزيلعي، ج ١، ص ٣٤٨.

(قال أبو محمد) ولكنّه لم يصحّ ويعيدنا الله من الاحتجاج بما لا يصحّ^١.

وقد أعل الحديث أبو حاتم أيضاً^٢.

وقال عنه شيخ الإسلام أحمد بن يحيى الهروي: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» باطل^٣.

قال مقبل بن هادي الوادعي السلفي: قال الترمذي (رحمه الله) ج ١٠ ص ١٤٧: حدثنا الحسن بن الصباح البزار، اخبرنا سفيان بن عيينة، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي - وهو ابن حراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «اقتدوا باللذين من بعدي: ابي بكر وعمر» هذا حديث حسن. ثم عقبه الترمذي بأنّه منقطع وأنّ عبد الملك بن عمير لم يسمعه من ربعي، إنّما سمعه من مولى ربعي هلال. قال أبو عبد الرحمن: وهلال مولى ربعي مجهول، لم يرو عنه إلا عبد الملك بن عمير، ولم يوثقه معتبر، وزاد المناوي في «فيض القدير» أنّ ابن حجر يقول: إنّ ابا حاتم أعلّه بأنّ ربعي بن حراش لم يسمعه من حذيفة، وما ذكر أنّ حديث ابن مسعود وحديث أنس يشهدان له لا يصلح، لأنّه منقطع، وهما شديدا الضعف، والله اعلم^٤.

قال المحقق السلفي حسان عبد المنان: وأما ما جاء في الحديث: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» فلا يصحّ. فهذه الروايات فيها اضطراب شديد. وعلى أي حال فإنّ الحديث لا يطمأن لتقويته، وقد ضعّفه البزار، وابن حزم^٥.

ولو افترضنا صحّة الحديث، فيُفترض أن يكون (صلى الله عليه وآله وسلم) قال اقتدوا باللذين من بعدي أبا بكر وعمر، على أن يكونا مأمورين بالاقتداء - بغيرهم - واللذان بعد

١. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٤، ص ١٠٨.

٢. فيض القدير، للمناوي ج ٢، ص ٥٦.

٣. الدر التزيد، ص ٩٧.

٤. أحاديث معلقة ظاهرها الصحة، ص ١٢٠.

٥. حوار مع الشيخ الألباني، ص ١٤٦.

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاب الله وعترته، كما ذكر في الخبر المشهور المتفق عليه، فلو كانت الرواية صحيحة لكان معنى قوله بالنصب اقتدوا بالذين من بعدي كتاب الله والعتره أبا بكر وعمر^١.

وهذا أقرب الوجوه لمعنى الحديث، إذ إنَّ النبي صلى الله عليه وآله أوصى بالتمسك بالعتره في الخبر القطعي.

إنَّ مخالفة الصحابة لأبي بكر وعمر معلوم ومسطور في كتب الحديث والسير، ومخالفة أبي بكر وعمر لبعضهما مما لا يخفى على باحث، فهل يأمر النبي الناس باتباع المتناقضات؟!

ولا معنى لتخصيص الاقتداء بهما دون غيرهما، هذا مع أنَّهما كانا يرجعان لسائر الصحابة في كثير من الأمور، حتى إنَّ امرأة ردت على عمر وصححت له واعترف بخطئه، ولم يقل هو أو أبو بكر يوماً للناس أنتم مأمورون بالاقتداء بنا! ولو صحَّ النصَّ لاحتجَّ به في السقيفة دون حديث «الأئمة من قريش» فهذا أقوى في تحقيق هدفهما.

هل يكفي الاقتداء بالشيخين لتحصيل النجاة؟! فالأشاعرة يدعون تمسكهم بالشيخين، والسلفية يدعون ذلك، وكلَّ طرف يتهم الآخر بالضلال، لذا فلا يكفي التمسك بهما لرفع الخلاف وتحصيل النجاة. وكيف يكون الاقتداء بهما وهما ميتان؟! وإذا اختلفا بمن نقتدي؟! وهل يأمر النبي (صلى الله عليه وآله) أمراً مطلقاً بإطاعة الشيخين وهما عرضة للخطأ؟! أم أنَّ النص صدر في مناسبة خاصة، فعمم لاحقاً ليضفي الشرعية على مذهبٍ ما؟!

كل هذه الأسئلة تدعونا للشك حول صدور هذا القول.

- كما أنَّ الحديث لم يروه الشيخان وحسبه بذلك ضعفاً كما نقلنا سابقاً عن ابن عبد البر.

الحديث السادس: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء

عن العرياض بن سارية قال...: فوعظنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأنّ هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإنّ من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»^١.

هذا الحديث له أهمية كبيرة عند الجمهور والسلفيين خاصة، حيث بُنيت عليه أحكام فقهيه وقواعد أصولية واعتقادية.

الذين استدلّوا بالحديث

- ١- ابن تيمية، حيث قال: ثم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتّباع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باطناً وظاهراً، واتّباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتّباع وصية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»^٢.
- ٢- الامام الصابوني في كتابه: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص ١٢٨.
- ٣- محمد بن نصر المروزي: ذكر استدلاله موسم النفيعي في كتابه الامام محمد بن نصر المروزي وجهوده في بيان عقيدة السلف والدفاع عنها^٣.
- ٤- محمد بن عبد الوهاب في: أصول الايمان^٤.
- ٥- أعضاء اللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية، حيث قالوا: فأخبر رسول الله (صلى الله

١. سنن أبي داود، في السنة، باب لزوم السنة، حديث رقم ٤٤٤٣، ج ١٢، ص ٣٩٣.

٢. مجموعة الفتاوى، ج ٣، ص ١٠٣ وذكره في مواضع عدة منها، ج ٣، ص ٢٥٠؛ ج ٤، ص ٢٤٤؛ ج ٢٠، ص ١٧٠؛ في منهاج

السنة، ج ٤، ص ١٦٤؛ ج ٧، ص ٥٠٣.

٣. ج ٢، ص ٦٢٨.

٤. ج ٢، ص ٦٢٨.

عليه وسلم) بأنه سيقع في أمته اختلاف كثير وتتشعب بهم الطرق والمناهج، وتكثر فيهم البدع والمحدثات وأمر المسلمين أن يعتصموا بكتاب الله، وأن يتمسكوا بسنته ويعضوا عليها بالنواجذ.^١

هؤلاء وغيرهم كثيرون استدلوا بهذا الحديث.

وجه الاستدلال

قال ابن القيم: فقرن سنة خلفائه بسنته وأمر باتباعها كما أمر باتباع سنته وبالغ في الأمر بها حتى أمر بأن يعضّ عليها بالنواجذ وهذا يتناول ما أفتوا به وسنّوه للأمة وإن لم يتقدّم من نبههم فيه شيء وإلا كان ذلك سنته ويتناول ما أفتى به جميعهم أو أكثرهم أو بعضهم لأنّه علّق ذلك بما سنّه الخلفاء الراشدون، ومعلوم أنّهم لم يسنوا ذلك وهم خلفاء في أنّ واحد، فعلم أنّ ما سنّه كلّ واحدٍ منهم في وقته فهو من سنة الخلفاء الراشدين.^٢

وقال أحمد سلام السلفي بعد ذكره الحديث: فهذا هو المنهج الذي أمر به (صلى الله عليه وسلم) أمته عند وقوع الاختلاف والتفرق، التمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين.^٣

نظرة أولية

يُروى هذا الحديث على أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قاله بعد صلاة الصبح وفي آخر عمره الشريف كما يفهم من قولهم: «كأنّها موعظة مودع» حيث وعظ الناس موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، والمفروض أن لا تُنسى مثل هذه الموعظة، وأن تروى وتصل للأمة الإسلامية على افتراض صحّة صدورها عنه (صلى الله عليه وسلم) وعلى الرغم من وجود الصحابة، إذ يمكن القول إنّّه كان يصلي خلف النبي الآلاف في آخر

١. فتاوى اللجنة الدائمة، ج ٢، صص ٢٠٠ و ٢٠١.

٢. إعلام الموقعين، ج ٤، ص ١٤٠.

٣. ما أنا عليه وأصحابي، ص ٥٨.

حياته، إلا أنّ هذه الوصية لم ترو إلا عن العرباض بن سارية، ولم يُنقل إلينا أنّ أحداً غير العرباض روى هذا الحديث، وهذا يدفعنا إلى الشكّ في صحة صدوره عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وإلا لما كان ليخفى على الخلفاء وابن عباس وابن عمر وغيرهم من الرواة! ولو صح ما كان ليخفى على البخاري ومسلم مع حفظهما لعشرات الآلاف من الأحاديث!

الراويان الأساسيان

روي هذا الحديث بأسانيد تنتهي كلها إلى العرباض بن سارية يرويها عنه عبدالرحمن بن عمرو السلمي.

ترجمة العرباض

هو من بني سليم، كنيته أبو نجيح، صحابي من أهل الصفة، سكن حمص قال خليفة ابن خياط: «مات في فتنة ابن الزبير»، وقال أبو مسهر: «مات بعد ذلك سنة خمس وسبعين». قال المزي: «وهو قديم الموت».^١

كان العرباض يزعم أنّه رابع من أسلم، قال ابن حجر: وقال أيضاً كلّ واحدٍ من عمرو ابن عبسة والعرباض بن سارية: أنا رابع الإسلام، لا يدري أيهما قبل صاحبه.^٢

إنّ زعم العرباض هذا باطل، ولم يذكره أهل التاريخ في أوائل من أسلموا، فقد قال ابن إسحاق: وكان أول من اتبع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خديجة بنت خويلد زوجته ثم كان ذكر آمن به علي وهو يومئذ ابن عشر سنين ثم زيد بن حارثه ثم أبوبكر الصديق (رضي الله عنهم)... فأسلم على يديه - أبي بكر - فيما بلغني الزبير بن العوام وعثمان

١. تهذيب الكمال، ج ١٩، ص ٥٥، راجع ترجمته في الإصابة، ج ٤، صص ٣٩٨ و ٣٩٩؛ أسد الغابة، ج ٤، صص ١٩ و ٢٠؛

سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤١٩-٤٢٢.

٢. الإصابة، ج ٤، ص ٣٩٩؛ تاريخ دمشق، ج ٤٠، ص ١٨٥.

ابن عفان وطلحة بن عبيدالله وسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف... فكان هؤلاء
النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الاسلام فصلّوا وصدّقوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وآمنوا
بما جاء من عند الله تعالى.^١

فقول العرياض أنّه رابع الإسلام، يبعث فينا الريبة بالنسبة إلى أقواله الأخرى!

ترجمة عبد الرحمن بن عمرو السلمي

عبد الرحمن بن عمرو السلمي راوي الحديث عن العرياض وارد في كلّ طرق
الحديث، وحين نرجع إلى ترجمته لا نجد من وثقه أو جرحه!
فأول من ترجمه ابن سعد، حيث قال: عبد الرحمن بن عمرو السلمي، مات سنة عشر
ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك.^٢

ثم ذكره البخاري في تاريخه الكبير، حيث قال: عبد الرحمن بن عمرو السلمي،
سمع عرياض بن سارية، سمع منه خالد بن معدان وضمرة بن حبيب الشامي وروى عنه
عبد الأعلى بن هلال.^٣

وذكره ابن حبان في الثقات ولم يزد على كلام البخاري شيئاً.^٤

وحين ننظر في كتب المتقدمين مثل كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، وتاريخ
الثقات للعجلي، وذكر أسماء التابعين للدارقطني وغيرها من الكتب، لا نجد ذكراً
للسلمي.

هذا كلّ ما قيل عن الرجل عند الأقدمين، وقال ابن حجر: له في الكتب حديث واحد

١. سيرة ابن اسحاق، تحقيق الدكتور سهيل زكار، ج ٢، صص ١٢٠ و ١٢١؛ نقل مضمون هذا الكلام الذهبي في تاريخ الإسلام
ج ١، ص ١٣٨؛ ابن كثير في تاريخه، ج ٣، ص ٣٩ وغيرهما دون أي اعتراض، ولا يوجد ذكر للعرياض بين السابقين
إلى الاسلام.

٢. الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٣١٢.

٣. ج ٥، ص ٣٢٥.

٤. ج ٥، ص ١١١.

في الموعظة صحَّحه الترمذي.^١

ومنه نخلص إلى جهالة عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وإلى هذا ذهب أحد جهابذة أهل الحديث وهو القطان الفاسي، مما يعني عدم صحة الحديث عنده.^٢
وقال الذهبي: قلت علقت من تأليفه كتاب الوهم والأيهام فوائد تدل على قوة ذكائه وسيلان ذهنه وبصره بالعلل.^٣

وكان شعبة بن الحجاج - أحد أمراء المؤمنين في الحديث - يقول: لأن يصحَّ لي مثل هذا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أحبَّ إليَّ من والدي وولدي والناس أجمعين.^٤
وذهب إلى هذا الرأي بعض المعاصرين، منهم المحقق السلفي حسان عبد المنان، وكتب رسالة في ذلك بعنوان حوار مع الشيخ الألباني في مناقشة لحديث العرباض بن سارية ووافقه الباحث السلفي محمد الأمين.

نظرة في أسانيد الحديث

أسانيد الترمذي

للحديث سندان ينتهيان إلى عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرباض بن سارية، وصحَّحه، وهما:

السند الأول: حدثنا علي بن حجر، أخبرنا بقية بن الوليد، عن بحير بن سعيد عن خالد بن معدان، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، عن العرباض بن سارية قال...

١. تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٢١٦.

٢. الوهم والأيهام، ج ٢، ص ٣٥؛ قال السيوطي في ترجمته؛ ابن القطان، الحافظ العلامة، قاضي الجماعة، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم الحميري الكتامي الفاسي، سمع أبا ذر الخثني وطبقته. وكان من أبصر الناس بصناعة الحديث، وأحفظهم لأسماء رجاله، وأشدهم عناية في الرواية، معروفًا بالحفظ والالتقان. صنف: الوهم والأيهام على الأحكام الكبرى لعبد الحق. مات في ربيع الأول سنة ٦٢٨؛ طبقات الحفاظ، ص ٤٩٨.

٣. سير أعلام النبلاء، ج ٢٢، ص ٣٠٧.

٤. ذكره عنه الحاكم في المستدرک، كتاب العلم، ج ١، ص ٩٧.

السند الثاني: حدثنا بذلك الحسن بن علي الخلال وغير واحد قالوا أخبرنا أبو عاصم، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، عن العرباض بن سارية...^١.

سند أبي داود

للحديث سند ينتهي إلى الراويين نفسيهما، وهو: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ثور بن يزيد، قال: حدثني خالد بن معدان، قال: حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر، قالوا: أتينا العرباض بن سارية...^٢

أسانيد ابن ماجه

ورد عبد الرحمن بن عمرو السلمي في طريقين عند ابن ماجه، وهما:
السند الأول: حدثنا عبدالله بن أحمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبدالله بن العلاء (يعني ابن زبر). حدثني يحيى بن أبي المطاع، قال: سمعت العرباض بن سارية يقول...

السند الثاني: حدثنا إسماعيل بن بشر بن منصور، وإسحاق بن إبراهيم السواق قالوا: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن ضمرة بن حبيب، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، أنه سمع العرباض بن سارية يقول...^٣

سند الدارمي

ورد السلمي مرة واحدة عند الدارمي حين روايته للحديث، وهو: أخبرنا أبو عاصم حدثنا ثور بن يزيد حدثني خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو عن عرباض بن

١. كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع.

٢. سنن أبي داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، ج ٢، ص ٣٩٣.

٣. سنن ابن ماجه: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ج ١، ص ١٦.

سارية قال...^١

أسانيد أحمد بن حنبل

ورد السلمي في ثلاثة طرق عند أحمد.

السند الأول: حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية يعني ابن صالح عن ضمرة بن حبيب عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرياض بن سارية قال...

السند الثاني: حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا الضحاك بن مخلد عن ثور عن خالد ابن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن عرياض بن سارية قال...

السند الثالث: حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ثور بن يزيد حدثنا خالد بن معدان قال حدثنا عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالوا أتينا العرياض بن سارية...^٢

أسانيد الحاكم

له طريقان فيهما السلمي.^٣

السند الأول: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا عباس بن محمد الدوري حدثنا أبو عاصم حدثنا ثور بن يزيد خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن عرياض بن سارية...

السند الثاني: حدثنا أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن أيوب حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي حدثنا عبدالله بن يوسف التتيسي حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو عن العرياض بن سارية...

١. سنن الدارمي، ج ١، باب اتباع السنة، ص ٤٥.

٢. مسند أحمد، ج ٤، صص ١٢٦ و ١٢٧.

٣. المستدرک، ج ١، صص ٩٥ و ٩٦ و صححه.

أسانيد الطبراني

ذكر عدة طرق للحديث فيها السلمي.

السند الأول: حدثنا أبو مسلم الكشي حدثنا أبو عاصم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرياض بن سارية...

السند الثاني: حدثنا موسى بن المنذر الحمصي حدثنا حياة بن شريح وحدثنا إبراهيم بن محمد بن عرق الحمصي حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا ببيعة عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرياض بن سارية...

السند الثالث: حدثنا أبو يزيد القرايطسي حدثنا أسد بن موسى وحدثنا بكر بن سهل حدثنا عبدالله بن صالح قال حدثنا معاوية بن صالح عن ضمرة بن حبيب عن عبدالرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع عرياض بن سارية...

السند الرابع: حدثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي حدثني جدي إبراهيم بن العلاء ومحمد بن إبراهيم قال حدثنا ببيعة بن الوليد عن سليمان بن سليم عن يحيى بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرياض بن سارية قال...

السند الخامس: حدثنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري حدثني أبي حدثنا عبدالعزيز بن أبي حازم حدثنا يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن خالد بن معدان عن عمه عن العرياض بن سارية...

السند السادس: حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي حدثنا إبراهيم بن عبدالله بن العلاء بن زبر حدثني أبي عن يحيى بن أبي المطاع عن العرياض بن سارية السلمي قال...

السند السابع: حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو حدثنا أبو وابنه حدثنا إسماعيل ابن عياش عن أرطاة بن المنذر عن مهاصر بن حبيب عن العرياض بن سارية قال ...

السند الثامن: حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة الدمشقي حدثنا حياة بن شريح الحمصي حدثنا بقية عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن أبي بلال عن العرباض بن سارية قال...^١

وممن روى الحديث ابن عبد البر بأسانيد عديدة، وابن أبي عاصم عن السلمي عن العرباض.^٢

هؤلاء أشهر من روى حديث العرباض، وفي الميزان العلمي لا تعني كثرة الرواية شيئاً ما دامت تلتقي في نهاية السند براً ومجهولاً.

وقد صحح الحديث الترمذي والحاكم، ووثق السلمي ابن حبان، وهذه وقفة لبيان حقيقة أقوالهم.

توثيق ابن حبان

من المعروف عند أهل الاختصاص أنّ ابن حبان متساهل وتوثيقاته لا يعتد بها. قال الإمام الحافظ السخاوي: وابن حبان يداني الحاكم في التساهل وذلك يقتضي النظر في أحاديثه أيضاً، لأنه غير متقيد بالمعدلين، بل ربما يخرج للمجهولين ولا سيما ومذهبه إدراج الحسن في الصحيح.^٣

قال الذهبي: «ابن حبان ربما جرح الثقة حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه!».^٤ وقال الذهبي في ترجمة محمد بن الفضل السدوسي عارم: «وقال الدارقطني: تغير بآخره، وما ظهر له بعد اختلاطه حديثٌ مُنكَرٌ، وهو ثقة. قلت - أي الذهبي - فهذا قول حافظ العصر الذي لم يأت بعد النَّسائي مثله. فأين هذا القول من قول ابن حبان

١. المعجم الكبير، أرقام الأحاديث، من ٦١٨ إلى ٦٢٤.

٢. راجع: جامع بيان العلم، ج ٢، صص ١١٦٣-١١٦٨، السنة، صص ٢٩ و ٣٠.

٣. فتح المغيب، ج ١، ص ٣٥.

٤. ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٤٤١.

الخَسَافَ المتهوِّرَ في عارم في؟!»^١.

قال ابن حجر معلقاً على كلام لابن حبان: «وهذا الذي ذهب إليه ابن حبان من أنّ الرجل إذا انتفت جهالة عينه كان على العدالة إلى أن يتبين جرحه، مذهب عجيب والجمهور على خلافه وهذا هو مسلك ابن حبان في كتاب الثقات الذي ألفه»^٢.

قال ابن حبان في ترجمة الفرع: «شهد القادسية، يروي عن المقنع، وقد قيل: أنّ للمقنع صحبة، - يقول - ولست أعرف فزعاً ولا مقنعاً ولا أعرف بلدهما، ولا أعرف لهما أباً، وإنّما ذكرتهما للمعرفة لا للاعتماد على ما يرويانه»^٣.

قال الشيخ الألباني في مقدمته لصحيح موارد الضمآن، معلقاً على ما سبق: «وهذا نصٌّ هامٌّ جداً جداً، وشهادة منه - لا أقوى منها - على أنّ كتابه الثقات ليس خاصاً بهم، وإنّما هو لمعرفةهم، ومعرفة غيرهم من المجهولين والضعفاء، ونحوهم. غير أنّ هذا النصّ زاد عليه أنّه أعلمنا أنه يذكر هؤلاء للمعرفة، لا على أنّهم من الثقات الذين يحتجّ بخبرهم عنده»^٤.

وقال أيضاً: إنّ ابن حبان متساهل في التوثيق، فإنّه كثيراً ما يوثق المجهولين، حتى الذين يصرح هو نفسه أنّه لا يدري من هو، ولا من أبوه!^٥

وقال ابن عبد الهادي: وينبغي أن ينتبه لهذا، ويعرف أنّ توثيق ابن حبان للرجل بمجرد ذكره في هذا الكتاب من أدنى درجات التوثيق.^٦

وبعد ما ذكر فلا يجوز الاحتجاج بتوثيق ابن حبان للسلمي.

١. ميزان الاعتدال، ج ٦، ص ٢٩٨.

٢. لسان الميزان، ج ١، ص ٢٠٨.

٣. الثقات، ج ٧، ص ٣٢٦.

٤. ج ١، ص ٩١.

٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ١، ص ٨٠.

٦. الصارم المُنكي، صص ١٠٣ - ١٠٥.

تصحيح الترمذي

إنَّ تصحيح الترمذي للحديث هو توثيق للسلمي، ولكنَّ هذا التوثيق غير مقبول من الترمذي، ولا يعتمد العلماء على تصحيحه كما ذكر الذهبي.

روى الترمذي حديث «الصلح جائز بين المسلمين» وصحَّحه بالرغم من أنَّ فيه كثير ابن عبدالله، وهو مجمع على ضعفه. وحين تعقبه الذهبي قال: «فلهذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذي».^١

وقال الذهبي في مكان آخر: فلا يُعْتَرَّ بتحسين الترمذي. فعند المحاققة غالبها ضعاف.^٢ وقال ابن القيم: الترمذي يصحَّح أحاديث لم يتابعه غيره على تصحيحها. بل يصحَّح ما يضعفه غيره أو ينكره.^٣

قال الشيخ الألباني: وتحسين الترمذي لحديثه - كثير بن عبدالله - من تساهله الذي عرف به.^٤

وقال أيضاً: ولكن مقابل هذه الأحاديث أحاديث أخرى قواها المؤلف (رحمه الله)، وهي في نقدي ضعيفة الأسانيد لا جابر لها، بل بعضها موضوع.^٥

كما ردَّ الألباني على أحد الناقدين لكلمة الذهبي السابقة فقال: تساهل الترمذي، إنكاره مكابرة، لشهرته عند العلماء. وقد تتبعت أحاديث سننه حديثاً حديثاً، فكان الضعيف منها نحو ألف حديث، أي: قريباً من خمس مجموعها، ليس منها ما قوَّيته لمتابع أو شاهد.^٦

١. ميزان الاعتدال، ج ٥، ص ٤٩٣.

٢. المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٣١.

٣. الفروسية، ص ٢٤٣.

٤. تمام المنة، محمد ناصر الألباني، ص ٣٩١.

٥. ضعيف سنن الترمذي، المقدمة ١٦.

٦. السلسلة الضعيفة، ج ٣، ص ٣٠.

كما أنه لا يعتني بتوثيق الترمذي لرجل مجهول، فقال في عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي: عمرو هذا في عداد المجهولين لأن صحّح له الترمذي. وقال أحمد الغماري بعد ذكر حديث للترمذي وقد حسنه: غريب جداً أن يحسن الترمذي هذا الحديث مع كونه ظاهر الوضع بديهي البطلان.^١

تصحيح الحاكم

روى الحاكم الحديث فقال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا عباس بن محمد الدوري حدثنا أبو عاصم حدثنا ثور بن يزيد حدثنا خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرياض بن سارية قال: صلى لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صلاة الصبح ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودّع! فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبداً حبشي، فإنه من يعش منكم فسيري اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»، ثم قال: هذا حديث صحيح ليس له علة، وقد احتج البخاري بعبد الرحمن بن عمرو وثور بن يزيد... وقال في رواية أخرى: «هذا اسناد صحيح على شرطهما جميعاً ولا أعرف له علة».^٢

لقد توهم الحاكم، وربما هي الغفلة التي أصابته في آخر عمره، فقد ظن أن السلمي من رجال البخاري واشتبه بينه وبين عبد الرحمن بن عمرو بن سهل المدني الانصاري، فلهذا وثقه، وفي رجال الصحيحين لابن القيسراني لا يوجد له ذكرٌ أبداً، قال ابن رجب الحنبلي رداً على الحاكم - وكانه لا يصحّح الحديث! - ليس الأمر كما ظنّه، وليس الحديث على شرطهما فإنهما لم يخرجوا لعبد الرحمن بن عمرو السلمي ولا لحجر

١. جؤنة العطار، ج ١، ص ١٦.

٢. المستدرک، ج ١، ص ٩٥ - ٩٨.

الكلاعي شيئاً وليس ممن اشتهر بالعلم والرواية.^١

وتوثيقات الحاكم محلّ كلام عند أهل الحديث،

قال ابن تيمية: إنّ أهل العلم متفقون على أنّ الحاكم فيه من التساهل والتسامح في باب التصحيح، حتّى أنّ تصحيحه دون تصحيح الترمذي.^٢

وقال الذهبي في باب «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» إنّ الحاكم من المتساهلين كالترمذي.^٣

وقد يقال إنّ توثيق ثلاثة من المتقدمين للسلمي كافٍ لوثاقته، وهذا غير دقيق، فهم غير معتمدين عند أهل الحديث بالتوثيق وعرفوا بالتساهل، لقد تلاقوا في المنهج وهذا كلّ ما في الأمر وهو التساهل في التصحيح. فلا بدّ من النظر في توثيقهم، لنلا نقع في اشتباه فنصح حديث الضعيف والمجهول، والعبرة ليست بكثرة الموثّقين، ولكن بصحة توثيقهم، وقربه من الواقع.

وقد يقال إنّ السلمي قد روى عنه اثنان فأكثر وهذا يرفع عنه الجهالة، وهذا القول لا يثبت أكثر من العدالة دون الحفظ.

قال الحاكم: وقد تابع عبد الرحمن بن عمرو على روايته عن العرباض بن سارية ثلاثة من الثقات الاثبات من أئمة أهل الشام، منهم حجر بن حجر الكلاعي، ومنهم يحيى بن أبي المطاع القرشي، ومنهم معبد بن عبدالله بن هشام القرشي.

حجر بن حجر الكلاعي

قال ابن رجب الحنبلي في السلمي وحجر بن حجر: وليس ممن اشتهر بالعلم والرواية.^٤

١. جامع العلوم والحكم، ص ٢٥٧.

٢. الفتاوى الكبرى، ج ١، ص ٩٧.

٣. ص ١٧٢.

٤. جامع العلوم والحكم، ص ٢٥٧.

أما حجر بن حجر فهو مجهول ولم يوثقه إلا ابن حبان والحاكم وهما متساهلان، وقال ابن القطان: وحجر بن حجر هذا لا يعرف.^١

قال ابن حجر: روى له ابو داود حديثا واحدا في طاعة الأمير.^٢
فهو مجهول يروى عن مجهول!

يحيى بن أبي المطاع القرشي

إنَّ يحيى لم يلتق العرباض حتى يسمع منه، قال الذهبي: وقد استبعد دُحيم لقبيه للعرباض، فلعله أرسل عنه، فهذا في الشاميين كثير الوقوع، يروون عن من لم يلحقوهم.^٣

وقال الحافظ ابن رجب: وقد ذكر البخاري في تاريخه (ج ٨، ص ٣٠٦): إنَّ يحيى بن أبي المطاع سمع من العرباض اعتماداً على هذه الرواية. إلا أنَّ حفاظ أهل الشام أنكروا ذلك، وقالوا: يحيى بن أبي المطاع لم يسمع من العرباض ولم يلقه، وهذه الرواية غلط. وممن ذكر ذلك أبو زرعة الدمشقي وحكاه عن دُحيم. وهؤلاء أعرف بشيوخهم من غيرهم. والبخاري رحمه الله يقع له في تاريخه أوهام في أخبار أهل الشام.^٤

قال أبو زرعة الدمشقي: فقلت لعبد الرحمن بن إبراهيم (دحيم) تعجباً لقرب يحيى ابن أبي المطاع وما يُحدِّث عنه عبدالله بن أبي العلاء بن زبر أنَّه سمع من العرباض بن سارية، فقال: أنا من أنكروا الناس لهذا.^٥

إنَّ البخاري قد وقع في أوهام بخصوص رجال الشام، فلا يمكن الاعتماد على قوله، قال أبو العباس بن عقدة: «قد يقع لمحمد بن إسماعيل الغلط في أهل الشام، وذلك أنَّه أخذ كتبهم فنظر فيها، فربَّما ذكر الواحد منهم بكنيته، ويذكره في موضع آخر باسمه،

١. الوهم والأيهام، ج ٢، ص ٣٥.

٢. تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ١٨٨.

٣. ميزان الاعتدال، ج ٤، ص ٤١٠.

٤. جامع العلوم والحكم، ج ١، ص ٢٥٩.

٥. تاريخ أبي زرعة، ج ١، ص ٦٠٥.

ويتوهم أنّهما اثنان»^١.

قال الذهبي في ترجمة خالد بن الجلاج العامري: وقال البخاري: سمع من عمر، والبخاري ليس بالخبير برجال الشام، وهذه من أوهامه.^٢

وقال في ترجمة القاسم أبي عبد الرحمن الدمشقي: وذكر البخاري في تاريخه: أنّه سمع علياً وابن مسعود فوهم.^٣

أما معبد بن عبدالله بن هشام القرشي، فلا يعتدّ بمتابعته، لقول الحاكم نفسه: وليس الطريق إليه من شرط هذا الكتاب فتركته.

رواية المهاصر بن حبيب

ادّعى المهاصر بن حبيب أنّه سمع الحديث من العرباض، فقد أخرج له الطبراني الحديث يرويه عن العرباض.^٤

الملاحظ أنّ المهاصر توفي سنة (١٢٨ هـ. ق) والعرباض توفي قبله، فقد قيل توفي سنة (٧٥ هـ. ق) لذا من المستبعد سماع المهاصر من العرباض، حتى إنّ ابن حبان تردّد في طبقة المهاصر، فمّرّ جعله في طبقة التابعين ومّرّ في طبقة تابعي التابعين، وخالد بن معدان الحمصي المتوفى (١٠٣ هـ. ق) يروي الحديث عن السلمي التابعي على الرغم من وجود العرباض في حمص، وكذا رواه يحيى بن جابر الطائي وضمرة بن حبيب (أخ المهاصر) عن السلمي، فلماذا لا يروونه عن العرباض مباشرة وهو ساكن في مدينتهم نفسها؟! وهم أكبر سنّاً من المهاصر وأولى برواية الحديث منه.

إنّ الارسال في الحديث مشهور عن الشاميين، ومن القوي جداً أن يكون المهاصر قد

١. تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ١٠٢.

٢. تاريخ الإسلام، ج ٧، ص ٣٥٥.

٣. تاريخ الإسلام، ج ٧، ص ٤٥٠.

٤. المعجم الكبير، للطبراني وغيره، ج ١٨، ص ٦٢٣.

سمع الحديث من أخيه أو من عبد الرحمن السلمي ولكنه أرسله عن العرياض كما هي عادة الشاميين.

قال الذهبي: فهذا في الشاميين كثير الوقوع، يروون عمّن لم يلحقوهم.^١

وقال أيضاً: رواية أبي سلام، وشهر بن حوشب، وشريح بن عبيد بن أبي مالك مرسلة منقطعة، وهذا الإرسال كثير في حديث الشاميين.^٢

في عمق الحديث

إنّ مصطلح الخلفاء الراشدين لم يكن متداولاً في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا في فترة حكم الخلفاء، وليس هناك سند تاريخي واحد يدلّ على وجود هذا المصطلح بين الناس إلا عند العرياض بن سارية، ولم يروه إلا في الشام كما يظهر من جميع رواته الشاميين، على أنّه من المناسب في فترة حكم عثمان وأثناء الثورة التي حدثت ضدّه أن يرفع هذا الحديث شعاراً ليمنح نفسه الشرعية، أو يطرحه العرياض ليجنّب الناس الفتنة، فلماذا أخفاه العرياض ولم يسمع به أحد غيره؟!

الملفت للانتباه أنّ الصحابة لم يثيروا أي تساؤل حول هوية الخلفاء الراشدين الذين يرجع الناس لسنتهم عند الاختلاف، ولم يدّع أي واحد من الخلفاء الأربعة هذا اللقب لنفسه! يقول ابن تيمية: وكان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - (رضي الله عنهم) - هم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون الذين قال فيهم النبي (صلى الله عليه وسلم): «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين».^٣

ليس هناك دليل على أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنى بقوله هذا - على افتراض صحته - الخلفاء الثلاثة، وعلي (عليه السلام) ما كان يعتبر من الخلفاء إلى القرن الثالث

١. ميزان الاعتدال، ج ٤، ص ٤١٠.

٢. تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٢٩١.

٣. مجموعة الفتاوى، ج ٤، ص ٢٩٢.

الهجري حيث الحقه أحمد بن حنبل بهم، ويلاحظ أنّ أول من خالف العمل بهذا النص هم الصحابة أنفسهم، إذ ثاروا على عثمان، ولم يأخذوا بسنته، وكذلك حاربوا علياً (عليه السلام) الذي أمر النبي باتباع سنته. لقد اعتبر ابن تيمية علياً من ضمن الخلفاء الراشدين كما سبق، وهو نفسه اعترض على سنة علي (عليه السلام) وسيرته، ولم يعصّ عليها بالنواجذ! فقد قال في منهاجه: «فلا رأى أعظم ذمّاً من رأي أريق به دم ألوف مؤلفة من المسلمين، ولم يحصل بقتلهم مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا في دنياهم بل نقص الخير عمّا كان وزاد الشرّ على ما كان» ويعني بذلك علياً!

قال أيضاً: وإنّ علياً مع كونه أولى بالحق من معاوية لو ترك القتال لكان أفضل وأصلح وخيراً^١.

وقال كذلك: والمقصود هنا ما يعتذر به عن علي فيما أنكر عليه يعتذر بأقوى منه في عثمان، فإنّ علياً قاتل على الولاية وقتل بسبب ذلك خلق كثير عظيم ولم يحصل في ولايته لا قتال للكفار ولا فتح لبلادهم ولا كان المسلمون في زيادة خير.

إنّ قول ابن تيمية: «لو أنّ علياً بقي دون حرب وأنّه قاتل للرياسة، لكان أفضل»، هو ردٌّ على رسول الله الذي أمر باتباع سنة علي، وكلامه يدلّ على أنّه في قرارة نفسه يشك في كون علي (عليه السلام) من الخلفاء الراشدين وإلا لما جاز أن يعترض على سنته التي أمر النبي باتّباعها والعصّ عليها بالنواجذ كما يذهب هو لذلك!

إنّ تفسير الخلفاء الراشدين بمن ذكرت أسماؤهم مستمد من الواقع التاريخي لا غير، ولعلّ أفضل سبيل لمعرفة خلفاء النبي الشرعيين هو استنطاق النصوص النبوية حول خلفائه وصفاتهم، فقد حدّد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أكثر من موضع عدد خلفائه بأثني عشر خليفة.

رُوي عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي علي النبي (صلى الله عليه وسلم) فسمعتة يقول: «إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة» قال: ثم تكلم بكلام خفي عليّ. قال فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش.^١

وعن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة».^٢

في حديث العرباض يُروى أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال «الخلفاء الراشدين» وفي هذا النصّ الصحيح يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) «اثنا عشر خليفة» وفي الحديث مدح لهم إذ الإسلام يكون عزيزاً في فترة حكمهم. ولا شك أنّ أقوال النبي يفسر بعضها بعضاً، فلماذا لا يمكن أن يكون الخلفاء الراشدون اثني عشر؟! وهذا النص مهم جداً في هذا المقام، ففيه يحدّد عدد الخلفاء.

وهناك نص آخر يجعل المسألة أكثر وضوحاً، وفيه يحدّد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صفات خلفائه.

رُوي عن ابن عباس أنّه قال: سمعت علي ابن أبي طالب (رضى الله عنه) يقول: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «اللهم ارحم خلفائي». قلنا: يا رسول الله، من خلفائك؟ قال: «الذين يروون أحاديثي وستي ويعلمونها للناس».^٣

فخلفاء النبي يروون أحاديثه، ولا يجمعونها ويحرقونها كما فعل الخليفة الأول! وخلفاؤه يعلمون الناس سنته (صلى الله عليه وآله وسلم) لا أن يمنعوا الناس من التحدث عنه، ويضربوهم بالدرّة كما فعل الخليفة الثاني! فهل تتوفّر هذه الصفات في الخلفاء الثلاثة؟!

١. صحيح مسلم، كتاب الأمانة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، ج ٦، ص ٣.

٢. صحيح مسلم، كتاب الأمانة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، ج ٦، ص ٣.

٣. (المحدث الفاضل) الراهمزمي، ص ١٦٣؛ ولم يطعن به محمد عجاج الخطيب في الحاشية، ولا ابن تيمية كما سيأتي وراجع: المعجم الأوسط، للطبراني، ج ٦، ص ٣٩٥؛ جوامع بيان العلم، لابن عبد البر، ج ١، ص ٤٦؛ من مصادر الإمامية: الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٤٧؛ عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٤٠.

وقد يقال إن خلفاء النبي هنا، هم حملة الحديث من أمته، ولكن هذا مردود، ولا يوجد دليل عليه، فقد قال ابن تيمية: **وَوَلَاةُ الْأُمُورِ فِينَا هُمْ خُلَفَاءُ الرَّسُولِ ... وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ خُلَفَائِي»** قالوا: **وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ؟** قَالَ: **«الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنتِي يُعَلِّمُونَهَا النَّاسَ»** فَهَؤُلَاءِ هُمْ وَوَلَاةُ الْأُمُورِ بَعْدَهُ وَهُمْ الْأُمَرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَبِذَلِكَ فَسَّرَهَا السَّلَفُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ وَهُوَ ظَاهِرٌ قَدْ قَرَّرْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ^١

إن الحديث لم يخرج البخاري ومسلم، وهذا مما يضعفه كما ذكر ابن عبد البر، حيث قال: **«ولم يخرج البخاري ولا مسلم بن الحجاج منها حديثاً واحداً. وحسبك بذلك ضعفاً لها»**.^٢

لقد رفض الأمام علي (عليه السلام) العمل بسيرة الشيخين في قصة الشورى المعروفة، فلو كان الشيخان من الخلفاء الذين قصدهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما رفض علي (عليه السلام) العمل بسنتهم. فسنة علي (عليه السلام) هي عدم قبول سنة الشيخين، إذن ينبغي اتباع هذه السنة والتمسك بها والعصّ عليها بالنواجذ؟!

إن اختلاف الخلفاء هو أمر مشهور بين المسلمين، فكيف يُرجع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس إلى سنن مختلفة؟! قال ابن حزم: **ووجدنا الخلفاء الراشدين بعده (عليه السلام) قد اختلفوا اختلافاً شديداً، فلا بدّ من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها: إمّا أن نأخذ بكل ما اختلفوا فيه، وهذا ما لا سبيل إليه ولا يقدر عليه، إذ فيه الشئ وضده ولا سبيل إلى أن يورث أحد الجدّ دون الاخوة بقول أبي بكر وعائشة، ويورثه الثلث فقط وباقي ذلك للأخوة على قول عمر، ويورثه السدس وباقية للأخوة على مذهب علي. وهكذا في كل ما اختلفوا فيه، فبطل هذا الوجه، لأنّه ليس في استطاعة الناس أن يفعلوه فهذا وجه. أو يكون مباحاً لنا بأن نأخذ بأي ذلك شيئاً، وهذا خروجٌ عن الاسلام، لأنّه يوجب أن يكون دين**

١. مجموعة الفتاوى، ج ١٩، ص ١١٧.

٢. التمهيد، ج ١٠، ص ٢٧٨.

الله تعالى موكولاً إلى اختيارنا، فيحرم كل واحد منا ما يشاء، ويحل ما يشاء، ويحرم أحدنا ما يحله الآخر، وقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا﴾ يبطل هذا الوجه الفاسد، ويوجب أن ما كان حراماً حينئذٍ فهو حرام إلى يوم القيامة، وما كان واجباً يومئذٍ فهو واجب إلى يوم القيامة، وما كان حلالاً يومئذٍ فهو حلال إلى يوم القيامة. وأيضاً فلو كان هذا لكننا إذا أخذنا بقول الواحد منهم فقد تركنا قول الآخر منهم، ولا بدّ من ذلك فلسنا حينئذٍ متّبعين لسنتهم، فقد حصلنا في خلاف الحديث المذكور، وحصلوا فيه شأؤوا أو أبوا.

فإذا بطل هذان الوجهان فلم يبق إلا الوجه الثالث، وهو أخذ ما أجمعوا عليه، وليس ذلك إلا فيما أجمع عليه سائر الصحابة (رضوان الله عليهم) معهم، وفي تتبعهم سنن النبي (صلى الله عليه وسلم) والقول بها.

وأيضاً فإنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) إذا أمر باتباع سنن الخلفاء الراشدين لا يخلو ضرورة من أحد وجهين: إمّا أن يكون (صلى الله عليه وسلم) أباح أن يسنوا سنناً غير سننه، فهذا ما لا يقوله مسلم، ومن أجاز هذا فقد كفر وارتدّ وحل دمه وماله لأنّ الدين كلّهُ إمّا واجب أو غير واجب، وإمّا حرام وإمّا حلال، لا قسم في الديانة غير هذه الأقسام أصلاً، فمن أباح أن يكون للخلفاء الراشدين سنة لم يسنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أباح أن يحرموا شيئاً كان حلالاً على عهده (صلى الله عليه وسلم) إلى أن مات، أو أن يحلّوا شيئاً حرّمه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أو أن يسقطوا فريضة فرضها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يسقطها إلى أن مات، وكلّ هذه الوجوه من جوّز منها شيئاً فهو كافر مشرك بإجماع الأمة كلّها بلا خلاف، وبالله تعالى التوفيق، فهذا الوجه قد بطل ولله الحمد. وإمّا أن يكون أمر باتّباعهم في اقتدائهم بسنته (صلى الله عليه وسلم)، فهكذا نقول ليس يحتمل هذا

الحديث وجها غير هذا أصلاً.^١

يتّضح من كلام ابن حزم أنّ معنى الحديث هو الأخذ بما أجمع عليه الخلفاء، واتباعهم في اقتدائهم بسنته، وعلى افتراض صحّة الحديث فليس فيه وجه لدعم المدرسة السلفية في استدلالهم به، أمّا قوله إنّه يمكننا اتّباعهم في اقتدائهم بسنته (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو كلامٌ لا طائل منه، إذ يمكن الاقتداء به مباشرة دون الحاجة لسنتهم!

لو أنّ الخلفاء عملوا بسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحقٍّ وأمر النبي باتّباعهم في تبليغها للناس، لأمكن اتّباعهم، ولكنّهم عملوا بمسائل كثيرة خلاف السنة، والشواهد التاريخية تؤكد غياب كثير من السنن عنهم، فلم يكن أبو بكر يعلم أنّ الجدة ترث، ولم يكن عمر يعلم أنّ المرأة ترث من دية زوجها، ولم يعلم حكم المجوس في الجزية، ولم يكن عثمان يعلم بأنّ المتوفّى عنها زوجها تعتدّ في بيته.^٢

ولكن قد تكون السنن الصحيحة لم تبلغهم فعملوا بخلافها، كما يقول ابن تيمية.^٣ ولكن كيف يمكن اتّباعهم في مخالفة سنن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي كانوا يعرفونها؟!

فسنة النبي رجم الزاني المحصن، وأبو بكر لم يرحم خالد بن الوليد الذي زنى بزوجة مالك بن نويرة، وعلى افتراض عدم ثبوت زنا خالد، كان ينبغي على الخليفة أن يقيم حد القذف على عمر الذي اتّهم خالد بالزنا ولم يأت بأربعة شهداء!^٤

وعمر خالف سنة النبي مع علمه بها، فقد غير سنة النبي في نافلة رمضان وجعلها

١. الأحكام، ج ٦، صص ٨٠٥ و ٨٠٦.

٢. هذه الأمثلة وغيرها ذكرها ابن تيمية مجموعة الفتاوى، ج ١٩، صص ١٣٠-١٣٢.

٣. المصدر نفسه.

٤. راجع كتابنا (وركبت السفينة) ففيه تفصيل.

جماعة وسماها بدعة، وجعل الطلاق الثلاث يقع واحدة خلافاً لسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).^٢

وعثمان خالف سنة النبي في رده الحكم بن العاص طريد النبي، حيث نفاه النبي وراجع عثمان الشيخين في فترة حكمهما لارجاعه، فلم يستجيبا له، فلما ولي الحكم رده.^٣

فكيف يأمر النبي باتباعهم وقد خالفوا سنته مع علمهم بها؟!!

لم يكن الصحابة يرون سيرة الشيخين ذات ميزة خاصة يجب اتباعها، فهذا علي (عليه السلام) الذي يجب على الناس اتباع سنته بمقتضى حديث العرباض قد خالف عثمان، فقد روي أنه لما بلغ علياً أنّ عثمان ينهى عن متعة الحجّ، أهلّ بالحجّ والعمرة جميعاً وقال: «لا أدع سنة رسول الله لقول أحد من الناس»!^٤

ولما نازع بعض الناس عبدالله بن عمر في بعض السنة، قال له عبدالله هل نحن مأمورون باتباع عمر أو باتباع السنة؟^٥

إننا نعيش فتناً واختلافاً كثيراً فكيف سينقذنا اتباع سنة الخلفاء وكيف نتبعها؟! فهل

نقتدي بهم ونحرق السنة المكتوبة ونمنع التحدث عن النبي كما هي سنة الشيخين؟!!

فالدين قد اكتمل كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^٦ فما معنى اضافة سنة الخلفاء وقد اكتمل الدين؟!!

إنّ راوي الحديث - وهو العرباض - نفسه لم يعمل بحديث الخلفاء ولم يؤيد رابع

الخلفاء ولم يتبع سنته، فهو كان إلى جانب معاوية كما يظهر من خلال سكنه الشام وروايته

١. صحيح البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان.

٢. صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث.

٣. راجع: سير أعلام النبلاء ج ٢، ص ١٠٧؛ الاستيعاب، ج ١، ص ٣٥٨.

٤. فتاوى ابن باز، ج ١، ص ٢٢٢.

٥. مجموع فتاوى ابن باز، ج ١، ص ٤٣٠.

٦. المائدة: ٣.

حديثاً موضوعاً في معاوية، إذ زعم أنه سمع النبي يقول إن الله علّم معاوية الكتاب والحساب!

على افتراض صحّة حديث العرباض، فهو عام يستطيع كلّ فريق أن يدّعيه حجة لنفسه، وهو أقرب إلى الامامية خاصة، حيث عضدته نصوص أخرى كنص الأئمة الاثنى عشر، وحديث «اللهم ارحم خلفائي».

الحديث السابع: لا تسبّوا أصحابي

عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «لا تسبّوا أصحابي فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه».^٢

الذين استدلّوا بالحديث

١- ابن تيمية.^٣

٢- اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء.^٤

٣- شرح العقيدة الواسطية، عبدالله بن محمد الغنيمان.^٥

٤- محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة السفارينية.^٦

هؤلاء وغيرهم كثيرون قد استدلّوا بهذا الحديث.

يُلاحظ على الحديث أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «لا تسبّوا أصحابي»، فهل

كان النبي يوجه كلامه لأناس غير مسلمين حتى يقول لا تسبّوا أصحابي؟! كيف يصحّ

١. مسند أحمد، ج ٤، ص ١٢٧.

٢. صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٩٥؛ صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٨٨ ومصادر عديدة ذكرته.

٣. الفتاوى الكبرى، ج ٣، ص ٤٤٧؛ مجموعة الفتاوى، ج ٣، ص ٤٠٥.

٤. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، أحمد عبد الرزاق الدويش، ج ١٢، ص ٣١٩.

٥. ج ٢٨، ص ٢.

٦. ص ١٤٣.

هذا وغير المسلم غير مكلف بأوامر النبي ونواهيهِ حتى يُسلم؟! فلا يوجد حوله إلا أصحابه، فكيف يقول لأصحابه: «لا تسبوا أصحابي»؟!^١

نحن لسنا مع السبِّ والشتم، ولكنَّ هذه الصيغة التي جاء بها الحديث تضع علامات استفهام عديدة حوله، ويبدو أنّ واضح هذا الحديث لم ينتبه لهذه المسألة التي أشرنا لها، ونفس الاشكال الذي يرد على رواية «أصحابي كالنجوم» يرد على هذا النص.

لو قيل إنّ الحديث صدر لمناسبة خاصة، وذلك حين تشاجر عبد الرحمن بن عوف مع خالد بن الوليد، قلنا إنّ هذا يستلزم إخراج خالد بن الوليد من مجموع الصحابة إذ الخطاب كان موجهاً له، وهذا ما لا يُقبل.

وكيف يستقيم القول: «فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»، مع وجود نصوص أخرى تعارض هذا النص؟

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.^١

فالتقوى هي الميزان، يا ترى هل يخالف رسول الله كتاب الله وهو الذي لا ينطق عن الهوى؟!^٢

وروى أحمد من حديث أبي جمعة: قال تغدينا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، قال: فقال: يا رسول الله هل أحد خير منّا أسلمنا معك وجاهدنا معك؟! قال: «نعم، قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني».^٢

فإذا كان هناك أناس خير من الصحابة، فلا شكّ في أنّ أجرهم عند الله أكبر!

وروي في صحيح مسلم: عن أبي هريرة أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أتى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا»، قالوا:

١. الحجرات، ١٣.

٢. مسند أحمد، ج ٤، ص ١٠٦.

أَوْ لَسْنَا إِخْوَانِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدَ»^١.

هنا يودّ النبي لو يرى إخوانه، وهو لفظ أطلقه على الذين آمنوا به حقاً ممن لم يروه، ولا شكّ في أنّ الأخوة أفضل من الصحبة!

ينبغي القول: إنّ مجرد النهي عن سبّ شخصٍ، ليس فيه فضيلة له أو إشارة إلى لزوم اتّباعه، وإلا لوجب اتباع الكفار والقول بفضلهم، لقوله تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^٢.

إحباط الأعمال

مما يرتبط بموضوع البحث هذا هو مسألة إحباط الأعمال، فعلى افتراض أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ذلك في أصحابه، فلنا أن نسأل: هل يمكن أن تحبط أعمالهم تلك أم أنّ لهم حصانة خاصة من قبل الله؟!^٣

من الملاحظ أنّ القرآن يخاطب المسلمين عامة ويدخل في هذا الخطاب الجيل المعاصر للنبي أيضاً في كثير من آياته، وهؤلاء هم الصحابة، وقد أشير إلى إحباط العمل في العديد من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾^٤.

وقوله عز وجل في شأن الأنبياء - وحاشاهم -: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^٥ وقد ورد هذا في شأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^٦ حاشاه من الشرك، ولعلّ ذكر إحباط العمل بشأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لئلا يغرّر غيره بعمله!

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ أَنْ اللَّهَ سَمِيعٌ

١. ج ١، صص ١٥٠ و ١٥١.

٢. الأنعام: ١٠٨.

٣. ج ١، صص ١٥٠ و ١٥١.

٤. الأنعام: ٨٨.

٥. الزمر: ٦٥.

عَلِيمٌ × يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ^١

فهذه الآيات توضح المسألة بجلاء، وهي ارشاد وتأييد للصحابة بأن لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله، وأن لا يرفعوا صوتهم فوق صوته، لأنّ هذا الأمر يؤدي إلى إحباط أعمالهم، ولو كانت بثقل جبل أحد أو أثقل منه، لأنّ الآيتين لم تستثنيا أحداً، والملفت أنّ الآية الأولى نزلت في أبي بكر وعمر! فعن ابن أبي مليكة أنّ عبد الله بن الزبير أخبرهم أنّه قدم ركب من بني تميم على النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال أبو بكر: امر القعقاع بن معبد ابن زرارة، فقال عمر: بل امر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت الا خلافي! قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^٢.

وعلى هذا فسائر الصحابة يشملهم هذا القانون الإلهي، فيمكن أن تحبط أعمالهم. قال ابن تيمية: «فَإِذَا كَانَتْ السَّيِّئَاتُ لَا تُحْبَطُ جَمِيعَ الْحَسَنَاتِ فَهَلْ تُحْبَطُ بِقَدْرِهَا وَهَلْ يُحْبَطُ بَعْضُ الْحَسَنَاتِ بِذَنْبٍ دُونَ الْكُفْرِ؟ فِيهِ قَوْلَانِ لِلْمُنْتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ. مِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يُثَبِّتُهُ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النَّصُوصُ. مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾. دَلَّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ السَّيِّئَةَ تُبْطِلُ الصَّدَقَةَ وَضَرَبَ مِثْلَهُ بِالْمُرَائِي ... وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: بِالْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ وَعَنْ عَطَاءٍ: بِالشَّرِكِ وَالتَّفَاقِ وَعَنْ ابْنِ السَّائِبِ: بِالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَعَنْ مُقَاتِلٍ: بِالْمَنِّ. وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مَنُّوا بِإِسْلَامِهِمْ فَمَا ذَكَرَ عَنْ الْحَسَنِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرَ تُحْبَطُ الْأَعْمَالَ»^٣.

لقد أفرد البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه باب «خوف المؤمن من أن يحبط

١. الحجرات: ١ و ٢.

٢. صحيح البخاري، ج ٥، ص ١١٦، باب وفد تميم.

٣. مجموعة الفتاوى، ج ١٠، ص ٦٣٨ و ٦٣٩.

عمله وهو لا يشعر»؛ وخصَّص مسلم في صحيحه أيضاً: باب «مخافة المؤمن أن يحبط عمله».

وهذه مجموعة نصوص أخرى في جواز إحباط أعمال بعض الصحابة:

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من ترك صلاة العصر حبط عمله».^١

رُوي عن جندب أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حدّث أنّ رجلاً قال: واللّه لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال من ذا الذي يتألي على أن لا اغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك.^٢

لقد كانت عائشة ترى أنّ أعمال الصحابة الأوائل يمكن أن تحبط، فقد رُوي عن أبي إسحاق قال: دخلت امرأتي على عائشة وأم ولد لزيد بن أرقم، فقالت لها أم ولد زيد: انّي بعث من زيد عبداً بثمانمائة نسيئة واشتريته منه بستمائة نقداً، فقالت عائشة: (رضي الله عنها): أبلغني زيدا أن قد أبطلت جهادك مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا أن تتوب، بئسما شريت وبئسما ما اشتريت.^٣

أخرج ابن أبي حاتم من رواية أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرون أنّه لا يضرب مع الإخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل صالح، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال.^٤

وبإسناده، عن الحسن في قوله ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ قال: بالمعاصي. وعن معمر، عن الزهري في قوله تعالى ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ قال الكبائر. وبإسناده، عن قتادة في

١. صحيح البخاري، ج ١، ص ١٣٨.

٢. صحيح مسلم، ج ٨، ص ٣٦.

٣. السنن الكبرى، للبيهقي، ج ٥، ص ٣٣٠، واحتج به ابن تيمية وغيره، مجموعة الفتاوى، ج ١٠، صص ٦٣٨ و ٦٣٩.

٤. تفسير ابن أبي حاتم، ج ١٠، ص ٣٢٩٩.

هذه الآية قال: «من استطاع منكم أن لا يبطل عملاً صالحاً بعمل سيئ».^١

قال: ابن رجب الحنبلي: والآثار عن السلف في حبوط الأعمال بالكبيرة كثيرة جداً يطول استقصاؤها. حتى قال حذيفة: قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة. وخرجه البزار عنه مرفوعاً، وعن عطاء قال: إنَّ الرجل ليتكلم في غضبه بكلمة يهدم بها عمل ستين سنة أو سبعين سنة. وقال الإمام أحمد في رواية الفضل بن زياد، عنه: ما يؤمن أحدكم أن ينظر النظرة فيحبط عمله.^٢

وقال ابن القيم: ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر وليس الشأن في العمل إنّما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه.^٣

إذن فالصحابة كغيرهم من الناس، وأحاديث الحوض نصت على ذهاب قسم منهم إلى النار، وكل هذا يثبت إحباط أعمالهم!

لقد جعل الله عزّ وجلّ التقدّم بين يديه و يدي رسوله ورفع الصوت فوق صوت النبي سبباً لإحباط العمل، فما هو حال من يخاطب النبي بغلظة ويتهمه بالهجران والهديان كما فعل بعضهم؟!

نخلص من هذا إلى أنّ الحديث لا يفيد في تثبيت دعائم المدرسة السلفية، ولا يمكن تعميمه على الجميع، قال ابن حجر العسقلاني: قوله: «فلو أنّ أحدكم» فيه إشعار بأنّ المراد بقوله أولاً أصحابي أصحاب مخصوصون^٤ وهم المؤمنون ولا شكّ في هذا، وهؤلاء يُعرفون بحب علي بن أبي طالب (عليه السلام).^٥

١. ذكره عنه ابن رجب الحنبلي في (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، ج ١، ص ١٨٣.

٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٢٠٠.

٣. الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص ١٠.

٤. فتح الباري، ابن حجر، ج ٧، ص ٢٧.

٥. إذ أنه به (عليه السلام) يتميز المنافق عن المؤمن، لقوله (عليه السلام): «إنه لعهد النبي الأمي إلى أنه لا يجنبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب.

الحديث الثامن: حديث حاطب (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)

أخرج البخاري عن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت علياً (رضى الله عنه) يقول: «بعثني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنا والزبير والمقداد قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب، فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال: يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لقد صدقكم، فقال عمر (رضى الله عنه): يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق. قال: إنه شهد بدرًا وما يدريك لعل الله أن يكون قد أطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^١.

وروي عن الامام علي (عليه السلام): «بعثنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنا والزبير والمقداد فقال: اتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادي بنا خيلنا فإذا نحن بالمرأة فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب! فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا حاطب ما هذا؟! قال: لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش» - قال سفيان: كان حليفاً لهم ولم يكن من أنفسها - «وكان ممن كان معك من

المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحبيت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الاسلام، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): صدق، فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنّه قد شهد بدرًا وما يدريك لعلّ الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^١

الذين استدلّوا بالحديث

- ١- ابن تيمية في الفتاوى الكبرى.^٢
 - ٢- ابن القيم في إعلام الموقعين.^٣
 - ٣- محمد بن عبد الوهاب في رسالة في الرد على الرافضة.^٤
 - ٤- علماء نجد الأعلام في الدرر السنية في الأجوبة النجدية.^٥
- هذا هو حديث حاطب الذي يحتجون به على عدالة البدرين خاصّة، وأنّ الله غفر لهم ذنوبهم السابقة واللاحقة، وعلى هذا فمن يتبعهم ينجوني الآخرة، ولا يزال هذا النص من الركائز الأساسية التي يُستند عليها في تزكية الصحابة، كما أنّه دخل مجال البحث الفقهي من خلال اعتماده أحد أهم مصادر بحث التجسس وأحكامه.

الدنيا دار ابتلاء

إنّ القول المنسوب للرسول: «لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، مخالف لكل المعايير التي جاءت في القرآن والسنة، ومعناه سقوط التكاليف

١. صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٦٨.

٢. ج ٣، ص ٤٥١؛ مجموعة الرسائل والمسائل، ج ٥، ص ٢٠١.

٣. ج ٤، ص ١٢٤.

٤. ص ١٨.

٥. ج ١، ص ٤٧٤.

الدينية عن البدرين، وحين يقرأ المرء هذا النص يتبادر إلى الذهن قول اليهود والنصارى الذي حكاه الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^١.

لقد خلق الله عز وجل الدنيا وجعلها دار بلاء وامتحان، فمن خلال هذه الامتحانات، يتعرف الإنسان على نقاط قوته وضعفه، فمن الناس من يصبر ويشكر، فيفوز، ومنهم من يجزع ويكفر وعاقبته الخسران، وهذا قانون إلهي لم يستثن الله منه أحداً، قال تعالى ﴿الم * أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ في تفسير هذه الآية قال ابن أبي حاتم: كان أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) رجالا وحسبوا أن الأمر يخفوا، فلما أودوا في الله ارتد منهم أقوام.^٢

لقد ارتدوا وهم صحابة وفي أول الدعوة. وعن ابن عباس في قوله: ﴿الم * أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ قال: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يبعث من بعده أو من شاء الله منهم أنا على منهاج النبي وسبيله، فينزل الله بهم البلاء، فمن ثبت منهم على ما كان عليه فهو الصادق، ومن خالف إلى غير ذلك فهو كاذب.

وقال في آية أخرى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ البَأْسَاءِ وَ الصَّرَّاءِ وَ رَزِلُوا﴾^٣.

قال ابن أبي حاتم: فكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) يقولون: أتتنا - يعني السنن - على ما أودوا في الله وصبروا عند البأساء والضراء وشكروا في السراء وقضى الله عليهم أنه سيبتليهم بالسراء والضراء والخير والشر والأمن والخوف والطمأنينة والشخص،

١. المائدة: ١٨.

٢. تفسير ابن أبي حاتم، ج ٩، صص ٣٠٣٠ و ٣٠٣١.

٣. البقرة: ٢١٤.

واستخرج الله عند ذلك أخبارهم من الدهر حتى وضعت الحرب أوزارها وجلسوا في المجالس آمنين، ثم قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في آخر عمره وخشي عليهم الدنيا وعرف أنهم سيأتون من قبلها أنها تفتح عليهم خزائنها، فتقدم إليهم في ذلك أن تغرهم الحياة الدنيا وأخبرهم أن الفتنة واقعة وأنها مصيبة الذين ظلموا منهم خاصة فإذا فعلوا ذلك كانوا في انتقاص وتغيير^١.

إن الله عادل لا يفرق بين عباده، والعمل الصالح وحسن الخاتمة هما اللذان يحددان مصير الإنسان، حيث قال الصابوني: ومن الأدلة على أن الاعتبار بما يموت عليه الإنسان وأن سعادته وشقاوته بحسب خاتمة عمله، ما أخرجه البخاري وغيره عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «إنما الأعمال بالخواتيم»^٢.

فالنبي [صلى الله عليه وآله وسلم] قال في شأن الصحابة: «سحقاً سحقاً». ولو كانوا من أهل الكبائر لشفع لهم كما هو مقتضى حديث الشفاعة، أم أنه - حاشاه - بخل عليهم بذلك؟!

حينما نتأمل في حديث حاطب نلاحظ عليه عدة أمور، وهي:

أولاً: اتهم عمر حاطب بالنفاق وأراد قتله، ولم ينكر عليه النبي هذا الوصف، ومن المعروف أن النبي معصوم في التبليغ فقط وكان يخطئ - حسب ما يزعمون - ويصححون له وينزل القرآن موافقاً لهم، فماذا لا يكون قول النبي هذا من هذا القبيل؟! خاصة أنه ورد بلفظ «لعل» ولم يكن عن وحي نزل عليه! وعمر مجتهد في رأيه هنا كما اجتهد في رزية الخميس! فلماذا لا يؤخذ بقوله هنا ويؤخذ بقوله في رزية الخميس؟!

ثانياً: أليس هذا التصرف المنسوب للنبي فيه تشجيع للآخرين على اقرار الذنوب والمعاصي بحجة أن الله غفر لهم؟!

١. تفسير ابن أبي حاتم، ج ٩، صص ٣٠٣٠ و ٣٠٣١.

٢. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص ١٢٥ وحديث البخاري المذكور في: كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم.

قال ابن حجر: وأنهم خصوا بذلك لما حصل لهم من الحال العظيمة التي اقتضت محو ذنوبهم السابقة وتأهلوا لأن يغفر الله لهم الذنوب اللاحقة أن وقعت، أي كل ما عملتموه بعد هذه الواقعة من أي عمل كان فهو مغفور.^١

ثالثاً: إنّ تهمة حاطب هي التجسس وهذه خيانة عظيمة، وفيها تعريض حياة النبي ومن معه للخطر، فلماذا سكت عنه النبي وأعطاه فوق ذلك وسام المغفرة الأبدية؟! هل كونه بدرياً يعفيه من المسألة؟! إذن لماذا أقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحدّ على بعض البدرين ممن قذفوا زوجته بالفاحشة؟! فقد أقام (صلى الله عليه وآله وسلم) الحدّ على مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وهما من البدرين.^٢

فهل يكيل النبي - حاشاه - بمكيالين؟! وإذا كان الله قد غفر لأهل بدر ما تقدّم من ذنوبهم وما تأخّر، لماذا يعذبهم بذنوبهم؟! والتاريخ شاهد على ذلك.

وقد تنبه لهذا الحافظ ابن حجر وحاول تبريره لكن دون فائدة، إذ قال: ولقد استشكلت إقامة الحدّ على مسطح بقذف عائشة (رضي الله عنها) كما تقدم مع أنه من أهل بدر فلم يسامح بما ارتكبه من الكبيرة وسومح حاطب وعلل بكونه من أهل بدر والجواب ما تقدم في باب فضل من شهد بدرًا أنّ محلّ العفو عن البدر في الأمور التي لا حدّ فيها.^٣

إنّ لفظ الحديث مطلق^٤ وليس فيه استثناء الأعمال التي توجب الحدّ، وهذا اللفظ لو صح عن النبي لاحتج به أهل الإفك حين جلدتهم ولقالوا نحن من أهل بدر وقد اطّلع الله علينا وغفر الله لنا، فكما عفوت عن حاطب فاعف عنا! فكيف يعدهم الله بالمغفرة والنبي يعاقبهم؟!

١. فتح الباري، ج ٧، ص ٢٣٨.

٢. فتح الباري، ابن حجر، ج ١٣، ص ٢٨٥؛ الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٤، ص ١٤٧٢.

٣. فتح الباري، ج ١٢، ص ٢٧٦.

٤. اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

قال النووي: لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، قال العلماء معناه الغفران لهم في الآخرة.^١

وقال ابن حجر: واتفقوا على أنّ البشارة المذكورة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها.^٢

كيف يستقيم هذا المعنى الذي ذكره وقد غفر النبي لحاطب فعلته في الدنيا، وأعطاه حصانة يفعل من خلالها ما يشاء؟!

رابعاً: ذكر مسلم في روايته أنّه بعد هذه الحادثة نزل قول الله عزّ وجلّ: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ وهذا يتعارض مع قول النبي لهم الذي جاء في الحديث، ففي حين يقول النبي لهم: «لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، ومعناه السماح لهم بأيّ عمل يشاؤون حالهم حال حاطب، نجد القرآن ينهاهم عن اتّخاذ عدو الله وعدوهم أولياء، فالنبي فتح لهم المجال لعمل أي شيء والقرآن خالف ما شرعه النبي لهم!

تعارض حديث حاطب مع القرآن

لقد كانت عائشة ترفض الأحاديث المخالفة للقرآن الكريم، كما في ردها على أبي هريرة في قوله: «ولد الزنا شر الثلاثة»^٣ إذ قالت: والله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. وفي قوله: إِنَّ المِيتَ لِيَعَذَّبُ بِكِبَاءِ أَهْلِهِ، قالت: والله عزّ وجلّ يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

وعلى هذا المنهج سار العلماء إلا من شدّ منهم، قال ابن حجر: ولهذا المعنى ردّ طائفة من العلماء حديث قطع الصلاة بمرور الكلب وغيره، وقالوا: إنّ مخالف للقرآن في

١. شرح صحيح مسلم، ج ١٦، صص ٥٦ و ٥٧.

٢. فتح الباري، ج ٧، ص ٢٣٨.

٣. المستدرک، للحاكم وصححه، ج ٢، ص ٢١٥.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^١، كما ذكر ذلك الشافعي.^٢

وعلق ابن حجر على حديث لعائشة، فقال بعده: وفيه جواز المناظرة ومقابلة السنة بالكتاب.^٣

وكذلك حفصة كانت تعرض الحديث النبوي على القرآن الكريم.^٤ إن النبي ينطق عن القرآن ويوضحه ولا يخالفه، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.^٥

الدليل الأول على التعارض

وعد الله أصحاب الإفك الذين قذفوا زوجة النبي بعذاب عظيم كما ورد في القرآن الكريم ومسطح كان أحدهم كما ذكر ذلك النووي نفسه، فأين هذا الغفران المزعوم! فهل خفي قول النبي: «لعل الله اطلع ..» على الله عز وجل؟!!

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.^٦

فأحد المتكلمين بالافك له عذاب عظيم! قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾: لكل من تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بشئ من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ قيل ابتداء به وقيل الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي على ذلك، ثم الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبدالله بن أبي بن سلول - قبحه الله ولعنه - وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد، وقيل بل

١. الأنعام: ١٦٤.

٢. فتح الباري، ج ٤، ص ١٠٠.

٣. فتح الباري، ج ١، ص ١٧٦.

٤. صحيح مسلم من كتاب الفضائل، باب من فضائل أبي موسى.

٥. النحل: ٤٤.

٦. النور: ١١.

المراد به حسان بن ثابت وهو قول غريب ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على إيراد ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة.^١

وقال عز وجل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٢

وهذا الخطاب موجّه لكلّ من تكلم بالافك وفيهم من شهد بدرًا.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^٣

الخطاب في ذلك الوقت كان موجّهاً للمجتمع الإسلامي ولا فرق بين بدري وغيره، فالذين يحبون اشاعة الفاحشة لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، وهذا ردّ على حديث حاطب المزعوم.

ثم أكد الله عزّ وجلّ كلامه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^٤

الدليل الثاني على التعارض

عند وقوع حادثة الإفك، نزل قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال أبو بكر: بلى والله، إنّي أحبّ أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه.^٥

١. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٢٨٣.

٢. النور: ١٤.

٣. النور: ١٩.

٤. النور: ٢٣ و ٢٤.

٥. صحيح البخاري، ج ٦، ص ٩.

فإذا كانت الآية هذه بخصوص أبي بكر ليعود وينفق على مسطح، لماذا يقول الله بشأنه:

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾؟ ألم يكن الله قد غفر له مع من غفر لهم من أهل بدر؟!

فما معنى تكرار المغفرة هنا؟! إنَّ هذا للتناقض واضح تأباه العقول السليمة والسنة

الصحيحة!

الدليل الثالث على التعارض

قال تعالى: ﴿مَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ فَكُذِّبَ بَاءَ بَعْضٍ مِنَ

اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^١

هذه الآية الكريمة تتوعد من يهرب من ساحة القتال بغضب من الله، وتؤكد على أن

مصيره جهنم ولم تستثن أحداً من الصحابة، سواء كانوا بدرين أم غيرهم، قال الضحاك:

وإنما هذا وعيد من الله لأصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) أن لا يفروا.^٢

بل روي أنها نزلت في أهل بدر، كما في تفسير الطبري.^٣

وروى الطبري عن يزيد بن أبي حبيب أنه قال: أوجب الله لمن فرّ يوم بدر النار.^٤

فلو كان الله قد اطلع بعلمه وأوجب مغفرة ذنوب أهل بدر لما توعدهم بالنار عند

فرارهم، ثم إنَّ حكم هذه الآية باقٍ، وكثير من البدرين هربوا في العديد من الغزوات،

كأحد وخيبر وحنين، فقد هرب عمر - وهو بدري - يوم خيبر.^٥

وهرب كذلك هو وسائر الصحابة في غزوة حنين.^٦

١. الأنفال: ١٦.

٢. تفسير الطبري، ج ٩، ص ٢٦٥.

٣. ج ٩، ص ٢٦٧.

٤. تفسير الطبري، ج ٩، ص ٢٦٨.

٥. مسند أحمد، ج ٦، ص ١٤١.

٦. صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٠١.

الدليل الرابع على التعارض

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^١

هذه الآية تتحدث عن هرب يوم أحد من الصحابة، والشاهد أن عثمان بن عفان كان من الهاربين.^٢

فعثمان - الذي جعلوه من أهل بدر - قد عفا الله عنه وغفر له، قال ابن عمر مدافعا عن عثمان: «أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له».^٣

وفي مشكل الآثار، للطحاوي زوي عن ابن عمر أنه قال: «وأما عثمان، فإنه أذنب ذنباً يوم التقى الجمعان عظيماً، عفا الله عز وجل عنه».^٤

وكذلك عقبة بن عثمان، فر يوم أحد وهو بدري.^٥

فإذا كان الله قد اطلع على أهل بدر - ومنهم عثمان وعقبة - وغفر لهم ما تأخر من ذنوبهم، فلماذا يعفو عنهم ويغفر لهم مرة أخرى؟!؟

الدليل الخامس على التعارض

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيُخْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^٦

﴿أَقَمْنَا أُسُسَ بُنْيَانِهِ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مِنْ أُسُسٍ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^٧

١. آل عمران: ١٥٥.

٢. صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان.

٣. المصدر نفسه.

٤. ص ١٤٣٦.

٥. الإصابة، لابن حجر، ج ٤، ص ٤٣٢؛ البداية والنهاية، ص ٣٩١.

٦. التوبة: ١٠٧.

٧. التوبة: ١٠٩.

يخبر الله عزوجل إن هذا العمل الذي قام به مؤسسو مسجد ضرار سينهار بهم في نار جهنم، وقد كان بعض البدريين قد شاركوا في بناء هذا المسجد، وهذا الأمر دليل على كذب حديث المغفرة.

فقد شارك في هذا المسجد كل من: معتب بن قشير وثعلبة بن حاطب،^١

ومعتب وثعلبة بدریان، وقد قال ابن هشام في سيرته ونقل - هذا - عمن يثق به: معتب ابن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب، وهم من بني أمية بن زيد، من أهل بدر، وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم، وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في أسماء أهل بدر.^٢

وثعلبة بن حاطب البدری نزل فيه قول الله عزوجل: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَجَلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.^٣

قال ابن حجر: والمشهور أنها نزلت في ثعلبة^٤

وبالرغم من محاولة البعض تبرئة ثعلبة إلا أن ابن تيمية أكد نزول الآية فيه، حيث قال: كما أن ثعلبة لما سأل النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يدعوله بكثرة المال، ونهاه النبي (صلى الله عليه وسلم) عن ذلك مرة بعد مرة، فلم ينته حتى دعا له، وكان ذلك سبب شقائه في الدنيا والآخرة.^٥

١. راجع تفسير الطبري، ج ١١، ص ٣٢؛ تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤٠٣؛ المغازي، الواقدي، ج ٢، صص ١٠٤٥ و ١٠٤٦.

٢. السيرة النبوية، ابن هشام، ج ٢، ص ٣٦٦؛ وورد عند البخاري أن مسطح بدری، ج ٣، ص ١٥٥.

٣. التوبة: ٧٥ - ٧٧.

٤. فتح الباري، ج ٣، ص ٢٦٣؛ الاستيعاب، لابن عبد البر، ج ١، ص ٢١١؛ راجع نزولها فيه: تفسير الطبري، ج ٦، ص ١٣٠؛

تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٣٨٨.

٥. اقتضاء الصراط المستقيم، ج ٢، ص ٢١٣.

إنَّ الله لم يعذر ثعلبة بالرغم من أنه عزَّوجلَّ اطلع على أهل بدر، بل أعقبه نفاقاً في قلبه. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾^١.
ولو كان معنى المغفرة هو الغفران في الآخرة لما قال الله عزَّوجلَّ فيه: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾! ولما قال في مسألة مسجد ضرار: ﴿فَأَنهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾!

الدليل السادس على التعارض

قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^٢
قال ابن كثير في تفسيره: قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وغير واحد: هم الثلاثة الذين خلفوا - أي عن التوبة - وهم مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية قعدوا عن غزوة تبوك.^٣
والشاهد هنا أنَّ اثنين من هؤلاء الذين تخلَّفوا هما ممن شارك في غزوة بدر، وهما: مرارة بن الربيع الأنصاري وهلال بن أمية الأنصاري.^٤
قال ابن حجر: مرارة بن الربيع الأنصاري ... صحابي مشهور شهد بدرًا على الصحيح هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم أخرجاه في الصحيحين من حديث كعب بن مالك في قصة توبته.^٥
وقال ابن عبد البر: هلال بن أمية الأنصاري الواقفي، من بني واقف، شهد بدرًا وهو أحد الثلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك.^٦

١. النساء: ١٤٥.

٢. التوبة: ١٠٦.

٣. ج ٢، ص ٤٠١؛ راجع تفسير الطبري، ج ١١، ص ٣٠.

٤. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة غزوة بدر، ج ٥، ص ١٣.

٥. الإصابة، ج ٦، ص ٥٢.

٦. الاستيعاب، ج ٤، ص ١٥٤٢.

فهذان البدریان قد شملهم خطاب الله عز وجل ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ فكان العذاب أحد الخيارين، ولو كان الله قد غفر لهم ذنوبهم مهما عملوا لما ذكر العذاب في الآية الكريمة!

ومما يرتبط بهذه الآية الكريمة، قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^١

وهذه الآية بخصوص الثلاثة الذين خُلِّفُوا، ومنهم مرارة وهلال البدریان، فهنا يذكر الله عز وجل توبته عليهم، فهل كان النبي يمزح - والعياذ بالله - حين قال لأهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم؟! أم أنّ هذا اللفظ لم يرد أصلاً ولم يسمع به الأولون؟! وإلا كيف يتوب الله على أناس قال لهم اعملوا ما شئتم فإنّ أعمالكم السابقة واللاحقة مغفورة؟!

لقد اضطرّ ابن القيم إلى انكار كون الرجلين من أهل بدر حتى يجمع بين عقابهم وبين حديث حاطب، حيث قال ابن حجر: واحتجّ ابن القيم في الهدى بأنهما لو شهدا بدرًا ما عوقبا بالهجر الذي وقع لهما بل كانا يسامحان بذلك كما سومح حاطب بن أبي بلتعة.^٢ أليس من الأولى أن نقدّم القرآن على خبر الواحد إذا تعارضاً؟!

الدليل السابع على التعارض

قال تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٣

قال ابن عبد البر: نزلت في أبي لبابة - رفاعة بن عبد المنذر - ونفر معه سبعة أو ثمانية

١. التوبة: ١١٨.

٢. فتح الباري، ج ٧، ص ٢٤١.

٣. التوبة: ١٠٢.

أو تسعة سواه، تخلفوا عن غزوة تبوك ثم ندموا وتابوا وربطوا أنفسهم بالسواري.^١

وأبو لبابة ذكره فيمن شهد بدرًا، فقد قال ابن عبد البر: رفاعة بن عبد المنذر...
أبولبابة الأنصاري، من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، نقيب، شهد العقبة وبدرًا
وسائر المشاهد.^٢

ومعنى هذا أنّ حديث حاطب قد شمله، فما معنى أن يعترف بذنبه؟! وما معنى توبة
الله عليه؟! ألم يكن الله قد أكرمه بأن يفعل ما يشاء وغفر له السابق واللاحق من ذنوبه؟!
فأيهما أصدق وأوضح، كلام الله أم كلام الرواة الذين نسبوا لرسول الله ذلك القول؟!
على أنّنا لو قلنا بذلك القول فلا بدّ من تأويله كي لا يتعارض مع الآيات القرآنية الواضحة.

الدليل الثامن على التعارض

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَأَقَلُّتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا
يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^٣

يخاطب الله الذين آمنوا - والبديرون منهم - ويتوعد من يتخلف عن النفير بالعذاب
الأليم، وقد يُقال إنّ هذه الآية نزلت لمناسبة خاصة، فقد روى الحاكم عن نجدة بن نفيح
قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا﴾ قال: استنفر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيًّا من أحياء العرب فتشاقلوا، فأمسك
عنهم المطر وكان عذابهم.^٤

ويجاب على هذا بأنّ العبرة في أمثال هذه الأمور بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،

١. الاستيعاب، ج ٤، ص ١٧٤١؛ كذا ذكر ابن حجر في الإصابة، ج ١، ص ٢٩٤.

٢. الاستيعاب، لابن عبد البر، ج ٢، ص ٥٠٠.

٣. التوبة: ٣٨ و ٣٩.

٤. المستدرک ج ٢، ص ١٠٤؛ صححه، تفسير الطبري، ج ١٠، ص ١٧٤.

فَبَقِيَ الْآيَةُ عَلَى عَمومِهَا، وَهِيَ تَتَعَارَضُ مَعَ حَدِيثِ حَاطِبِ بِلَا شَكٍّ.

الدليل التاسع على التعارض

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَعْضِفُونَ فِي الْأَرْضِ تُخَافُونَ أَنْ يَتَّخِظَ بِكُمْ النَّاسُ فَأَوَاكُمْ وَأَيْدِيكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^١

ذهب أغلب المفسرين إلى أن هذه الآية قد نزلت في أهل بدر، حيث جاء في تفسير الطبري عن الحسن، في قوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ قال: نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير (رضي الله عنهم).

وروى الطبري عن معمر: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ قال قتادة: قال الزبير بن العوام: لقد نزلت وما نرى أحداً منا يقع بها، ثم خصتنا في إصابتنا خاصة.

وعن ابن صبهان، قال: سمعت الزبير بن العوام يقول: قرأت هذه الآية زماناً وما أرانا من أهلها، فإذا نحن المعنيون بها ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وعن السدي: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ قال: هذه نزلت في أهل بدر خاصة، وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا.^٢

قال الزبير بن العوام: نزلت هذه الآية ونحن متوافرون مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ فجعلنا نقول ما هذه الفتنة وما نشعر أنها تقع حيث وقعت.^٣

١. الأنفال: ٢٥ و ٢٦.

٢. جامع البيان، ج ٩، ص ٢٨٨؛ ذكر تفسيرها ابن حجر عن الطبري دون طعن، فتح الباري، ج ١٣، ص ٣؛ تفسير ابن أبي حاتم الرازي، ج ٥، ص ١٦٨٢.

٣. قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٧؛ رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، مسند أحمد، ج ١، ص ١٦٧.

إِنَّ الْآيَةَ قَدْ نَزَلَتْ فِي أَنَسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ الْبَدْرِيِّينَ، فَقَدْ قَالَ الطَّبْرِيُّ: وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فَإِنَّهُ تَحْذِيرٌ مِنَ اللَّهِ وَوَعِيدٌ لِمَنْ وَقَعَ الْفِتْنَةَ الَّتِي حَذَّرَهُ بِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾، يَقُولُ: اعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ رَبَّكُمْ شَدِيدُ عِقَابِهِ لِمَنْ افْتَتَنَ بِظُلْمِ نَفْسِهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ، فَأَثَمَ بِهِ.^١

نجد في هذه الآية تحذيراً ووعيداً بالعقاب الشديد لمن واقع الفتنة من أهل بدر كطلحة والزبير، ومع ذلك فلم يشفع لهم القول: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»!

الدليل العاشر على التعارض

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾^٢

قال ابن كثير: واختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآيات الكريمات فذكر السدي أنها نزلت في رجلين قال أحدهما لصاحبه بعد وقعة أحد: أما أنا فإني ذاهب إلى ذلك اليهودي فأوي إليه وأتهود معه لعله ينفعني إذا وقع أمر أو حدث حادث، وقال الآخر: أما أنا فإني ذاهب إلى فلان النصراني بالشام فأوي إليه وأت نصر معه؛ فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ الآيات، وقال عكرمة: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى بني قريظة فسألوه ماذا هو صانع بنا فأشار بيده إلى حلقه، أي أنه الذبح، رواه ابن جرير.^٣

فإن صحَّ نزول الآية في أبي لبابة البدري كما ذكر ابن كثير، فهذا يعني عدم صحّة حديث حاطب، لأنّ الذي نزلت فيه الآية الكريمة قد حبّطت أعماله وصار من الخاسرين.

١. جامع البيان، ج ٩، ص ٢٨٩.

٢. المائدة: ٥٣.

٣. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٧١.

الحديث خلاف السنة

الدليل الأول

عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا أمرهم بعمل من الأعمال أمرهم من الأعمال بما يطيقون، قالوا: إنّا لسنا كهيتتك يا رسول الله، إنّ الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه.^١ في هذا الحديث يعترف الصحابة بأنهم ليسوا كالنبي، فالنبي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا اعتراف منهم بأنّ الله لم يغفر لهم ما تأخر من ذنبهم!

الدليل الثاني

روي عن عبدالله مايلي: قلنا: يا رسول الله أتؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «من أحسن في الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الاسلام أخذ بالأول والآخر».^٢ إنّ عبدالله بن مسعود من أهل بدر الذين شملهم حديث حاطب، ومع ذلك حين سأل النبي سؤاله المذكور أجابه (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّ من أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر، ولم يقل له النبي أنت بدري وقد غفر الله لك فلا تؤاخذ بالاثنين، ولم يكن حديث حاطب بذهن ابن مسعود وإلا لما سأل النبي هذا السؤال!

الدليل الثالث

روى مالك في الموطأ عن مولى عمر بن عبيد الله أنّه بلغه أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لشهداء أحد: «هؤلاء أشهد عليهم». فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):

١. صحيح البخاري، ج ١، ص ١٠.

٢. صحيح مسلم، ج ١، صص ٧٧ و ٧٨؛ صحيح البخاري، ج ٨، ص ٤٩؛ قال النووي: (وعبد الله هو ابن مسعود) شرح

صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٣٦.

«بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي»، فبكى أبو بكر، ثم بكى، ثم قال: «أنا لكائنون بعدك؟»^١.

والحديث صريح في معناه، فهو في أحد، ولو كان النبي قد قال ذلك الحديث «لعل الله اطلع...» لشهد لأبي بكر لأنه من أهل بدر، ولو كان الحديث صادراً حقاً لاحتجّ به أبو بكر ولما احتاج للبكاء!

الدليل الرابع

رُوي عن الزهري أنه قال: أخبرني أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله أن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) وكان شهد بديراً وهو أحد النقباء ليلة العقبة - أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشرکوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»، فبايعناه على ذلك.^٢

والشاهد قوله: «ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا» فالكلام موجّه للصحابة وفيهم البديرون كعبادة بن الصامت، فلماذا يُعاقب وقد غفر الله له؟ وقوله «ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه» ردُّ صريح على حديث حاطب.

الدليل الخامس

رُوي عن أنس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا عليكم أن لا تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يختم له، فإنّ العامل يعمل زماناً من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو

١. الموطأ، ج ٢، ص ٤٦٢؛ كتاب الجهاد، باب الشهداء في سبيل الله. وقال ابن عبد البر عن الحديث: مرسل عند جميع

الرواة لكن معناه يستند من وجوه صحاح كثيرة؛ ذكر ذلك فؤاد عبد الباقي.

٢. صحيح البخاري، ج ١، ص ١٠.

مات عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملاً سيئاً، وإنَّ العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سييء لو مات عليه دخل النار).^١

يوجه النبي صلى الله عليه وآله هنا أصحابه وفيهم أنس بن مالك البدرى - بالرغم من صغر سنه - إلى أهمية حسن العاقبة وأنها هي التي تحدد إن كان الإنسان بالجنة أو بالنار ولم يستثنِ البدرين، ولو كان أنس ومن معه يعرفون بحديث حاطب لذكروه لرسول الله، ولكن القوم سلموا له ولم يعقبوا!

الدليل السادس

رؤي عن أنس بن مالك أنه قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يكثُر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقال له أصحاب وأهله: يا رسول الله أتخاف علينا وقد آمنا بك وبما جئت به؟! قال: «إنَّ القلوب بيد الله عزَّ وجلَّ يقبلها».^٢

والشاهد من الحديث واضح لكلِّ منصف.

الدليل السابع

رؤي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «والذي نفسي بيده لتدخلنَّ الجنة كلُّكم إلا من أبي أو شرَّد على الله شراد البعير»، قيل: يا رسول الله، ومن أبى أن يدخل الجنة؟ فقال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار».

يتحدث النبي هنا عن كلِّ الصحابة (كلكم) أشار إلى أنَّهم جميعاً ليدخلون الجنة، أهل بدر وأهل بيعة رضوان وغيرهم، ولكن عدا من أبى، وفسرها (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: «ومن عصاني دخل النار!!!». وهذا هو المقياس الصحيح الذي يتناسب مع شريعة الله وعدله.^٣

١. مسند أحمد، ج ٣، ص ١٢٠؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧، ص ٢١١: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في

الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

٢. مسند أحمد، ج ٣، ص ٢٥٧.

٣. مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ١٠، صص ٧٠ و ٧١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

الدليل الثامن

رُوي عن ابن شهاب أنه قال: أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت أن أمّ العلاء امرأة من الأنصار بايعت النبي (صلى الله عليه وسلم) أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان ابن مظعون فأنزلناه في آياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه، دخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «وما يدريك أن الله أكرمه؟!»، فقلت بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟! فقال (عليه السلام): «أما هو فقد جاءه اليقين والله إنّي لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي»، قالت: فوالله لا أركي أحدا بعده أبدا.^١

فهذا صحابي بدرى،^٢ والنبي لم يشهد له بالجنة بل ردّ على أمه، «وما يدريك أن الله أكرمه... والله إنّي لأرجو له الخير...» فليس هناك قطع من الله بأن يحقق هذا الرجاء لرسوله. ويؤكد هذا المعنى ما روي عن حفصة، حيث قالت: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «إنّي لأرجو ألا يدخل النار أحد، إن شاء الله تعالى، ممن شهد بدرا والحديبية!!».^٣

الدليل التاسع

رُوي عن عبدالله أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء».^٤

هذا الحديث يخاطب المسلمين كافة في كلّ زمان ومكان، وعبدالله بن مسعود البدرى الذي سمعه ورواه، مخاطب به أيضاً، وفيه أنه جعل الكبرياء مانعاً لأي إنسان من دخول الجنة!

١. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٧١.

٢. الإصابة، ج ٤، ص ٣٨١.

٣. سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٤٣١؛ مسند أحمد، ج ٦، ص ٢٨٥.

٤. صحيح مسلم، ج ١، ص ٦٥.

الدليل العاشر

رُوي عن معاذ أنه قال: أوصاني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعشر كلمات، قال: «لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت، ولا تعقنّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركنّ صلاة مكتوبة متعمداً فإنّ من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربنّ خراً فإنه رأس كلّ فاحشة، وإياك والمعصية فإنّ بالمعصية حلّ سخط الله عزّ وجلّ، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس»^١.

قال فيه الألباني: وجملة القول إنّ الحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح بلا ريب.^٢ من ترك صلاة مكتوبة عمداً - حتى لو كان معاذ البدري - فقد برئت منه ذمة الله، ولو عصى معاذ ربّه لحلّ عليه سخط الله حتى لو رضي الله عنه في آية أو آيتين، وإن شهد بدرًا والرضوان والحديبية!!

الدليل الحادي عشر

روى البخاري عن عروة بن الزبير أنّه أخبره أنّ المسور بن مخرمة أخبره أنّ عمرو بن عوف - وهو حليف لبني عامر بن لؤي وكان شهد بدرًا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) - أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو صالح أهل البحرين وأمّر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع النبي (صلى الله عليه وسلم) فلما انصرف تعرضوا له، فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين رأيهم ثم قال: «أظنكم سمعتم أنّ أبا عبيدة قدم بشيء؟»، قالوا أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكّني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا

١. مسند أحمد، ج ٥، ص ٢٣٨؛ ذكره الحاكم، ج ٤، ص ٤١ من مستدركه بلفظ قريب منه، لكن بلفظ رجل بدل معاذ!

٢. إرواء الغليل، ج ٧، ص ٩١.

كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»^١.

إنّ الخطاب في هذا النصّ موجّه للأنصار وفيهم عمرو بن عوف البدرى وقال ابن حجر: «وهذه الخشية يحتمل أن يكون سببها علمه أنّ الدنيا ستفتح عليهم ويحصل لهم الغنى بالمال»^٢.

قال ابن تيمية: فَجَعَلَ الدُّنْيَا الْمَبْسُوطَةَ هِيَ الْمُهْلِكَةُ لَهُمْ: وَذَلِكَ بِسَبَبِ حُبِّهَا وَالْحِرْصِ عَلَيْهَا وَالْمُنَافَسَةِ فِيهَا^٣.

فالتنافس في الدنيا هو سبب الهلاك، كما كان سبباً لهلاك الأمم الماضية، ويصدق هذا قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو سلخوا حُجر ضبّ لسلكتموه»، قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟! قال: «فمن»^٤.

فالخطاب موجّه هنا للصحابة، ونلاحظ استخدامه (صلى الله عليه وآله وسلم) لأدوات التأكيد، ليؤكد حدوث ما أخبر عنه!

الدليل الثاني عشر

عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منكم بعشر ما أمر به نجا»^٥.

قال المباركفوري في شرحه في «تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى»: قوله: «إنكم» أيها الصحابة «في زمان» متّصف بالأمن وعزّ الإسلام «من ترك منكم» أي فيه

١. صحيح البخاري، صص ١٨ و ١٩، صحيح مسلم كتاب الزهد والرفائق.

٢. فتح الباري، ج ١١، ص ٢٠٨.

٣. مجموعة الفتاوى، ج ١٥، ص ٢٧٤.

٤. صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٤٤؛ صحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

٥. أخرجه الترمذى، ج ٤، ص ٥٣٠، رقم ٢٢٦٧. وقد ضعفه الألباني ثم تراجع وصححه، قال أبو الحسن الشيخ: (عن أبي هريرة ضعيف: السلسلة الضعيفة (تحت ٦٨٤) ثم صحيح: السلسلة الصحيحة (٢٥١٠)) تراجم الألباني (تراجع

العلامة الألباني فيما نص عليه تصحيحاً وتضعيفاً)، تأليف: أبو الحسن الشيخ، ج ١، ص ١١٣.

«عشر ما أمر به» من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «هلك» أي وقع في الهلاك لأنّ الدين عزيز وأنصاره كثرة، فالترك تقصير فلا عذر «ثم يأتي زمان» يضعف فيه الإسلام ويكثر الظلم ويعم الفساد ويقل أنصار الدين وحينئذ «من عمل منهم» أي من أهل ذلك الزمن «بعشر ما أمر به نجا» لأنه المقدور و﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^١.

الخطاب في هذا النص «إنكم في زمان من ترك منكم عشر» هو لجميع الصحابة ولم يستثن أحداً ودلالته واضحة على المقصود.

الدليل الثالث عشر

عن أم سلمة قالت: دخل عليها عبد الرحمن بن عوف فقال: يا أمه قد خفت أن يهلكني كثرة مالي، أنا أكثر قريشاً مالاً! قالت: يا بني فانفق، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إنّ من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه»، فخرج فلقي عمر فأخبره، فجاء عمر فدخل عليها فقال لها: بالله منهم أنا؟ فقالت: لا ولن أبرئ أحداً بعدك.^٢

نلاحظ في هذا الحديث أنّ عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب - وهما ممن شهدا بدرًا - لا يعرفان بخبر حاطب، ولعلّهما لم يفهما منه مغفرة الذنوب اللاحقة، فابن عوف خاف أن يهلك بالرغم من أنّ قول النبي «اعملوا ما شئتم...» قد أعطاه الأمان الأبدي، والغريب أنّ قول النبي هذا قيل أمام عمر حين أراد قتل حاطب ومع ذلك نسيه وهرع إلى أم سلمة يستفسر إن كان من أولئك الصحابة الذاهبين إلى النار!

حتى أم سلمة (رضوان الله عليها) لا علم لها بالحديث، وكان من المناسب - لو سمعت به - قولها لعبد الرحمن اعمل ما شئت فقد غفر الله لك، لا أن تزيد خوفه بقولها: سمعت

١. تحفة الأحوذى، ج ٦، ص ٤٥٠.

٢. مسند أحمد، ج ٦، ص ٢٩٠؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٦، ص ١٢٠٢، حديث رقم: ٢٩٨٢.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول «إِنَّ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ لَا يَرَانِي بَعْدَ أَنْ أَفَارِقَهُ».

الدليل الرابع عشر

روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: نظر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى رجل يقاتل المشركين وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم، فقال: «من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا»، فتبعه رجل فلم يزل على ذلك حتى جرح فاستعجل الموت، فقال بذبابة سيفه فوضعه بين ثديه فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيهَا يَرَى النَّاسَ عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمَنْ أَهْلُ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيهَا يَرَى النَّاسَ عَمَلُ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا!»^١.

الحديث يخالف التاريخ

لوطبقنا هذا الفهم الحرفي للحديث فماذا سنقول عن ابن عديس البلوي؟! فهو صحابي من البدرين ممن شارك في قتل عثمان، فهل غفر الله له؟!^٢ وكذلك سويد بن مخشي الطائي، فهو صحابي شهد بدرًا مع المسلمين وارتدَّ، فهل غفر الله له وأسكنه الجنة!!^٣

إننا لم نجد أحداً من الصحابة البدرين يحتجّ بهذا الحديث أو يذكره، بل كان بعضهم يخاف عاقبته ويعترف بأنّه غيرَ وبدل، ولو كان هذا الحديث بهذا المعنى لبعث الظمأنينة في نفوسهم.

رُوي عن حذيفة قال دُعي عمر لجنّازة فخرج فيها أو يريدّها فتعلّقت به، فقلت: اجلس يا أمير المؤمنين فإنّه من أولئك - أي من المنافقين - فقال: نشدتك بالله أنا

١. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم، ج ٧، ص ١٨٨.

٢. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٣٨٥؛ ابن كثير في البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٩١.

٣. ذكر ارتداد ابن حجر في الإصابة، ج ٣، ص ١٩٠، وراجع: الاستيعاب، ج ٢، ص ٦٨٠؛ تاريخ ابن كثير، ج ٣، ص ٣٨٨؛

سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٥٠٢.

منهم؟! قال: لا ولا أبرئ أحداً بعدك.^١

فلماذا يسأل عمر حذيفة إن كان من المنافقين إن كان النبي قد أخبره بأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟!^٢

وفي حديث آخر عن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر جعل يألّم، فقال له ابن عباس وكأنه يجزّعه: يا أمير المؤمنين ولئن كان ذلك لقد صحبت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)... قال أمّا ما ذكرت من صحبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورضاه فإنّما ذلك من منّ الله تعالى منّ به عليّ وأمّا ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنّما ذلك من منّ الله جلّ ذكره منّ به عليّ، وأمّا ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك؛ والله لو أنّ لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عزّ وجلّ قبل أن أراه!^٣

هل هذا هو حال من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! لا شكّ في أنّ عمر قال ما قال لأنّه لم يسمع ذلك الحديث المنسوب للنبي، أو فهم منه أنّ الله غفر ذنوبهم السابقة فقط!

إقامة الحدود على بعض البدريين

إنّ إقامة الحدّ على بعض البدريين مخالف لظاهر الحديث الذي أوجب غفران الله لهم مهما عملوا! ومن فسّر الحديث بأنّه غفران الذنوب في الآخرة، فقد فسره دون دليل. بالإضافة للحدّ الذي أقامه رسول الله على أهل الإفك فقد جلد نعيمان، حيث روي عن عقبة بن الحرث أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أتني بنعيمان أو بابن نعيمان وهو سكران فشقّ عليه وأمر من في البيت أن يضربوه، فضربوه بالجريد والنعال وكنت فيمن ضربه.^٣

قال الذهبي: قال أيوب السخيتاني: لم يحد بدري في الخمر سواه - قدامة بن مظعون - قلت:

١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٣، ص ٤٢ رواه البزار ورجاله ثقات.

٢. صحيح البخاري، ج ٤، ص ٢٠١.

٣. صحيح البخاري، ج ٨، صص ١٣ و ١٤.

بلى. ونعيمان بن عمرو الأنصاري النجاري صاحب المزاح.^١

وقد عاقب عمر قدامة بن مضعون، وهو بدري شرب الخمر فجلده عمر الحد.^٢

ابن المديني ينكر الحديث!!

كان علي بن المديني - شيخ البخاري - ينكر الشهادة لأهل بدر بالجنة، وينكر حديث حاطب ولا يصحح في ذلك أثراً.

روى ابن عبد البرّ عن أبي جعفر العقيلي قال: حدثنا محمد بن عتاب بن المربع، قال: سمعت العباس بن عبد العظيم العنبري، قال: كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي بن المديني راكباً على دابة، قال: فتناظرا في الشهادة وارتفعت أصواتهما حتى خفت أن يقع بينهما جفاء، وكان أحمد يرى الشهادة وعلي يأبى ويدفع، فلما أراد علي الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه وسمعت أحمد في ذلك المجلس يقول: لا ننظر بين أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) فيما شجر بينهم ونكل أمرهم إلى الله والحجة في ذلك حديث حاطب.^٣

وقال: كان أحمد بن حنبل (رحمه الله) يرى الشهادة بالجنة لمن شهد بدرًا أو الحديبية أو لمن جاء فيه أثر مرفوع على ما كان منهم من سفك دماء بعضهم بعضاً، وكان علي بن المديني يأبى ذلك ولا يصحح في ذلك أثراً.^٤

ابن الجوزي يفسر الحديث

قال ابن الجوزي: وينبغي أن يعلم أنّ معنى الحديث: لتكن أعمالكم المتقدمة ما كانت، فقد غفرت لكم. فأما غفران ما سيأتي فلا يتضمنه ذلك. أترأه لو وقع من أهل بدر -

١. سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ١٦٢.

٢. المصدر نفسه، ص ١٦١.

٣. جامع بيان العلم وفضله، ج ٢، ص ١٠٧.

٤. المصدر نفسه، ص ٩٦٨.

وحاشاهم - الشرك - إذ ليسوا بمعصومين - أما كانوا يؤخذون به؟! فكذلك المعاصي.^١
وقال في كشف المشكل من حديث الصحيحين: وقوله: «اعملوا ما شئتم» ليس على الاستقبال، وإمّا هو للماضي، وتقديره: أي عمل كان لكم فقد غفر. ويدلّ على هذا شيان، أحدهما: أنّه لو كان للمستقبل كان جوابه فسأغفر. والثاني: أنّه كأن يكون إطلاقاً في الذنوب، ولا وجه لذلك، ويوضح هذا أنّ القوم خافوا من العقوبة فيما بعد.^٢
لقد تبين لنا أنّ حديث حاطب غير صحيح، وإذا افترضنا صدوره، فينبغي فهمه من خلال النصوص القرآنية والحديثية بحيث لا نخرج عن سياقها، وهو في النهاية كقول الله عزّ وجلّ للمؤمنين عامة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.^٣

أحاديث ذات صلة

«أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم»

هذا النصّ من الأحاديث المشهورة التي يردّها البعض وينسبها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دون تمحيص، وهو لا يصحّ عند السلفية أنفسهم. يقول ابن تيمية فيه: «وحدّث أصحابي كالنجوم، ضعفه أئمة الحديث، فلا حجة فيه».^٤

وقال الألباني فيه: «موضوع»، وقال ابن عبد البرّ عن إسناده: «هذا إسناد لا تقوم به حجة»، وقال ابن حزم: «هذه رواية ساقطة»، وقال أحمد: «لا يصح هذا الحديث».^٥

وقال الألباني في موضع آخر عنه: «بل هو حديث باطل».^٦

١. صيد الخاطر، ج ١، ص ٣٩٦.

٢. ج ١، ص ١٤٢.

٣. العنكبوت: ٧.

٤. المنتقى، الذهبي، ص ٥٥١.

٥. كما في المنتخب لابن قدامة، ج ١٠، ص ١٩٩، ح ٢؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج ١، صص ٧٨ و ٧٩، ح ٦١.

٦. شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥٣٠.

ويقول ابن حزم أيضاً: «فقد ظهر أن هذه الرواية لا تثبت أصلاً، بلا شك إنها مكذوبة»^١.

وقال الشوكاني فيه: «فهذا مما لم يثبت قط»^٢.

ومتن الحديث يدل على أنه موضوع، فكيف يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابي كالنجوم فيما أمر أصحابه بالاقتداء بأصحابه؟!

الله الله في أصحابي

روى أحمد بن حنبل أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»^٣.

وقد خرَّج الألباني هذا الحديث، وضعفه، حيث قال: «ضعيف»، أخرجه البخاري في التاريخ (٣ / ١٣١ / ٣٨٩)، والترمذي (٣٨٦١)، وابن حبان (٢٢٨٤ - موارد)، وأحمد (٤ / ٨٧ و ٥٤ / ٥ - ٥٥)، وفي الفضائل (١ / ٤٧ / ١ و ٣)، وابنه عبدالله في زوائده (١ / ٤٨ / ٢ و ٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٤٧٩ / ٩٩٢)، وأبونعيم في الحلية (٨ / ٢٨٧)، والعقيلي (٢ / ٢٧٢)، وابن عدي (٤ / ١٦٧)، والبيهقي في الشعب (٢ / ١٩١ / ١٥١١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩ / ١٢٣)؛ كلهم من طرق عن سعد بن إبراهيم، وقال بعضهم: إبراهيم بن سعد: حدثنا عبيدة بن أبي رائطة عن عبدالرحمن بن زياد عن عبدالله بن مغفل، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)... فذكره.

وقال الترمذي: «حديث [حسن] غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه»؛ قلت: وقوله: «حسن»؛ زيادة في بعض النسخ دون بعض؛ كما ذكر ذلك الأستاذ الدعاس في

١. الإحكام، ج ٦، ص ٢٤٤.

٢. إرشاد الفحول، ص ٢٤٣.

٣. مسند أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ٥٤ و ٥٥.

تعليقه عليه، وفي ثبوتها في «الترمذي» نظر عندي، ولا سيما وهو مناف لحال أحد رواته في نقدي لما يأتي، فقد عزاه جمع للترمذي منهم العراقي في «تخريج الإحياء» (١ / ٩٣)، ومن قبله الحافظ المزي في «التحفة» فلم يذكروا عنه تحسينه إياه، وكذلك في ترجمة عبدالرحمن بن زياد من «التهذيب»؛ وتبعهم السيوطي في «الجامع الكبير»، ومن قبله ابن كثير في «التفسير / الأحزاب»، لكنني قد وجدت التحسين قد ذكره في عبارة الترمذي المتقدمة من هو أقدم من هؤلاء جميعاً وأكثر معرفة بكتاب الترمذي، ألا وهو الحافظ البغوي في بعض نسخ كتابه القديمة، فإن صح عنه فهو من تساهله المعروف، فقد قال شيخه البخاري عقب الحديث: «فيه نظر». قلت: ولعل ذلك - والله أعلم - من قبل راويه عبدالرحمن بن زياد؛ فإنه لا يعرف إلا بهذه الرواية من طريق بن أبي رائلة عنه ولذلك قال الذهبي في «الميزان»: «لا يعرف، قال البخاري: فيه نظر»، وأقره الحافظ في «اللسان» وذكر أنه اختلف في اسمه وأنه مفسر في «التهذيب» في ترجمة عبدالرحمن بن زياد وهناك روي عن ابن معين أنه قال: «لا أعرفه» والاختلاف الذي أشار إليه، قد تتبعت في المصادر المتقدمة فوجدته على الوجوه الأربعة التالية:

- ١ - عبدالله بن عبدالرحمن، وهو الأكثر؛ ٢ - عبدالرحمن بن أبي زياد؛ ٣ - عبدالرحمن بن زياد؛ ٤ - عبدالرحمن بن زياد أو عبدالرحمن بن عبدالله. فأقول: إن هذا الاختلاف مما يؤكّد ما سبق عن الحفاظ أنه لا يعرف وعلى الوجه الأول وقع في «كامل ابن عدي»، ولكنه شدّ عن الجماعة، فأورد الحديث بإسناده تحت ترجمة عبدالله بن عبدالرحمن بن يعلي الطائفي، وروى فيها قول البخاري المتقدّم في عبدالله بن عبدالرحمن فيه نظر فأوهم ابن عدي بصنيعه هذا أنّ الحديث حديث الطائفي هذا، ولا علاقة له به مطلقاً، فتنبّه، فقد تبعه على ذلك المعلق عليه! وخالف الطرق المشار إليها أنفاً حمزة بن رشيد الباهلي فقال: حدثنا إبراهيم بن

سعد عن عبيدة بن أبي رائطة عن عمر بن بشر عن أنس بن مالك أو عمّن حدثه عن أنس بن مالك - إبراهيم شك - عن النبي (صلى الله عليه وسلم) نحوه. أخرجه العقيلي (٢ / ٢٧٣) قلت: وهذه رواية شاذة بل منكورة؛ فإنّ حمزة هذا - مع مخالفته للثقات - لم أجد له ترجمة فيما لدي من كتب الرجال؛ ثم قال العقيلي: «وفي هذا الباب أحاديث جيدة الإسناد من غير هذا الوجه بخلاف هذا اللفظ» قلت: وكأنّه يشير إلى نكارتة، وهو بها حريّ.^١

أصحابي أمانة لأمتي

روى مسلم عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: «النجوم أمانة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون».^٢

قال النووي: الأمانة بفتح الهمزة والميم والأمن والأمان بمعنى، ومعنى الحديث أنّ النجوم ما دامت باقية فالسماة باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت، وقوله (صلى الله عليه وسلم): «وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون» أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتدّ من الاعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أُنذِر به صريحاً وقد وقع كلّ ذلك، قوله (صلى الله عليه وسلم)، «وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكّة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته (صلى الله عليه وسلم).^٣

أما أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمانة لأصحابه فهذا صحيح، ولكن كيف يكون الصحابة أمانة للأمة؟! كيف يكون الصحابة أمانة للناس من بعدهم وهم أنفسهم وقعوا في

١. سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج ٦، ص ٤٤٥.

٢. صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٨٣.

٣. شرح صحيح مسلم، ج ١٦، ص ٨٣.

الحيرة وافتتنوا وتقاتلوا وأريقتم دماء بريئة في عهدهم؟!

قال ابن هشام: «وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) همّوا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك»^١.

إن كثيراً من الفتن والحوادث التي حدثت في الدين قد وقعت في عهد الصحابة وامتد أثرها ولا زلنا نكتوي إلى الآن بنار خلافاتهم ومخالفاتهم للنبي! لو أخذنا مثلاً واحداً، وهو سياستهم في عدم تدوين السنة ونهيمهم عن التحدّث بها، فسنري أن عملهم هذا قد جرّ على الأمة الويلات.

قال ابن الطوفي الحنبلي: «اعلم أن من أسباب الخلاف الواقع بين العلماء تعارض الروايات والنصوص، وبعض الناس يزعم أن السبب في ذلك عمر بن الخطاب، وذلك أن الصحابة استأذنوه في تدوين السنة من ذلك الزمان، فمنعهم من ذلك وقال: لا أكتب مع القرآن غيره، مع علمه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «اكتبوا لأبي شاه خطبة الوداع»، وقال: «قيدوا العلم بالكتابة»، فلو ترك الصحابة يدون كل واحد منهم ما روي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) لانضبطت السنة، ولم يبق بين آخر الأمة وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) في كل حديث إلا الصحابي الذي دون روايته، لأن تلك الدواوين كانت تتواتر عنهم إلينا، كما تواتر البخاري ومسلم ونحوهما»^٢.

معنى الحديث السابق أن النبي جعل نفسه وصحابته مصدراً للأمان وترك الأجيال اللاحقة تتخبط في دينها حتى انقسمت وظهرت الطوائف المتصارعة!

أليس من الرحمة الإلهية أن تكون هناك أمانة كالنجوم موجودة عبر العصور ما دامت الأمة موجودة؟! فذهاب نجوم السماء يعني ظلمتها وذهاب النجوم في الأرض، أي النبي - وافتراسا- صحابته من بعده، يعني ظلمة الأرض، وهذا يدعونا للتشكيك بصحة الحديث.

١. البداية والنهاية، ج ٥، ص ٣٠٠.

٢. ذكره عنه ابن رجب الحنبلي في الذيل على طبقات الحنابلة، ص ٣٦٦.

فلو كان الصحابة أمانة للأمة، لما انقسمت وكفر بعضها البعض، ولما اتهمت غيرها بالضلال، فالأشاعرة والماتريديّة من جهة والسلفية من جهة أخرى، يشتركون في رجوعهم للصحابة، ونظرتهم إلى الصحابة متطابقة من حيث تعديلهم والأخذ عنهم ومع ذلك يضللون بعضهم البعض، ويصل الأمر بينهم أحياناً إلى التكفير، فلماذا لم يكن الصحابة أمانة لمتبعيهم؟!^١

ألا يدعي السلفيون أنّهم على ما كان عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه؟! ألا يدعي الأشاعرة والماتريديّة أنّهم على ما كان عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه؟! إذن لماذا يحتكر كلّ فريق منهم النجاة لنفسه ويضلّل الآخر؟!^٢

ألا يدعي الشيعة أنّهم على ما كان عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه الخالص وعلى رأسهم علي (عليه السلام)؟

لا شكّ في أنّ صيغة الحديث محرّفة، وقد روت المصادر الإسلامية الصيغة الصحيحة لحديث الأمانة، وهذه الصيغة هي التي تتوافق مع الوصية النبوية الخالدة باتّباع الثقلين: الكتاب والعترة.

روى الحاكم النيسابوري وصحّحه بسنده عن محمّد بن المنكدر، عن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ «النجوم أمانٌ لأهل السماء فإذا ذهبت أناها ما يؤعدون، وأنا أمانٌ لأصحابي ما كنتُ فإذا ذهبت أتاها ما يؤعدون، وأهل بيتي أمانٌ لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتاها ما يؤعدون».^٢

وروى أيضاً وصحّحه بإسناده عن محمّد بن المنكدر عن أبيه، عن النبي (صلى الله عليه وسلم): قال: «النجوم أمانٌ لأهل السماء، فإن طُمست النجوم أتى السماء ما يؤعدون، وأنا أمانٌ

١. لا يُقال هنا بأن فرق الشيعة كذلك ترجع لأهل البيت، ومع ذلك بينها اختلاف... لأنّ هذه الفرق مختلفة في رجوعها لأئمة أهل البيت، على عكس مدارس الجمهور فهي متفقة في تعديلها للصحابة ورجوعهم إليهم.

٢. المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ٤٥٧.

لأصحابي، فإذا قُبِضْتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأهل بيتي أمانٌ لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمتي ما يوعدون».

وعن علي (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): النجوم أمان لأهل السماء، إذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».^١

وفي رواية: عن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس».^٢

قال المناوي في شرح الحديث: «شبههم بنجوم السماء وهي التي يقع بها الاهتداء وهي الطوالع والغوارب والسيارات والثابتات فكذلك بهم الاقتداء وبهم الأمان من الهلاك، قال الحكيم الترمذي: أهل بيته هنا من خلفه على منهجه من بعده وهم الصديقون وهم الأبدال».^٣

وقال الإمام المقبلي: وكذا أخرج أحمد حديث «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة اختلفوا فصاروا حزب إبليس» قال: ومن أنصف علم أنّ هذا الدليل أقوى من أدلة إجماع الأمة بمراتب.^٤

إنّ النصّ المحرّف للحديث لا يمكن تعميمه - على افتراض صحّته - على جميع الصحابة، ففيهم من يمنع من حوض النبي يوم القيامة.

١. فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٦٧١.

٢. المستدرک، وصححه، ج ٣، ص ١٤٩ و ج ٤، ص ٧٥.

٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٦، ص ٣٨٦.

٤. ونقله عنه الأمير الصنعاني في كتابه، إجابة السائل شرح بغية الأمل، ج ١، صص ١٥٥ و ١٥٦؛ دون اعتراض منه عليه مما

أخرج البخاري عن أبي وائل، قال: قال عبد الله: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «أنا فرطكم على الحوض، ليرفعنَّ إلى رجال منكم حتَّى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي! فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك!»^١

فهل هؤلاء الذين يساقون للنار هم أمانة للأمة!!؟

١. كتاب الفتن، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾، ج ٨، ص ٨٧.

الفصل الثاني:

حديث الحوض

حديث الحوض

حديث الحوض هو حديث متواتر رواه عشرات الصحابة، قال ابن عبد البر: «الأحاديث في حوضه (صلى الله عليه وسلم) متواترة صحيحة ثابتة كثيرة، والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب والإقرار به عند الجماعة لازم»^١. لهذا الحديث ارتباط وثيق بالأدلة التي يعتمد عليها السلفية، خاصة أنه بلغ حد التواتر، وتلك الأحاديث التي استعرضناها سابقاً كانت أخبار آحاد، لذا فإن هذا الحديث هو رد إضافي على كل تلك الأدلة التي بحثناها، وسنورد هنا بعض الروايات التي تنص على وجود بعض الصحابة الذين يُزادون عن الحوض، بسبب الارتداد أو الإحداث بعد النبي، ثم ننظر لهذه الروايات من نفس ألفاظها وعن طريق القرائن المحيطة بها، والنتيجة التي سيصل القارئ إليها تكفي وحدها لإبطال كل ما قدموه من أدلة.

ألفاظ الحديث

أمتي أمتي

جاء الحديث بصيغ عديدة منها: «أمتي أمتي» حيث روى أحمد عن عائشة قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُهُ عَلَيَّ مِنْكُمْ،

فَلْيَقْطَعَنَّ رِجَالَ دُونِي، فَلَا قَوْلَ: يَا رَبُّ أُمَّتِي أُمَّتِي! فَلْيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بِعَدِّكَ! مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»^١.

وليس هذا اللفظ مورد بحثنا لوروده في الأمة.

رجال منكم

أخرج البخاري عن أبي وائل، قال: قال عبد الله: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب أصحابي! فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك!»^٢

أناساً من أصحابي

رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ حِفَاةَ عِرَاءِ غَرَلَا؛ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ «وَأَوَّلُ مَنْ يَكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّ أَنَسًا مِنْ أَصْحَابِي يُوْخِذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي! فَيَقَالُ: أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، ﴿وَكَنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ الْحَكِيمِ»^٣.

ممن صاحبي

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «ليردن عليّ الحوض رجال ممن صاحبي حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ، اختلجوا دوني فلا قولن: أي رب أصحابي أصيحابي! فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^٤.

١. مسند أحمد، ج ٤١، ص ٣٨٨.

٢. كتاب الفتن، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَآتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾، ج ٨، ص ٨٧.

٣. صحيح البخاري، ج ٤، ص ١١٠.

٤. صحيح مسلم، ج ٧، ص ٧٠ و ٧١.

طائفة منكم

رُوي عن أبي هريرة: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ترد عليّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله»، قالوا: يا نبي الله أتعرفنا؟ قال: «نعم، لكم سيبا ليست لأحد غيركم، تردون عليّ غزراً محجلين من آثار الوضوء وليصدنّ عنّي طائفة منكم فلا يصلون، فأقول: يا ربّ هؤلاء من أصحابي! فيجيبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟!»^١.

حتى إذا عرفتهم

روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: «بيننا انا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله؛ قلت: وما شأنهم؟! قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقري. ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟! قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همم النعم»^٢.

لأننا نزعنا أقواماً

وأخرج مسلم عن عبد الله، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أنا فرطكم على الحوض ولأننا نزعنا أقواماً ثم لأغلبنّ عليهم، فأقول: يا ربّ أصحابي، أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^٣.

عن سهل بن سعد قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «إنّي فرطكم على الحوض من مرّ علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردّنّ علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم»،

١. صحيح مسلم، ج ١، ص ١٥٠.

٢. كتاب الرقاق، باب في الحوض.

٣. كتاب الفضائل، باب اثبات حوض نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وصفاته ليردّن عليّ أقوام، ج ٧، ص ٦٨.

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش، فقال: هكذا سمعت من سهل؟! فقلت: نعم، فقال: اشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: «فأقول إنهم مني!» فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي»^١.

أيها الناس ... جيء بكم زمراً

عن عبدالله بن رافع، قال: كانت أم سلمة تحدّث أنّها سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول على المنبر وهي تمتشط: «أيها الناس». فقالت لماشطتها: لفي رأسي، قالت: فقالت: فديتك إنّما يقول: «أيها الناس». قلت: «ويحك، أولسنا من الناس؟! فلقت رأسها، وقامت في حجرتها، فسمعته يقول: «أيها الناس، بينما أنا على الحوض، جيء بكم زمراً، ففرقت بكم الطرق، فناديتكم: ألا هلموا إلى الطريق، فناداني منادٍ من بعدي، فقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فقلت: ألا سحقاً، ألا سحقاً»^٢.

ليرتدنّ أقوام بعد إيمانهم

في تاريخ ابن كثير، ج ٦، ص ٢٣٢، قال: أخرج البيهقي عن أبي الدرداء، قال: قلت: يا رسول الله، بلغني أنّك تقول: «ليرتدنّ أقوام بعد إيمانهم» قال (صلى الله عليه وسلم): «أجل ولست منهم»^٣.

يؤتى بأقوام

عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «أنا فرطكم على الحوض، فمن ورد أفلح، ويؤتى بأقوام فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أي رب! فيقال: ما زالوا بعدك يرتدون على أعقابهم»^٤.

١. صحيح البخاري، ج ٧، صص ٢٠٧ و ٢٠٨.

٢. مسند أحمد، ج ٣، ص ١٨؛ سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الحوض ٢، ص ١٤٣٩، ح ٤٣٠٦.

٣. دلائل النبوة، ج ٦، ص ٤٠٣؛ مسند أحمد، ج ١، ص ٢٥٧.

٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٤٤، ص ١٦٩.

أنا فلان بن فلان

رُوي عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول على هذا المنبر: «ما بال رجال يقولون إنَّ رحم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا تنفع قومه، بلى والله إنَّ رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإنِّي أيها الناس فرط لكم على الحوض، فإذا جئتم قال رجل: يا رسول الله أنا فلان بن فلان، وقال أخوه: أنا فلان بن فلان»، قال لهم: «أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقري»^١.

من أصحابي من لا يراني

رُوي عن أم سلمة أنها قالت دخل عليها عبدالرحمن بن عوف فقال: يا أمه قد خفت أن يهلكني كثرة مالي، أنا أكثر قريشاً مالاً؛ قالت: يا بني فأنتق فإنِّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إنَّ من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه»، فخرج فلقي عمر فأخبره، فجاء عمر فدخل عليها فقال لها: بالله منهم أنا؟! فقالت: لا ولن أبريء أحداً بعدك^٢.

قال القرطبي بعد أن أورد حديث: «رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض... إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري»: والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فمن بدل أو غير أو ابتدع في دين الله ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبتعدين منه المسودي الوجوه^٣.

شراح الحديث

فسر العلماء من أهل الحديث وغيرهم هؤلاء المساقين إلى النار بأنهم المنافقون والمرتدون أو أصحاب الكبائر، لكنهم ذكروا هذا دون دليل يُستند عليه بعيداً عن

١. مسند أحمد، ج ٣، ص ١٨؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ٣٦٤: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

٢. مسند أحمد، ج ٦، ص ٢٩٠؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٦، ص ١٢٠٢، حديث رقم: ٢٩٨٢.

٣. تفسير القرطبي، ج ٤، ص ١٦٨.

معطيات الحديث والقرائن الأخرى التي يجب أن يُعتمد عليها في بيان المقصود.

قال ابن حجر: قال الفريزي ذكر عن أبي عبدالله البخاري عن قبيصة قال: هم الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبو بكر، يعني حتّى قتلوا وماتوا على الكفر... وقال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد وإتّما ارتدّ قوم من جفاة الأعراب ممّن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين... وقال ابن التين: يحتمل أن يكونوا منافقين أو من مرتكبي الكبائر، وقيل هم قوم من جفاة الأعراب دخلوا في الاسلام رغبة ورهبة... وقال النووي: قيل هم المنافقون والمرتدّون... وقيل هم أصحاب الكبائر والبدع الذين ماتوا على الاسلام... ورجّح عياض والبايجي وغيرهما ما قال قبيصة راوي الخبر أنّهم من ارتدّ بعده (صلى الله عليه وسلم)... ولا يبعد أن يدخل في ذلك أيضاً من كان في زمنه من المنافقين.^١

وهناك كثيرون فسروا الأحاديث بالمرتدين والمنافقين، ومن هؤلاء: السيوطي، في الديباج على مسلم،^٢ سفر الحوالي في شرح العقيدة الطحاوية^٣، وجمع غفير من السلفيين.

في عمق الحديث

إنّ تفسير العلماء السابق للحديث نابع من مرتكز عاطفي في نظرتهم للصحابة، وهو مبني على تفاهم واضح بينهم، فقد قال النووي: ومذهب أهل السنة والحقّ إحسان الظنّ بهم - الصحابة - والإمساك عمّا شجر بينهم، وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون.^٤

وقال الذهبي: كما تقرّر الكفّ عن كثير مما شجر بينهم، وقتالهم (رضى الله عنهم أجمعين) وما زال يمرّ بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء... فينبغي طيه وإخفاؤه،

١. فتح الباري، ج ١١، صص ٣٣٣ و ٣٣٤.

٢. ج ٢، صص ٣٣ و ٣٤.

٣. ص ٧٨١.

٤. شرح النووي على صحيح مسلم، ج ١٨، صص ٢١٩ و ٢٢٠.

بل إعدامه لتصفوا القلوب و تتوفّر على حب الصحابة و الترضي عنهم و كتمان ذلك متعيّن عن العامة و آحاد العلماء^١.

نلاحظ في النصوص المتقدّمة أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يشير إلى مجموعات تُساق إلى النار من أصحابه، وحتى نفهم الحديث أكثر فلا بدّ من دراسة ألفاظه، إذ إنّ النصوص يمكن أن تفسّر بعضها، كما لا بدّ من دراسة شواهد النصّ من أقوال النبي و الصحابة أنفسهم. لقد استعمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الصيغ التالية:

«ليرفعنّ إلي رجال منكم»، وهو خطاب خاصّ للصحابة الحاضرين حوله، وكان ابن مسعود راوي الحديث بينهم كما يبدو. وقد كان مصير بعضهم النار لأنّهم أحدثوا بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

«ولأنّازعنّ أقواماً ثم لأغلبنّ عليهم، فأقول: يا ربّ أصحابي!»، ذكر هنا لفظ أقوام وهو دليل على كثرتهم، ثم فسّرهم بأنهم أصحابه .

«ليرتدنّ أقوام بعد إيمانهم». وهنا أيضاً ورد لفظ أقوام، والأقوام بلا شكّ كثراً! «ما زالوا يَرْجِعُونَ على أعقابهم» و«ما زالوا بعدك يرتدون على أعقابهم» ومجىء اللفظ بهذه الصيغة يدلّ على استمرارية الرجوع عن الحقّ بعد النبي، وطول مدّة الرجوع وهو لا يتناسب مع حال المرتدّين، الذين تم قتل قسم منهم و تاب الآخرون لاحقاً! «أناساً من أصحابي» لأنّهم «لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

«من صاحبي» يدل على كثرة و دوام مصاحبة هؤلاء للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمرتدون من الأعراب لم يروا النبي إلا فترة قليلة، فبعضهم قدم حين قدمت الوفود على النبي و بعضهم رأى النبي في حجّة الوداع، وهؤلاء لا ينطبق عليهم فعل المصاحبة التي تستتبع الملازمة وكثرة الاحتكاك بسيدهم رسول الله.

«منذ فارقتهم» وهذا القول فيه دلالة على أنّهم ارتدوا منذ لحظة فراق النبي لهم!

«أنا فلان بن فلان» أو «حتى إذا عرفتهم» يدلّ على معرفة النبي القوية بهم، إذ يجيبهم: «أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتدتم القهقري».

«رجال منكم» قد أورده البخاري تحت عنوان ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ وكأنّه جعل الحديث مفسراً للآية الكريمة، وهذه الآية تخاطب الصحابة الذين كانوا حول النبي دون الأعراب ووفود القبائل، بل نصّوا على أنّها نزلت في أهل بدر.^١

قال الزبير بن العوام: نزلت هذه الآية ونحن متوافرون مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ﴿وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ فجعلنا نقول ما هذه الفتنة؟! وما نشعر أنّها تقع حيث وقعت.^٢

إن جعل البخاري للآية الكريمة عنواناً واعتباره أنّ حديث الارتداد مفسراً لها، يعني أنّ حديث الحوض يدلّ على الذين نزلت فيهم الآية!

نقض تفسيره بأهل الكبائر

لا يمكن تفسير الحديث بأهل الكبائر لأنّ النصّ موجه للصحابة، والحديث نفسه قد ذكره ذودهم عن الحوض وهي الارتداد والإحداث والتبديل بعد النبي، ولو صحّ أنّه فيهم لكان جوابهم للنبي: إنهم ارتكبوا الكبائر، لا أن يقال: «إنهم ارتدوا» وينقض هذا التفسير ما روي عن أنس بن مالك أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».^٣

وقال ابن تيمية: كَمَا قَدْ تَوَاتَرَتْ عَنْهُ أَحَادِيثُ الشَّفَاعَةِ مِثْلَ قَوْلِهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي

١. جامع البيان، ج ٩، ص ٢٨٨، ذكر تفسيرها ابن حجر عن الطبري دون طعن؛ فتح الباري، ج ١٣، ص ٣؛ تفسير ابن أبي حاتم الرازي، ج ٥، ص ١٦٨٢.
٢. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧، ص ٢٧؛ رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، مسند أحمد، ج ١، ص ١٦٧.
٣. مسند أحمد، ج ٣، ص ٢١٣.

الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».^١

فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في حقهم: «سحقاً سحقاً لهم». ولو كانوا من أهل الكبائر لشفع لهم كما هو مقتضى حديث الشفاعة، أم أنه - حاشاه - بخل عليهم بالشفاعة؟!

نقض تفسيره بالمنافقين

المنافق لا يرتدّ لأنّه لم يؤمن أصلاً، فلا ينطبق عليه الحديث، وحتى لو فسّرناه بالمنافقين، فمن هم هؤلاء؟ وما الذي أحدثوه بعد النبي؟ إنّ التاريخ لا يكاد يذكر لنا شيئاً في هذا المقام عنهم، بالرغم من تصريح حذيفة: «إنّ المنافقين اليوم شرّ منهم على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) كانوا يومئذٍ يسرون واليوم يجهرون».

وعنه أيضاً قال: «إنّما كان النفاق على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)، فأما اليوم فإنّما هو الكفر بعد الايمان».^٢

فما هو السبب في عدم تصريح التاريخ بأعمال المنافقين الكفرية بعد النبي؟ لا شكّ في أنّهم أقوى بعد وفاة النبي، إذ الوحي غائب عن كشف مؤامراتهم.

بعض روايات الحديث جاءت بلفظ «أقوام، زمراً» وهذا دليل على كثرتهم، والمنافقون كانوا قلّة حسب بعض المصادر.

روى مسلم في صحيحه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط».^٣

فهل هؤلاء الثمانية هم الأقوام الذين عناهم النبي ويساقون إلى النار؟! لقد ورد الحديث بصيغة «ليرتدّن أقوام بعد إيمانهم»، ولفظ «بعد إيمانهم» ردّ على من فسّر الحديث بالمنافقين وبالأعراب المرتدين، إذ إنّ المنافق لم يذق طعم الإيمان،

١. مجموعة الفتاوى، ج ٧، ص ٥٠٠.

٢. صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٠٠.

٣. صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٢٢.

والمرتدون من قبائل العرب ما كانوا مؤمنين ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِن قُولُوا
 أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^١.
 فالنص صريح في ارتداد أقوام مؤمنين!

نقض تفسيره بالمرتدين

إن أكثر المرتدين قد ارتدوا في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال ابن هشام في
 قوم بني حنيفة وزعيمهم مسيلمة: «ثم انصرفوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجاؤوه
 بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتبأ وتكذب لهم، وقال: إني قد أشركت
 في الأمر معه... وأحلّ لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يشهد
 لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنه نبي، فأصفت معه حنيفة على ذلك»^٢.
 أما الأسود العنسي وقومه فكذلك ارتدوا في حياة النبي فبعث لهم من يقاتلهم وقُتل
 الأسود العنسي^٣.

روى البخاري عن همام أنه سمع أبا هريرة (رضي الله عنه) يقول: قال رسول الله (صلى الله
 عليه وسلم): «بيننا انا نائم، أتيت بخزائن الأرض فوضع في كفي سواران من ذهب فكبرا عليّ
 فأوحي إليّ أن انفخهما، فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء
 وصاحب اليمامة»^٤.

وممن ارتد طليحة الأسدي، وقد ارتد في حياة النبي، قال ابن كثير: وقد كان طليحة
 الأسدي ارتد في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)^٥.

١. الحجرات: ١٤.

٢. سيرة ابن هشام، ج ٤، ص ٩٩٩.

٣. الإصابة، لابن حجر، ج ١، ص ٦٣٥.

٤. صحيح البخاري، ج ٥، ص ١١٩.

٥. البداية والنهاية، ج ٦، ص ٣٥٠.

و جاء في تاريخ ابن عساكر: ارتدّ طليحة في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) وادّعى النبوة فوجّه النبي (صلى الله عليه وسلم) ضرار بن الأزور إلى عمّاله على بنى أسد في ذلك وأمره بالقيام، وبعث في ذلك إلى كلّ من ارتدّ.^١

وعلم النبي (صلى الله عليه وآله) بخبره، قال ابن حجر في ترجمة عوييف الوراقاني: إنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) استنهضه لقتال طليحة الأسيدي لما بلغه خبره.^٢
ويقال إنّّه تاب، قال ابن حجر: وتاب طليحة ومات على الاسلام، على الصحيح في خلافة عمر.^٣

فلماذا لا يعلم النبي - عند الحوض - بارتدادهم وقد عرف مصيرهم في حياته بحيث بعث لهم من يقاتلهم؟!

أما بالنسبة لسجاح، فقد قال ابن حجر في ترجمتها: سجاح بنت الحارث التميمية التي ادعت النبوة في الردة وتبعها قوم ثم صالحت مسيلمة وتزوجته ثم بعد قتله عادت إلى الاسلام فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية.^٤

قال ابن حجر: ونقل أنّ سجاح أيضاً تابت، وأخبار هؤلاء مشهورة عند الإخباريين.^٥
ولا يمكن حمل الحديث على قوم مالك بن نويرة الذين قتلهم خالد بن الوليد، إذ إنّ هؤلاء لم يرتدّوا ولم ينكروا فريضة الزكاة وإنّما توقّفوا عن دفعها لسبب ما، وقد شهد بإسلامهم الكثيرون.

قال الطبري: وكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها، وكان يحدث أنّهم لما غشوا القوم راعوهم

١. تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٥، ص ١٥٦.

٢. الإصابة، ج ٤، ص ٦١٩.

٣. فتح الباري، ج ٦، ص ٤٥٤ و ٤٥٥.

٤. الإصابة، ج ٨، ص ١٩٨.

٥. فتح الباري، ج ٦، ص ٤٥٥.

تحت الليل فأخذ القوم السلاح، قال: فقلنا: إنّا المسلمون! فقالوا: ونحن المسلمون!!، قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح، قال: فوضعوها ثم صلّينا وصلّوا!! إلى أن قال: ثم أقدمه - خالد - فضرب عنقه - مالكاً - وعنق أصحابه.^١

وفي كنز العمال: إنّ خالد بن الوليد ادّعى أنّ مالك بن نويرة ارتدّ بكلام بلغه عنه، فأنكر مالك ذلك، وقال: أنا على الإسلام ما غيرت ولا بدّلت، وشهد له أبو قتادة وعبدالله بن عمر، فقدمه خالد وأمر ضرار بن الأزور الأسدي فضرب عنقه، وقبض خالد امرأته أم تميم فتزوجها.^٢

وفي الإصابة لابن حجر: إنّ خالداً رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال، فقال مالك بعد ذلك لامرأته: قتلتيني.^٣

قال الواقدي: ثم قدمه خالد فضرب عنقه صبراً، فيقال: إنّ خالد بن الوليد تزوج بامرأة مالك ودخل بها، وعلى ذلك إجماع أهل العلم.^٤

قال ابن الأثير: ويدلّ على أنّه لم يرتدّ، قول عمر لخالد: قتلت امرأ مسلماً وأبو قتادة يشهد أنّهم أذنوا وصلّوا وأبو بكر يردّ السبي ويعطي دية مالك من بيت المال، فهذا جميعه يدلّ على أنّه مسلم!! فرحمه الله تعالى.^٥

وقال ابن عبد البرّ عن مالك: واختلف فيه، هل قتله مسلماً أو مرتداً؟ وأراه - والله أعلم - قتله خطأ.^٦

١. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٠٢: الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٥٩.

٢. كنز العمال، للمتقي الهندي، ج ٣، ص ١٣٢.

٣. ج ١، ص ٣٣٧: تاريخ الإسلام، للذهبي، ص ٦٣٤.

٤. كتاب الردة ونبذة من فتوح العراق، اعنتى بهتذبه محمد حميد الله، ص ٥٨، ٦٠.

٥. أسد الغابة، ج ٤، ص ٢٩٥ و ٢٩٦.

٦. الاستيعاب، ج ٣، ص ١٣٦٢.

قال عبد الرحمن بن عوف: والله لقد قتل خالد القوم، فقال خالد: إنّما قتلتهم بأبيك عوف بن عبد عوف. فقال له عبد الرحمن: ما قتلت بأبي ولكنك قتلت بعمك الفاكه بن المغيرة.^١

جاء في المنتظم لابن الجوزي الحنبلي: وكان أبو قتادة الأنصاري يقول عن خالد: ترك قولي وأخذ بشهادة الأعراب الذين فتنتهم الغنائم.^٢

وممن يشهد لمالك بنبي بالإسلام أبو بكر إذ قال عن خالد أنّه تأوّل فأخطأ.^٣ وشهد بإسلامه عمر إذ إنّهُ لما التقى عمر خالدًا، قال له: قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته! والله لأرجمَنَّك بأحجارك.^٤

فمالك مسلم بشهادته على نفسه وشهادة كلِّ من: أبو قتادة الأنصاري، عبد الله بن عمر، عبد الرحمن بن عوف، عمر بن الخطاب، أبو بكر، وشهد بإسلامه أيضاً: الواقدي، وابن عبد البرّ، وابن الأثير في أسد الغابة وابن كثير في تاريخه، والقوشجي في شرح التجريد، وغيرهم.

ثم إنَّ من تبقي من المرتدين قد رجع إلى الإسلام، فكيف يكون المرتدون هم المعينون بحديث الحوض؟!

قال ابن حجر نقلاً عن ابن حزم في الملل والنحل: وعاد طليحة إلى الاسلام وكذا سجاح ورجع غالب من كان ارتدّ إلى الاسلام، فلم يحل الحول وإلا والجميع قد راجعوا دين الاسلام ولله الحمد.^٥

١. تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٦١.

٢. ج ٤، ص ٧٩.

٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، ج ٦، ص ١٥.

٤. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٠٤.

٥. فتح الباري، ج ١٢، ص ٢٤٤؛ ذكر هذا المباركفوري في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، ص ٥٥ موافقاً لابن

قرائن وشواهد تفسر الحديث

إشارة القرآن للارتداد

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^١

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ يعني ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمداً بالدعاء إليه، ورجعتم عنه كفاراً بالله بعد الايمان به، وبعد أن وضحت لكم صحّة ما دعاكم محمد إليه، وحقيقة ما جاءكم به من عند ربّه. ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ يعني بذلك: ومن يرتد منكم عن دينه ويرجع كافراً بعد إيمانه ...^٢

وقال ابن كثير في تفسيره: لما انهزم ما انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمداً قد قتل ... فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد قتل ... فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال، ففي ذلك أنزل الله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ... ثم قال تعالى منكرّاً على من حصل له ضعف ﴿أَفَلَمْآ جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ أي رجعتم القهقري.^٣

وقال القرطبي: والمعنى: أفنتقلبون على أعقابكم إن مات أو قتل؟! ... وقوله ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ تمثيل ومعناه ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم، قاله قتادة وغيره ... وقيل: المراد بالانقلاب هنا الانهزام فهو حقيقة لا مجاز، وقيل: المعنى فعلتم فعل المرتدين وإن لم تكن ردة.^٤

١. آل عمران: ١٤٤.

٢. جامع البيان، ج ٤، ص ٤٧.

٣. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤١٨.

٤. تفسير القرطبي، ج ٤، ص ٢٢٦.

الاستفهام في الآية هو استنكاري ولا يمكن أن يكون استعلامياً، لأنه يستلزم نسبة الجهل إلى الله عز وجل، فهو تعالى يوبخهم ويستنكر عليهم فعلتهم ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ وهذا النوع من الاستفهام متحقق الوقوع خاصة وأنه جاء بصيغة الماضي (انقلبتم)، وهو نظير قوله: ﴿أَفَلَمَّا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَتَّقُلُونَ﴾^١ وقوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ دليل على بقاء مجموعة لم ترتد، والتعبير عنهم بالشاكرين ينبئ عن قلتهم، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^٢.

إن حدث هذا الارتداد هو تأكيد لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى! قال «فمن»^٣.

قال ابن حجر: «قال عياض الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شئ مما نهى الشرع عنه وذمه»^٤.

وقال بدر الدين العيني: لتتبعن سنن من قبلكم اتباعاً بشبر ملتبس بشبر وذراع ملتبس بذراع، وهذا كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي، لا في الكفر، وكذلك قوله: «لو سلكوا جحر ضب»... ووجه التخصيص: بجحر الضب، لشدة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم لاقتنائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لوافقوهم. قوله: «اليهود»، يعني قالوا: يا رسول الله، هم اليهود والنصارى!! قوله: «قال فمن؟» أي: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «فمن غيرهم،

١. البقرة: ٨٧.

٢. سبأ: ١٣.

٣. صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٤٤.

٤. فتح الباري، ج ١٣، ص ٢٥٥.

وهذا استفهام على وجه الإنكار، أي: ليس المراد غيرهم»^١.

لقد كان الأولون يتركون سنة أنبيائهم وينقلون عليها ويغيرون ويبدلون بمجرد موت هذا النبي أو ذلك الرسول، وعدم تحقق التغيير والتبديل من قبل الصحابة كحال السابقين هو تكذيب - والعياذ بالله - لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لتبعن سنن من كان قبلكم...!».

روى الحاكم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: كان عليّ يقول في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ وَاللَّهِ لَا نَنْقَلِبُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ وَاللَّهُ لئن مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَأَقَاتِلَنَّ عَلَىٰ مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ أَمُوتَ وَاللَّهُ اني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه، فمن أحقّ به منّي؟!»^٢.

ارهاصات الارتداد

لقد بدأ الارتداد من قبل الصحابة في مكة قبل الهجرة. قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: حتى ارتد فيما ذكر رجال ممن كان قد أسلم واتبع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأظهر كثير من المنافقين من أجل ذلك نفاقهم، وقالوا: ما بال محمد يحولنا مرة إلى ههنا، ومرة إلى ههنا؟! وقال المسلمون فيمن مضى من إخوانهم المسلمين وهم يصلّون نحو بيت المقدس: بطلت أعمالنا وأعمالهم وضاعت.^٣

وعن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، فقال عطاء: يتبليهم ليعلم من يسلم لأمره. قال ابن جريج: بلغني أن ناساً ممن أسلم رجعوا، فقالوا: مرة ههنا ومرة ههنا.^٤

١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج ١٦، صص ٤٣ و ٤٤.

٢. المستدرک، ج ٣، ص ١٢٦؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٣٤؛ رواه الطبراني في المعجم الكبير، ج ١، ص ١٠٧ ورجاله رجال الصحيح.

٣. تفسير الطبري، ج ٢، ص ١٧ و ١٨.

٤. المصدر نفسه، ص ١٩؛ فتح القدير للشوكاني، ج ١، ص ١٥٢.

وروى الطبري عن الحسن، في قوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال: أسرى به عشاء إلى بيت المقدس فصلّى فيه، وأراه الله ما أراه من الآيات، ثم أصبح بمكة، فأخبرهم أنّه أسرى به إلى بيت المقدس، فقالوا له: يا محمد ما شأنك أمسيت فيه ثم أصبحت فينا نخبرنا أنّك أتيت بيت المقدس؟! فعجبوا من ذلك حتى ارتدّ بعضهم عن الاسلام.^١

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال: أراه الله من الآيات والعبر في مسيره إلى بيت المقدس. ذكر لنا أنّ ناساً ارتدّوا بعد إسلامهم حين حدّثهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمسيره، أنكروا ذلك وكذبوا له، وعجبوا منه، وقالوا: تحدّثنا أنّك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة!^٢

قال ابن كثير في تفسيره: وتقدم أنّ ناساً رجعوا عن دينهم بعد ما كانوا على الحق.^٣ وجاء في السيرة النبوية: لما أسرى بالنبي ورجع فقال أكثر الناس: هذا والله الامر البين، والله إنّ العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة وشهراً مقبلة، أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة؟! قال: فارتدّ كثير ممن كان أسلم.^٤

روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن الربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ قال: كان أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) رجالاً وحسبوا أنّ الأمر يخفوا فلما أوذوا في الله، ارتدّ منهم أقوام.^٥

قال ابن قتيبة: قول الله عزّ وجلّ ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ والشجرة الملعونة في القرآن يعني بالرؤيا ما رآه ليلة أسرى به فأخبر بذلك فارتدّ به قوم.^٦

١. تفسير الطبري، ج ١٥، ص ١٣٨.

٢. المصدر نفسه، ص ١٣٩.

٣. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٥٢.

٤. سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٢٧٠؛ تفسير القرطبي، ج ١٠، ص ٢٨٥.

٥. تفسير ابن أبي حاتم، ج ٩، صص ٣٠٣٠ و ٣٠٣١.

٦. تأويل مختلف الحديث، ص ٢٠٢.

وروى الطبري في غزوة أحد: أتى ابن قمينة الحارثي أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فرمى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجّه في وجهه فأثقله، وتفرّق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها... وفشا في الناس أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد قتل، فقال بعض أصحاب الصخرة - من الصحابة - ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانة من أبي سفيان! يا قوم، إنّ محمداً قد قتل، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم.^١

هذا هو حال النفوس الضعيفة إذ إنّها تصاب بالصدمة والاحباط سريعاً، وتتمنى أن يكون لها اتصال بابن أبي ليتوسط لها عند أبي سفيان، واستمرّ وجود هذا النوع إلى زمن وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فحين توفّي ووصل خبره إلى مكة - وعامله عليها عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية - استخفى عتاب وارتجّت مكة وكاد أهلها يرتدّون.^٢

وقال ابن كثير في تاريخه: قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أنّ أكثر أهل مكة لما توفّي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) همّوا بالرجوع عن الاسلام وأرادوا ذلك.^٣

يتّضح مما سبق أنّ الارتداد كان أمراً هيناً عند الصحابة، ويبدو أنّ إيمانهم كان عاطفياً، حيث كان يتزعزع بمرور أية عاصفة، فليس بمستغرب بعد فقدان نور النبوة، أن يرجع من رجع منهم على أدبارهم القهقري أو يحدثوا في الدين ما لم يكن فيه، كما عبر عن ذلك سيد الخلق (صلى الله عليه وآله وسلم).

بعض من ارتد في حياة النبي

١- أبو بكر بن شعوب الليثي، اسمه شدّاد وقيل الأسود وقيل هو شدّاد بن الأسود... كان أسلم ثم ارتدّ.^٤

١. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٢٠.

٢. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج ٢، ص ٣٢٤؛ المختصر في أخبار البشر، أبي الفداء، ص ١٥٢.

٣. البداية والنهاية، ج ٥، ص ٣٠٠.

٤. الإصابة، ج ٧، ص ٣٨.

- ٢- أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجنّ، ويقال أسلم ثم ارتدّ إلى النصرانية.^١
- ٣- بشير بن الحارث بن عمرو بن حارثة الأنصاري الظفري، كان منافقاً شهد أحد.^٢
- ٤- جندب بن سلمى المدلجي، من بني سوق و كان ممّن ارتدّ في زمن أبي بكر.^٣
- ٥- خميصة بن الحكم السلمي، وقد ذكره الواقدي في الردة وأنه كان ممن ارتدّ.^٤
- ٦- ربيعة بن أبيّة بن خلف.
- ٧- رجال - بتشديد الجيم - قدم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في وفد بني حنيفة وكانوا بضعة عشر رجلاً لكنّه ارتدّ وقتل على الكفر.^٥
- ٨- سعد بن أبي سرح، ارتدّ ولحق بمكة.^٦
- ٩- سويد بن مخشي الطائي، قال أبو عمر: ذكره أبو معشر فيمن شهد بدرًا ويقال فيه ارتدّ.^٧
- ١٠- شريق والد الأخنس.^٨
- ١١- عبد الله بن أنيس، ارتدّ عن الإسلام وهرب إلى مكة.^٩
- ١٢- عبد الله بن خطل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة.^{١٠}
- ١٣- عبهلة بن كعب الأسود، وهو أول من ارتدّ عن الاسلام وادعى النبوة وقتل على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).^{١١}

١. تاريخ مدينة دمشق، ج ٩، ص ١٩٨.

٢. الإصابة، ج ١، ص ٤٢٨.

٣. المصدر نفسه، ص ٦٣٩.

٤. المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩٠.

٥. المصدر نفسه، ص ٤٤٦.

٦. تاريخ مدينة دمشق، ج ٤، ص ٣٣٣.

٧. الإصابة، ج ٣، ص ١٩٠.

٨. الإصابة ج ٣، ص ٣١٩.

٩. تفسير ابن أبي حاتم ج ٨، ص ٢٤٨٤.

١٠. الإصابة، ج ١، ص ١٥٩.

١١. إكمال الكمال، ابن ماكولا، ج ٢، ص ٥٤٣.

- ١٤- عبید الله بن جحش وكان قد أسلم وهاجر إلى أرض الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم ارتدّ وتصرّ فمات هناك على النصرانية.^١
- ١٥- طعمة بن أبيرق الأنصاري، وهو من الأوس من بني صقر، ارتدّ عن الإسلام ولحق بكفار مكة.^٢
- ١٦- قيس بن مطاطية.^٣
- ١٧- عبدالله بن سوريا، ويقال ابن صور الإسرائيلي، يقال أنّه أسلم وارتدّ.^٤
- ١٨- عبدالله بن نواحة، كان قد أسلم ثم ارتدّ فاستتابه عبدالله بن مسعود فلم يتب فقتله على كفره وردّته.^٥
- ١٩- نيهان - غير منسوب - ارتدّ ثلاث مرات.^٦
- ٢٠- الأشعث بن قيس، ارتدّ ثم رجع.

معنى الارتداد

نقل الحافظ ابن حجر عبارة عن الإمام البيضاوي في توجيه معنى الارتداد، وهي: ليس قوله «مرتدين» نصّاً في كونهم ارتدّوا عن الإسلام، بل يحتمل ذلك، ويحتمل أن يراد أنّهم عصاة المؤمنين المرتدون عن الاستقامة يبدّلون الأعمال الصالحة بالسيئة.^٧

وقال ابن الجوزي نقلاً عن الخطابي: ليس معنى الارتداد الرجوع عن الدين، إنّما هو التأخّر عن بعض الحقوق اللازمة والتقصير فيها.^٨

١. الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ٨، ص ٢١٨.

٢. تفسير مقاتل بن سليمان، ج ١، ص ١٨٠.

٣. تاريخ مدينة دمشق، ج ٢١، ص ٤٠٧.

٤. الإصابة، ج ٤، ص ١١٥.

٥. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٦٥.

٦. المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٣٠.

٧. فتح الباري، ج ١١، ص ٣٣٤.

٨. كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج ٢، ص ٣٥٦ و ٣٥٧.

ولهذا المعنى ذهب بعض الإمامية وفسروا أحاديث الارتداد في كتبهم وكتب غيرهم بما لا يخرج الصحابة عن دائرة الإسلام، وعليه لا يمكن حمل الحديث المذكور على المرتدين من الأعراب لأنهم ارتدوا حقيقة عن الإسلام! أما المرتدين في حديث الحوض فارتدادهم مجازي كما يبدو، قال الشيخ محمد حسن المظفر: معنى الارتداد؛ والظاهر أنّ له معنيين، حقيقياً وهو الانقلاب عن الدين بمخالفة بعض أصوله كالشهادتين عند الجميع والإمامة عند الإمامية. ومجازياً وهو مخالفة بعض أحكام الدين المهمة^١.

إشارة القرآن للتبديل

- قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^٢

يشير الله عز وجل إلى أنّ هناك قسماً من المؤمنين - وليس كلهم - قد بقوا على العهد، وهما صنفان، فبعضهم ماتوا أو استشهدوا في حياة النبي، وبعضهم ينتظرون وهؤلاء لم يبدلوا تبديلاً.

والجملة الأخيرة فسرها أهل التفسير بأنهم: «لم يغيروا كما غير المنافقون»^٣.

قال ابن كثير: «أي وما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا بدلوه»^٤.

والشاهد أنّ الآية الكريمة تشير إلى صنف من المؤمنين لم يغيروا وابدلوا، وربما يكون استخدام «من» التبعية دليلاً على قلتهم، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٥

١. دلائل الصدق لنهج الحق، ج ٥، ص ٨٠.

٢. الأحزاب: ٢٣.

٣. تفسير ابن أبي حاتم، ج ٩، ص ٣١٢٥؛ تفسير الطبري، ج ٢١، ص ١٧٨.

٤. تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٤٨٣.

٥. سبأ: ٢٠.

لقد شهد جابر بن عبدالله الأنصاري (رضوان الله عليه) بأن أصحاب النبي غيروا وبدلوا، ولم يستثنِ إلا واحداً منهم!

روى الحاكم عن يوسف بن مهران قال: كُنَّا مع جابر بن عبدالله (رضي الله عنهما) فقال جابر: إذا سرَّكم أن تنظروا إلى أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) الذين لم يغيروا ولم يبدلوا فانظروا إلى عبدالله بن عمر، ما منَّا أحد الا غير!!

تحذيرات النبي

رُوي عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «إنكم ستحرصون - أيها الصحابة - على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة».^٢

إن كانت هناك ندامة يوم القيامة، فلا شك في أنها تؤدي بصاحبها إلى النار، والملفت أن النبي يوجّه كلامه مباشرة لأصحابه وفيهم أبو هريرة كما يبدو.

رُوي في صحيح البخاري عن أسامة (رضي الله عنه) أنه قال: أشرف النبي (صلى الله عليه وسلم) على أطم من أطام المدينة فقال: «هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر»؛^٣

قال النووي في شرحه: والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم أي أنها كثيرة وتعم الناس لا تختص بها طائفة، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم كوقعة الجمل وصفين والحرّة ومقتل عثمان ومقتل الحسين (رضي الله عنهما) وغير ذلك.^٤

روى البخاري عن عقبة بن عامر أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج يوماً فصلّى على أهل أحد صلّاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر، فقال: «إني فرط لكم وأنا شهيد

١. المستدرک، ج ٣، ص ٥٦٠.

٢. صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٠٦.

٣. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٢٢٢؛ صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر.

٤. شرح صحيح مسلم، ج ١٨، ص ٧ و ٨.

عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض - وإني والله ما أخاف عليكم أن تشرکوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»^١.

وروى البخاري عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار أنه سمع أبا سعيد الخدري (رضي الله عنه) يحدث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال: «إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»^٢.

وروى في صحيح مسلم عن عروة بن الزبير أنه أخبره أن المسور بن مخرمة أخبره أن عمرو بن عوف - وهو حليف لبني عامر بن لؤي وكان شهد بدرًا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) - أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع النبي (صلى الله عليه وسلم) فلما انصرف تعرضوا له فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين رأهم ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء»، قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأملوا ما يسرّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»^٣.

وروى أحمد في مسنده عن أبي برزة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى»^٤.

قال ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالصَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا﴾: ثم قال النبي (صلى الله عليه وسلم)

١. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٩٤؛ كتاب العيدين، باب في الجنائز؛ صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب اثبات حوض نبينا.

٢. صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٢٧.

٣. صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق، ج ٨، ص ٢١٢.

٤. مسند أحمد، ج ٤، ص ٤٢٠، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١، ص ١٨٨؛ رجاله رجال الصحيح.

في آخر عمره وخشي عليهم الدنيا وعرف أنّهم سيأتون من قبلها أنّها تفتح عليهم خزائنها فتقدّم إليهم في ذلك أن تغرّمهم الحياة الدنيا وأخبرهم أنّ الفتنة واقعة وأنّها مصيبة الذين ظلموا منهم خاصة فإذا فعلوا ذلك كانوا في انتقاص وتغيير.^١

النبي يبين الحقيقة

روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: «إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أتم؟!»، قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «أو غير ذلك تنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون - أو نحو ذلك - ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض».^٢

في هذا الحديث أخبر النبي بوقوع التنافس فالتحاسد فالتدابر فالتباغض، وخبره حقّ لا شكّ فيه، وقول النبي لهم «أو غير ذلك» كان ردّاً على عبد الرحمن بن عوف الذي قال «نقول كما أمرنا الله» ومعنى «أو غير ذلك» أنكم لا تقولون كما أمركم الله، والغريب أنّ النووي قفز عن هذه الجملة وذهب يفسّر معنى التنافس والتحاسد والتباغض، ثم فسّر المقطع الأخير للحديث بشكل واضح التكلف.^٣

شهادة من عمر

لما جيء بخمس فارس جاء عمر في الناس بعد ما صلى الغداة وطلعت الشمس فأمر فكشف عنه جلابيبه، فلمّا نظر إلى ياقوته وزبرجده وذهبه الأصفر وفضته البيضاء، بكى عمر وقال له عبد الرحمن: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟! فوالله إنّ هذا لموطن شكر! فقال عمر: والله ما ذاك يبكيني، وتالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم!!^٤

١. تفسير ابن أبي حاتم، ج ٩، صص ٣٠٣٠ و ٣٠٣١.

٢. صحيح مسلم، ج ٨، صص ٢١٢ و ٢١٣.

٣. راجع: شرح النووي على مسلم، ج ١٨، ص ٩٦.

٤. البداية والنهاية، ج ٧، ص ٨١.

شهادة أخرى لعمر

حين سمع عمر من عبد الرحمن بن عوف حديث أم سلمة: «إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أموت أبداً»، ذهب ليستفسر من أم سلمة ان كان هو منهم، ومعنى صنيع عمر هذا أنه كان يرى امكانية انطباق الحديث على نفسه، ولو كان يرى أنّ حديث «إن من أصحابي من لا يراني»، وصيغ حديث الحوض الأخرى نصّاً في المرتدين أو المنافقين، لما ذهب إلى أم سلمة ولما قال لها «بالله منهم أنا؟!» وفهم عمر للحديث أوضح دليل في انطباقه على الصحابة المقربين، وفهم الصحابي مقدّم على غيره كما هو معلوم! وهذا الأمر لا جدال فيه عند السلفيين^١.

شهادة من النبي

روى البخاري عن جرير أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له في حجة الوداع: «استنصت الناس»، فقال لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض^٢.
 وروي في مسند أحمد عن إسماعيل أنه سمع قيساً يقول: سمعت الصنابحي الأحمسي يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «ألا إني فرطكم على الحوض وإني مكاتركم الأمم، فلا تقتلنّ بعدي»^٣.
 وكانّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يجعل قتلهم لبعض سبباً لذودهم عن حوضه، فهو يقول: «ألا إني فرطكم على الحوض ... فلا تقتلنّ بعدي».

شهادة أخرى

روى أحمد عن النبي قوله: «ألا وإني فرطكم على الحوض أنظركم وإني مكاتركم الأمم فلا تسودوا وجهي، ألا وقد رأيتموني وسمعت مني وستسألون عني فمن كذب عليّ فليتبوأ

١. راجع مثلاً اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ج ٢، ص ١٨٣.

٢. صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٨؛ صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب تسمية العبد الأبق كافراً.

٣. مسند أحمد، ج ٤، ص ٣٤٩؛ سنن الترمذي، ج ١، ص ٥.

مقعده من النار، ألا وإني مستنقذ رجالاً أو إنائاً ومستنقذ مني آخرون، فأقول: يا رب أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^١.

الناظر في الحديث يلاحظ أنّ النبي جعل الكذب عليه سبباً لاستحقاق النار وقد اتهم بعض الصحابة بالكذب ومنهم أبو هريرة الذي شهد هو نفسه بتكذيب الصحابة له، روى مسلم عن أبي رزين قال: خرج إلينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته، فقال: ألا إنكم تحدثون أنني أكذب على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لتهتدوا وأضلّ، ألا وإني أشهد لسمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إذا انقطع شمع أحدكم فلا يمش في الأخرى حتى يصلحها»^٢.

النبي يشهد لأهل أحد فقط

روى مالك في الموطأ عن مولى عمر بن عبيدالله: أنه بلغه أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لشهداء أحد: «هؤلاء أشهد عليهم». فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يارسول الله إخوانهم أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي»، فبكى أبو بكر، ثم بكى، ثم قال: «أنا لكائنون بعدك؟»

إنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هنا لا يدري ما سيحدث أبو بكر والصحابة من بعده، لهذا لم يشهد عليهم، ولو كان واثقاً من عدم احداثهم لطمأنه وشهد له، وقد ندم أبو بكر قبل وفاته على أشياء فعلها، فقد روي أنه قال عند وفاته: «والله ما أصبحت آسي من الدنيا على شيء إلا على ثلاث فعلتهنّ وثلاث ألا أكون سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنهنّ، فأما الثلاث التي فعلتهنّ فوددت أنني تركتهنّ، أنني يوم سقيفة بني ساعدة ألقيت هذا الأمر في عنق هذين الرجلين - يعني عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً وكنيت وزيراً، ووددت أنني لم أكن كشفت بيت فاطمة عن شيء مع أنّهم أغلقوه على الحرب، ووددت أنني لم أكن

١. مسند أحمد، ج ٥، ص ٤١٢.

٢. صحيح مسلم، ج ٦، ص ١٥٣؛ وللمزيد حول تكذيب الصحابة له، راجع كتابنا: وركبت السفينة، فصل اشكالات على مرجعية الصحابة.

حرق الفجاءة السلمي وأني كنت قتلته سريعاً أو خليته نجيحاً»^١.

شهادة من عائشة

روى الحاكم عن قيس بن أبي حازم قال: قالت عائشة (رضي الله عنها) وكانت تحدّث نفسها أن تدفن في بيتها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر، فقالت: إنني أحدثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حدثاً أدفنوني مع أزواجه فدفنت بالبقيع^٢.
قال الذهبي: تعني بالحدث مسيرها يوم الجمل، فإنّها ندمت ندامة كلية ...^٣.

شهادة أنس

رُوي عن أنس بن مالك أنّه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة أضاء منها كلّ شيء، فلمّا كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلّ شيء، ولمّا نفضنا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الأيدي وإنّا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا^٤.
هذه شهادة من أنس بأنّ التغيير قد بدأ فيهم أثناء دفن النبي!
وقال بعد ذلك مؤكداً ما ابتدأه: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)! قيل: الصلاة، قال: أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها؟^٥

وأخرج البخاري عن الزهري أنّه قال: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت^٦.
وفي مسند أحمد عن أنس قال: ما أعرف فيكم اليوم شيئاً كنت أعهده على عهد

١. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج ٣٠، ص ٤١٨؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦١٩؛ مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٠١؛ العقد

الفرید، ص ٢٢.

٢. المستدرک، ج ٤، ص ٦، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، واحتج بهذا الحديث

الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ج ١، ص ٨٥٥.

٣. سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ١٩٣.

٤. صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، ج ٨، ص ١١٨.

٥. صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب تضييع الصلاة، ج ١، ص ١٣٤.

٦. المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٤.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليس قولكم لا إله إلا الله، قال: قلت يا أبا حمزة، الصلاة! قال قد صليت حين تغرب الشمس، أفكانت تلك صلاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).^١ وقال أنس: ما شيء شهدته على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا وقد أنكرته اليوم، إلا شهادتكم هذه. فقيل: ولا الصلاة؟ فقال: إنكم تصلون الظهر مع المغرب، أهكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلي؟!^٢

وهذا دليل على الإحداث في الإسلام الذي كان سبباً لذود البعض عن الحوض؟

شهادة أبي الدرداء

أخرج البخاري قال: سمعت سالمًا قال: سمعت أم الدرداء تقول: دخل علي أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً.^٣

شهادة حذيفة

رُوي عن حذيفة أنه قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: «احصوا لي كم يلفظ الاسلام»، قال: فقلنا يا رسول الله أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟! قال: «إنكم لا تدرون لعلكم إن تبتلوا»، قال فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سراً.^٤

قال النووي في شرحه: وأما قوله: «ابتلينا فجعل الرجل لا يصلي إلا سراً» فلعله كان في بعض الفتن التي جرت بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) فكان بعضهم يخفي نفسه ويصلي سراً مخافة من الظهور والمشاركة في الدخول في الفتنة والحروب.^٥

١. مسند أحمد، ج ٣، ص ٢٧٠.

٢. فتح الباري، ج ٤، ص ٢٢٩.

٣. صحيح البخاري: كتاب الأذان، رقم الحديث ٦١٣، ج ١، ص ١٥٩.

٤. صحيح مسلم، ج ١، ص ٩١.

٥. شرح صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٧٩ و ١٨٠.

لا يعقل أن يبقى حذيفة حبيس بيته خوفاً من الدخول في الفتنة والحروب، ويبدو أنّ حذيفة كان يصلي سرّاً، محافظةً على صلاته وحتى لا يصلي بصلاتهم التي تغيرت وتبدلت! ومن المعلوم أنّ حذيفة كان يخالط الناس ولا يصلي على من كان منافقاً، فظهر أنّ صلاته سرّاً كانت لسبب آخر.

شهادة أبي هريرة

قال مالك: وبلغني أنّ أبا هريرة تلى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ × وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ فقال: والذي نفسي بيده إنّ الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً^١.

إنّ كلام أبي هريرة هذا قدر صدر في عصر الصحابة وفي خير القرون! وهو يقسم أنّ الناس يخرجون من دين الله أفواجاً، والخروج من الدين مدعاة للطرد عن الحوض يوم القيامة، فمن هؤلاء الأفواج؟ وما أسماؤهم؟ ويبدو أنّهم نفس الجماعات التي دخلت في دين الله أفواجاً فصارت تخرج منه أفواجاً، وهذا معنى كلامه «إنّ الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً»

قرينة همل النعم

رُوي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال: «بيننا أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم».

قال ابن حجر في تفسير همل النعم: قوله: «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه، والهمل

١. مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، ص ٣٢٢؛ محمد بن عبد الوهاب، الدرر السننية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، ج ٩، ص ٤٣٩.

بفتحتين، الإبل بلا راعٍ؛ وقال الخطابي: الهمل ما لا يرعى ولا يستعمل ويطلق على الضوال، والمعنى أنه لا يرده منهم الا القليل لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره.^١ وقال وحيد عبد السلام بالي: «الإبل المهملة بلا راعي، يعني الضالة، والمقصود القلة».^٢

في هذا النص دليل على كثرة من يذهب إلى النار ولا يبقى منهم إلا مثل ضوال الأبل كما عبر عن ذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فالمرتدون عادوا للإسلام والمنافقون قلة حسب ما يرى أتباع السلف، والاصرار على تفسير الحديث بالمنافقين والمرتدين، يستلزم أن كثيراً من الصحابة منافقون ومرتدون لذهاب أكثرهم إلى النار! إن هذا النص هو في شأن الصحابة، ودليلنا قوله: «إنهم ارتدوا بعدك على أديبارهم القهقري»، وقد يستشكل البعض ويقول إن قوله: «لا يخلص منهم إلا مثل همل النعم» موجه إلى الزمرة التي ذهبت للنار، وهذا منقوض بأن الزمرة التي ذهبت للنار لا يرجع منها أحد لقول الرجل أو الملاك في شأن الزمرة الأولى، «إلى النار والله» وكذا كرر القسم في الزمرة الثانية، ففي النص ورد «فإذا زمرة...» وورد في النص نفسه «ثم إذا زمرة...»، ولو جعلنا هذا الحديث بجانب حديث آخر ورد فيه: «جيء بكم زمراً...» سيتبين لنا أن قوله: «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» ناظر إلى بقية الصحابة الذين جيء بهم زمراً!«

شهادة أم سلمة

رُوي عن أم سلمة أن عبد الرحمن بن عوف دخل عليها فقال لها: يا أمه قد خفت أن يهلكني كثرة مالي! أنا أكثر قريشاً مالاً. قالت: يا بني فأنفق فإنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه»، فخرج فلقي عمر

١. فتح الباري، ج ١١، ص ٤١٤.

٢. تيسير الكريم العلي في وصف حوض النبي، ص ٤١.

فأخبره، فجاء عمر فدخل عليّ فقال لي: بالله منهم أنا؟! فقلت: لا ولن أبلى أحداً بعدك.^١ كأنّ أمّ سلمة (رضوان الله عليها) قد جعلت عدم انفاق عبد الرحمن بن عوف سبباً لدخوله النار (فانفق فإنّي سمعت رسول الله ...) وقد فهمت أنّ هذا الحديث قد ينطبق على ابن عوف الصحابي البدرى الذي بايع بيعة الرضوان، وهي (رضوان الله عليها) من السلف وفهم السلف إذا كانوا من الصحابة أو من زوجات النبي مقدّم على فهم غيرهم. لقد ترك ابن عوف ثروة كبيرة جداً حين وفاته، ذكر ابن سعد أنّه ترك - حين توفّي - ألف بغير وثلاثة آلاف شاة بالبقيع ومائة فرس ترعى بالبقيع وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً وكان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه وترك أربع نسوة فأخرجت امرأة من ثمنها بثمانين ألفاً، أصاب ماضر بنت الأصبغ ربع الثمن فأخرجت بمائة ألف.^٢ وفي مستدرک الحاكم عن عثمان بن الشريد قال: ترك عبد الرحمن بن عوف الف بغير وثلاثة آلاف شاة بالنقيع ومائة فرس ترعى بالنقيع وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً.^٣ وقال المسعودي: عبد الرحمن بن عوف الزهري ابنتى داره ووسّعها، وكان على مربطه مائة فرس وله الف بغير وعشرة آلاف شاة من الغنم، وبلغ بعد وفاته ربعُ ثمنِ ماله اربعةً وثمانين ألفاً.^٤

كان عبد الرحمن بن عوف يرى أنّ كثرة ماله قد تهلّكه، وقد وجدنا أكثر من صحابي عنده من المال ما يثير الدهشة والسؤال، قال المسعودي: ذكر عبدالله بن عتبة أنّ عثمان يوم قتل كان له عند خازنه من المال خمسون ومئة ألف دينار، وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحينين، وغيرهما مئة ألف دينار، وخلف خيلاً وإبلاً كثيرةً.^٥

١. راجع: مسند أحمد، ج ٦، ص ٢٩٠؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٦، ص ١٢٠٢، حديث رقم: ٢٩٨٢.

٢. الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٣٦ و ١٣٧.

٣. المستدرک، ج ٣، ص ٣٠٩.

٤. مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٣٣.

٥. مروج الذهب، ج ١، ص ٣٠٥، وقد أعطى عثمان أقاربه من بيت مال المسلمين الكثير، فقد أعطى سعيد بن العاص

شهادة البراء بن عازب

روى البخاري بسنده عن العلاء بن المسيب عن أبيه، قال: لقيت البراء بن عازب (رضي الله عنهما)، فقلت: طوبى لك صحبت النبي (صلى الله عليه وسلم) وبايعته تحت الشجرة. فقال: يا بن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده!!^١

فالبراء هنا يشهد أنهم أحدثوا بعد النبي، وقد نسب الإحداث بعد النبي لنفسه ولغيره، ولا شك أن في هذا النص يفسر لنا حديث الحوض!

شهادة أعين

بينما كان عثمان يخطب قال له أعين ابن امرأة الفرزدق: يا نعل إنك قد بدلت ...^٢

شهادة الغماريين

ذكر الإمام أحمد بن محمد الحسن بن الغماري عن مالك أنه قال: ما ندمت على حديث أدخلته في الموطأ إلا هذا الحديث، وعن الشافعي أنه قال: ما علمنا في كتاب مالك حديثاً فيه إزرء على الصحابة إلا حديث الحوض.^٣

لا شك في أن ندم مالك على ادخال الحديث في موطئه وقول الشافعي: ووددنا أنه لم يذكره، دليل واضح على أن هذا الحديث لا يمكن تأويله أو حمله على المنافقين أو المرتدين، وإنما يتكلم عن صحابة معروفين، وبهذا يصح تبرير ندم مالك وكلام الشافعي حوله!

قال الإمام عبدالله الغماري تعليقاً على حديث «ليذاذن عن الحوض أقوام من

١. مائة ألف درهم من بيت مال المسلمين، أنساب الأشراف، البلاذري، ج ٢، ص ٢٦٥؛ وأعطى مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن عمه وصهره خمس غنائم أفريقية وهو خمسمائة ألف دينار؛ روى ذلك ابن قتيبة في المعارف، ص ٨٤، وأبو الفدا في تاريخه، ج ١، ص ١٦٨؛ أنساب الأشراف للبلاذري، ج ٥، ص ٣٨؛ ابن عبد ربه في العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٦١.

٢. كتاب المغازي: رقم الحديث ٣٨٥٢.

٣. قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٢٨ ورجالهما رجال الصحيح غير عباد بن زاهر وهو ثقة.

٤. فتح الملك العلي، صص ١٥١ و ١٥٢، وقريب من هذا الكلام مذكور في كتاب تنوير الحوالك للسيوطي، ص ٥١ نقلاً عن

مناقب الشافعي، لابن شاکر مع تغيير بسيط وتحريف للفظه!

أمّتي»: وأنا أجزم بأنّ حديث الحوض في معاوية وأصحابه!^١

وقال المحقق القدير حسن السقاف في تفسيره لحديث الحوض: وهذا محمول عند جماعة من الأئمة وأكابر من محققي العلماء على أنّ هؤلاء هم رؤوس القوم الذين قاتلوا سيدنا علياً ونازعه الخلافة والأمر.^٢

تصديق الأمراء

رُوي عن ابن عمر أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «سيكون عليكم أمراء يأمرونكم بما لا يفعلون، فمن صدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منّي ولست منه ولن يرد علي الحوض».^٣

لقد جعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تصديق الأمراء الذين يأمرون بما لا يفعلون وإعانتهم على ظلمهم سبباً لعدم الوجود على حوضه ليكون مصيرهم جهنم. ولقد حفل التاريخ الإسلامي بهذا النوع من الأمراء والحكام، والنبي لم يقل سيكون في زمن ما أو في آخر الزمان، وإتّما عبر بأنّه «سيكون عليكم» وما أكثر الناس في عصر الصحابة والتابعين الذين التحقوا بركب السلاطين والحكام وخدموهم!

إنّ تعبير النبي بقوله «سيكون عليكم» دليل على أنّ المذكورين سيكونون أمراء وحكام في زمن الصحابة، ولا شك في أنّ معيّنهم ومصدقهم من أهل النار، فمصير هؤلاء الحكام لا يختلف عن متبعيهم، فمن هؤلاء الأمراء والحكام الذين عناهم النبي؟! وهل التزم ابن عمر راوي الحديث بما قاله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!!

روى مسلم عن نافع أنّه قال: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان من امر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إنّني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقوله.

١. نهاية الآمال، صص ٧ و ٨.

٢. صحيح شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥٦٧.

٣. مسند أحمد، ج ٢، ص ٩٥.

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^١.

قال ابن الجوزي: كان أهل المدينة قد خلعوا يزيد وجعلوا عبد الله بن حنظلة أميراً على الأنصار، وعبد الله بن مطيع أميراً على قريش، ومعقل بن سنان أميراً على المهاجرين، فلم ير ابن عمر خلع يزيد بعد أن بويع له.^٢

لقد بايع ابن عمر يزيداً أثناء اجتياح الجيش اليزيدي للمدينة المنورة وفعله الموبات العظام، وبايع حكام بني أمية كعبد الملك بن مروان وكان يصلي مع الحجاج، ويؤدي إليه زكاة ماله.^٣ وفي فعله هذا تغرير بالناس ودعم لحكومة هؤلاء الظالمين.

وروي عن جابر بن عبد الله أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله يا كعب بن عجرة من إمارة السفهاء؟! قال: «أمرأء يكونون من بعدي لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولم يردون على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي»^٤.

لقد كرّر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مضمون كلامه السابق: «أمرأء يكونون من بعدي لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي»^٥.

والنبي يعيد كعب بن عجرة من إمارتهم وكأنه تحذير له منهم، فلا بد أن يكون كعب قد شهد إمارة هؤلاء، حيث توفي سنة ثلاثاً وخمسين للهجرة، فمن هم هؤلاء الأمراء؟!^٦

١. كتاب الامارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين، ج ٦، ص ٢٢.

٢. كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج ٢، ص ٥٩٦.

٣. إرواء الغليل، الألباني، ج ٢، ص ٣٠٣ و ٣٠٤.

٤. المستدرک، الحاكم النيسابوري و صححه، ج ١، ص ٧٩.

٥. سنن الترمذي، ج ٣، ص ٣٥٨؛ سنن النسائي، ج ٧، ص ١٦٠.

٦. الإصابة، ج ٥، ص ٤٤٨؛ روى أبو حيان في البصائر والذخائر، ج ٧، ص ١٥١؛ استأذن عبد الله بن عمر على الحجاج ليلاً، ⇨

نماذج مما أحدثوا بعده

إنّك لا تدري - يا رسول الله - ما أحدثوا بعدك! كلّ ما نجده حول تفسير هذا المقطع عند الأقدمين والمعاصرين هو أنّه بخصوص المنافقين والمرتدّين وأصحاب البدع من الفرق الضالة. أمّا المرتدّون فقد أجبنا أنّهم ارتدّوا في حياته ومن ارتدّ بعد مماته عاد للإسلام وتاب، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أحدثوا أو بدّلوا» دليل على أنّ الذين غيّرُوا وبدّلوا هم من المسلمين، لأنّ المرتدّ يترك الدين ويذهب في سبيله، ولم يذكر لنا التاريخ ما أحدث المرتدّون وغيّروا في الدين!

وما ينبغي قوله إنّ حديث الحوض هذا غير ناظر لأصحاب البدع، إذ إنّهُ ورد في خصوص ذود الصحابة عن الحوض وذهابهم إلى النار، فلا علاقة له بالفرق الضالة على حدّ تعبيرهم! إلا إذا أخذنا برواية «أمتي أمتي» وهي ليست محل البحث.

فيبقى انطباق هذا النصّ على المنافقين لكن يتبادر سؤال للذهن، من هم هؤلاء المنافقون وما أسماؤهم وما الذي أحدثوه في الدين من بعد النبي؟ ومن الطبيعي أن يبقى الجواب مبهماً مخفياً عند البعض، وأي خطوة تسير في اتجاه الجواب عن هذا السؤال، يكون مصيرها الاستهداف بنبال الاتهامات وطعنها برمّاح المروق من الدين.

إنه سؤال يستحق الوقوف إذ إنّهُ كان سبباً لدخول البعض إلى النار! وما دمنا لم نر جواباً واضحاً حول هذا الأمر، فمن حقنا أن نحاول الإجابة بعرض بعض النماذج مما أحدثوه في الدين، فإن أصبت فلي أجزان وإن أخطأت فلي أجر واحد!

الإحداث بالصلاة

روى أحمد في مسنده عن سعيد بن الحرث أنّه قال: اشتكى أبو هريرة أو غاب، فصلى بنا أبو سعيد الخدري فجهر بالتكبير حين افتتح الصلاة وحين ركع وحين قال «سمع الله

﴿ فقال الحجاج: إحدى حمقات أبي عبد الرحمن! فدخل، فلما وصل إليه قال له الحجاج: ما جاء بك؟ قال: ذكرت قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من مات ولم يبايع إمام عصره وزمانه مات ميتة جاهلية»، فقال له: أتخلّف عن بيعة علي ابن أبي طالب وتبايع عبد الملك؟! بايع رجلي فإنّ يدي عنك مشغولة، ومدّ إليه رجله!

لمن حمده» وحين رفع رأسه من السجود وحين سجد وحين قام بين الركعتين، حتى قضى صلاته على ذلك، فلمَّا صلَّى قيل له: قد اختلف الناس على صلاتك! فخرج فقام عند المنبر فقال: أيها الناس، والله ما أبالي اختلفت صلاتكم أو لم تختلف هكذا رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) يصلي.^١

نلاحظ هنا أنّ أبا سعيد الخدري قد صلَّى بالناس صلاةً غير التي كانوا عليها، وهي صلاة رسول الله، وهذا دليل على أنّ الناس قد أحدثوا وغيّروا بالصلاة، ويؤيّد ما مرّ علينا من شهادة أنس أنّ هذه الصلاة قد صنعوا ما صنعوا فيها أو ضيعوا ما ضيعوا فيها.

وهذا النصّ يعني أنّ أبا هريرة كان يصلي الصلاة الأموية المبدّلة، ومجيء أبي سعيد الخدري أثبت هذا الأمر، وكشف أنّ هذا الاحداث في الصلاة كان من بعض الأمراء. قال ابن حجر: والذي يظهر أنّ الاختلاف بينهم كان في الجهر بالتكبير والاسرار به، وكان مروان وغيره من بني أمية يسرّونه كما تقدّم في باب إتمام التكبير في الركوع وكان أبو هريرة يصلي بالناس في إمارة مروان على المدينة.^٢

يريد ابن حجر القول إنّ أبا هريرة كان لا يجهر بالتكبير، اقتداءً ببني أمية، لكنه لم يلفظها! ابن الحكم هو أحد أولئك الأمراء الذين ذكرهم النبي، أي الذين لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وقد كان أبو هريرة عوناً لهؤلاء الأمراء ولبني أمية، وأخذ منهم طريقتهم بالصلاة كما هو مفهوم النصّ، أليس تصديق هؤلاء الأمراء مدعاة لئذاد الانسان عن الحوض؟! أليس ما فعلوه بالصلاة هو إحداث بالدين؟ وكم من الصحابة كانوا يصلّون بصلاة أبي هريرة في المدينة؟!

يبدو من خلال بعض النصوص أنّ التغيير في الصلاة قديم العهد، فقد روى البخاري عن مطرف بن عبد الله أنّه قال: صلّيت خلف علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) وأنا وعمران بن

١. مسند أحمد، ج ٣، ص ١٨؛ مستدرک الحاكم وصححه، ج ١، ص ٢٢٤؛ قال الهيثمي فى مجمع الزوائد، ص ١٠٣، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

٢. فتح الباري، ج ٢، ص ٢٥١.

حصين، فكان إذا سجد، كَبُرَ وإذا رفع رأسه، كَبُرَ وإذا نهض من الركعتين، كَبُرَ فلمَّا قضى الصلاة أخذ بيدي عمران بن حصين، فقال: قد ذكّرني هذا صلاة محمد (صلى الله عليه وسلم) أو قال: لقد صلى بنا صلاة محمد (عليه الصلاة والسلام).

وروى الطحاوي عن الأسود بن يزيد أنّه قال: قال أبو موسى الأشعري يذكرنا عليّ (رضى الله عنه) صلاة كُنّا نصليها مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إمّا نسيناها وإمّا تركناها عمدًا يكبّر كلّما خفض وكلّما رفع وكلّما سجد.^١

إذن، التلاعب بالتكبيرات في الصلاة كان في حياة الإمام علي (عليه السلام)، ولا شكّ في أنّ أئمة الصلاة في ذلك الوقت ما كانوا يستطيعون إيجاد هذا التغيير فيها، لولا أنّ هناك رخصة سياسية في هذا الأمر، وربما يكون أمرًا قد جاءهم للقيام بهذا الفعل! إنّ تعبير عمران بن حصين يُظهر أنّ صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نُسيّت، حتى جاء الإمام علي (عليه السلام) وصلّاها كما هي!

ولم يقتصر الأمر على التلاعب بتكبيرات الصلاة، بل شمل أموراً أخرى، فقد روى مالك في موطئه: وحدثني يحيى عن مالك عن عمّه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنّه قال: ما أعرف شيئاً ممّا أدركت عليه الناس، إلا النداء بالصلاة!!^٢

قال الزرقاني: «ما أعرف شيئاً ممّا أدركت عليه الناس» يعني الصحابة «إلا النداء بالصلاة» فإنّه باقٍ على ما كان عليه لم يدخله تغيير ولا تبديل، بخلاف الصلاة فقد أُخّرت عن أوقاتها، وسائر الأفعال قد دخلها التغيير!! فأنكر أكثر أفعال أهل عصره، والتغيير يمكن أن يلحق صفة الفعل كتأخير الصلاة، وأن يلحق الفعل نفسه كترك الأمر بكثير من المعروف والنهي عن كثير من المنكر مع علم الناس بذلك كلّه.^٣

١. شرح معاني الآثار، ج ١، ص ٢٢١.

٢. الموطأ، ج ١، ص ٧٢.

٣. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ج ١، ص ٢٨٣.

قال السيوطي: «قال الباجي يريد الصحابة إلا النداء بالصلاة، قال الباجي يريد أنه باقٍ على ما كان عليه لم يدخله تغيير ولا تبديل، بخلاف الصلاة فقد أُخِّرت عن أوقاتها وسائر الأعمال دخلها التغيير»^١.

لقد وصل الحال ببعضهم أنه أصبح يستنكر صلاة رسول الله لأنه اعتاد على الصلاة المبدلة، فقد روى البخاري عن عكرمة أنه قال: رأيت رجلاً عند المقام يكبر في كل خفض ورفع وإذا قام وإذا وضع، فأخبرت ابن عباس (رضي الله عنهما) - وكانه مستنكر هذا الفعل - فقال: أوليس تلك صلاة النبي (صلى الله عليه وسلم) لا أم لك!^٢

ثم وجدت أثناء بحثي نصاً يبين أن التغيير في الصلاة تم في زمن الخليفة عثمان بن عفان، حيث روى أحمد عن عمران بن حصين أنه قال: صلّيت خلف علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) صلاة ذكرني صلاة صلّيتها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والخليفتين، فانطلقت فصلّيت معه فإذا هو يكبر كلما سجد وكلما رفع رأسه من الركوع؛ فقلت: يا أبا نجيد، من أول من تركه؟ قال: عثمان بن عفان (رضي الله عنه) حين كبر وضعف صوته تركه.^٣

قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض.^٤
وقد جعل ابن حجر المسألة أكثر وضوحاً حين قال: وقد روى أحمد والطحاوي (شرح معاني الآثار، ج ١، ص ٢٢١) بإسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري، قال: ذكرنا علي صلاة كنا نصلّيها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إمّا نسيناها وإمّا تركناها عمداً؛ ولأحمد من

١. تنوير الحوالك، جلال الدين السيوطي، ص ٩٣، وراجع الاستذكار، ابن عبد البر، ج ١، ص ٣٩٩.

٢. راجع: صحيح البخاري، ج ١، ص ١٩١.

٣. مسند أحمد، ج ٤، ص ٤٣٢.

٤. تنوير الحوالك، جلال الدين السيوطي، ص ٥١، وقد ترك بعض الصحابة الجهر بالبسملة خلافاً لسنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والغريب أن الصلاة كان يمارسها النبي كل يوم خمس مرات، ومع ذلك لم يستطع الصحابة نقل كيفية قراءة البسملة عن النبي، أكان يجهر بها أم لا؟ وقد نقل الكتاني في كتابه نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص ٨٨ عن الطحاوي، تواتر الآثار في ترك الجهر بها، في حين نقل عن واحد وعشرين صحابياً الجهر بها! لا شك في أن هذا التقصير في عدم نقل البسملة عن النبي بشكل دقيق لا يؤهلهم ليكونوا مرجعية للناس بعد النبي في نقل الدين وتبليغه!

وجه آخر عن مطرف، قال: قلنا يعني لعمران بن حصين يا أبا نجيد - هو بالنون والجيم مصغر - من أول من ترك التكبير، قال: عثمان بن عفان حين كبر وضعف صوته، وهذا يحتمل إرادة ترك الجهر؛ وروى الطبراني عن أبي هريرة أنّ أول من ترك التكبير معاوية، وروى أبو عبيد أنّ أول من تركه زياد، وهذا لا ينافي الذي قبله لأنّ زياداً تركه بترك معاوية وكان معاوية تركه بترك عثمان!!^١

صلاة التراويح

أخرج البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنّه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون... فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلّون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه.^٢

قال القسطلاني في شرح كلمة عمر الأخيرة: سمّاها بدعة لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يسنّ لهم ولا كانت في زمن الصديق (رضي الله عنه)، ولا أول الليل، ولا هذا العدد.^٣

قال الصنعاني: «واعلم أنّه يتعين حمل قوله «بدعة» على جمعه لهم على معين وإلزامهم بذلك... أنّ عمر هو الذي جعلها جماعة على معين وسمّاها بدعة، وأمّا قوله «نعم البدعة» فليس في البدعة ما يمدح، بل كلّ بدعة ضلالة... فعرفت من هذا كلّه أنّ صلاة التراويح على هذا الأسلوب الذي اتفق عليه الأكثر بدعة. نعم قيام رمضان سنة بلا خلاف... لكن جعل هذه الكيفية والكمية سنة والمحافظة عليها هو الذي نقول إنه بدعة».^٤

لقد غير عمر صلاة النافلة في شهر رمضان وجعلها جماعة وسمّاها بدعة، وما زال هذا الأمر مستمراً إلى عصرنا الحاضر خلافاً لسنة الرسول!

١. فتح الباري، ج ٢، ص ٢٢٤.

٢. كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان.

٣. إرشاد الساري، ج ٥، ص ٤.

٤. سبل السلام، ج ٢، صص ١٠ و ١١.

روى الترمذي وحسنه أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لبلال بن الحرث: «اعلم» قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: «اعلم يا بلال»، قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال: «إنه من أحياء سنة من سنتي قد أميتت بعدي، فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً. ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله، كان عليه مثل آثام من عمل بها، لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً»^١.

طلاق الثلاث

روى أحمد في مسنده عن ابن عباس أنّه قال: طلق ركانة بن عبد يزيد أخو بني مطلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً، فسأله رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «كيف طلقتها؟» قال: طلقتها ثلاثاً فقال: «(في مجلس واحد)؟ قال: نعم، قال: «فإنما تلك واحدة، فأرجعها إن شئت»، قال: فرجعها.^٢

قال الألباني: هذا الإسناد صححه الأمام أحمد والحاكم والذهبي، وحسنه.^٣

هذا هو حال الطلاق الثلاث زمن النبي، وعليه استقرّ أمر التشريع الإسلامي، ولكن عمر جعل طلاق الثلاث بلفظ واحد يقع بانثاً!

روى مسلم عن ابن عباس أنّه قال: «كان الطلاق على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كان لهم فيه أناة، فلو أمضيته عليهم، فأمضاه عليهم»^٤. ولا شكّ في أنّ هذا من الإحداث في الدين، وقد روي في سنن النسائي بالإسناد إلى محمود بن لبيد قال: أخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن رجل طلق امرأته ثلاث

١. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٤٤.

٢. مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٢٦٥.

٣. إرواء الغليل ج ٧، ص ١٤٤ و ١٤٥.

٤. صحيح مسلم (كتاب الطلاق) باب طلاق الثلاث، ج ٤، ص ١٨٤.

تطليقات جميعاً. فقام (صلى الله عليه وسلم) غضباناً، ثم قال: «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟» حتى قام رجل وقال: يا رسول الله ألا أقتله.^١

قال الشوكاني: قال ابن كثير: إسناده جيد. وقال الحافظ في بلوغ المرام: رواه موثقون.^٢

تقديم الخطبة على الصلاة في العيدين

كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي في العيدين ثم يخطب، قال الشوكاني: وأحاديث الباب تدلّ على أنّ المشروع في صلاة العيد تقديم الصلاة على الخطبة، قال القاضي عياض: هذا هو المتفق عليه بين علماء الأمصار وأئمة الفتوى.^٣

وبقي الأمر على هذا الحال إلى آخر خلافة عثمان بن عفان، إذ قام بتقديم الخطبة على الصلاة. قال الزرقاني في بيان كون الصلاة قبل الخطبة في العيدين: ففي الصحيحين عن ابن عباس شهدت العيد مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر، وعمر فكلّهم كانوا يصلّون قبل الخطبة... وفي رواية ابن المنذر بسند صحيح عن الحسن البصري^٤: «أول من خطب قبل الصلاة عثمان، صلّى بالناس ثم خطبهم».

قال الحافظ ابن حجر: وروى ابن المنذر بإسناد صحيح إلى الحسن البصري قال: أول من خطب قبل الصلاة عثمان، صلّى بالناس ثم خطبهم أي: على العادة فرأى ناساً لم يدركوا الصلاة ففعل ذلك أي صار يخطب قبل الصلاة وهذه العلة غير التي اعتلّ بها مروان لأنّ عثمان رأى مصلحة الجماعة في إدراكهم الصلاة.^٥

وقد أثبت علي بن المديني سماع الحسن البصري من عثمان، ففي كتاب العلل: سمع الحسن من عثمان بن عفان وهو غلام يخطب.^٦

١. سنن النسائي، ج ٦، ص ١٤٢.

٢. نيل الأوطار، ج ٦، ص ٢٦٩.

٣. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٦١ - ٣٦٣.

٤. شرح الموطأ، ج ١، ص ٣٢٤.

٥. فتح الباري، ج ٢، ص ٣٧٦؛ صححه أيضاً: الزرقاني في شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ج ١، ص ٦١٤.

٦. العلل، للمديني، ج ١، ص ٥١.

قال ابن عبد البر: قد اختلف في أول من خطب قبل الصلاة، ف قيل عثمان بن عفان وهو الصحيح إن شاء الله عن عثمان لما حدثنا عبد الوارث قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا الخشني قال: حدثنا ابن أبي عمر قال: حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: كانت الصلاة يوم العيد قبل الخطبة، فلمّا كان عثمان بن عفان كثر الناس فقدّم الخطبة قبل الصلاة، وأراد ألا يفترق الناس وأن يجتمعوا فإن قيل قد روى مالك وغيره عن ابن شهاب عن أبي عبيد مولى ابن أزره أنّه قال: شهدت العيد مع عثمان بن عفان فجاء فصلّى ثم انصرف فخطب... قيل له الحديثان صحيحان ويصحّ معناه ما أنّ عثمان صلّى ستّ سنين أو سبعاً كما في رواية مالك ثم قدّم الخطبة على ما في حديث يحيى بن سعيد، وكذلك فعل في إتمام الصلاة في السفر بعد قصرها، ومن الرواية عن عثمان أنّه أول من قدّم الخطبة قبل الصلاة ما رواه حماد بن سلمة عن حميد عن أنس قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر وعمر يصلّون يوم العيد ثم يخطبون، فلمّا كان عثمان رأى الناس يجيؤون بعد الصلاة قال: لو حبسناهم بالخطبة فخطب ثم صلّى وذكر عبد الرزاق عن ابن عيينة عن يحيى بن سعيد عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة عثمان بن عفان... روى ابن نافع عن مالك أنّه قال: أول من قدم الخطبة في العيدين قبل الصلاة عثمان بن عفان، قال مالك: والسنة أن تقدّم الصلاة قبل الخطبة وبذلك عمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر وعمر وعثمان صدراً من خلافته.^١

وقد أثبت مالك بن أنس تقديم عثمان الخطبة على الصلاة، فقد جاء في «البيان والتحصيل» لابن رشد الجدي: «وروى ابن نافع عن مالك ما يدل على ذلك، قال: السنة أن تقدّم الصلاة قبل الخطبة، وبذلك عمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر وعمر وعثمان صدراً من ولايته».

وقد ذهب الكشميري في «العرف الشذي» إلى اثباته عن عثمان، حيث قال: «ثبت عن عثمان أيضاً تقديم الخطبة على صلاة العيد ليدرك الناس صلاة العيد». لا شك في أنّ ما فعله عثمان هو من البدع المحدثه في صلاة العيدين، وهذا الإحداث في الصلاة يُنسب لعثمان ومعاوية ومروان بن الحكم، ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بأنّ أول من بدأ هذا العمل هو عثمان ثم تبعه معاوية وابن الحكم، وذهب لهذا بعضهم، فقد كان ابن الحكم عاملاً لمعاوية على المدينة وكان معاوية تابعاً لعثمان في حياته. ومن الغريب ما جاء في شرح «بلوغ المرام» لعبد الكريم الخضير، حيث قال: على كلّ حال إن ثبت عن عثمان (رضى الله عنه) فهو خليفة راشد، أمرنا بالاعتداء به: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»، فلا يدخل مثل هذا في حيز البدعة لأنّ النبي (عليه الصلاة والسلام) سمّاه سنّة، ويبقى أنّه إذا تعارضت سنّة الخلفاء الراشدين مع السنّة الثابتة عن النبي (عليه الصلاة والسلام) يقدّم المرفوع، وعثمان (رضى الله عنه) له اجتهادات^١. وقد اعترف ابن تيمية بأنّ تقديم الخطبة على الصلاة بدعة، فقال: «ومثال ما حدثت الحاجة إليه من البدع بتفريط من الناس تقديم الخطبة على الصلاة في العيدين فإنّه لما فعله بعض الأمراء، أنكره المسلمون لأنّه بدعة واعتذار من أحدثه بأنّ الناس قد صاروا ينفصّون قبل سماع الخطبة وكانوا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا ينفصّون حتى يسمعوا أو أكثرهم، فيقال له سبب هذا تفريطك فإنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يخطبهم خطبة يقصد بها نفعهم وتبليغهم وهدايتهم وأنت تقصد إقامة رياستك وإن قصدت صلاح دينهم، فلست تعلمهم ما ينفعهم، فهذه المعصية منك لا تبيح لك إحداث معصية أخرى»^٢.

١. شرح بلوغ المرام، ج ٤٨، ص ٢٤.

٢. اقتضاء الصراط، ابن تيمية، ج ١، ص ٢٨٠؛ يلاحظ المتتبع أنّ اتباع السلف قد حصنوا أنفسهم قديماً بجدار من التأويل والتبرير، ووضعت الروايات في هذا المجال لتضفي الشرعية على كلّ ما صدر من السلف، ولو كان ذلك على حساب النبي والقرآن! وتفصيل هذا الأمر يحتاج إلى تأليف خاص، ولكن على سبيل المثال قال ابن القيم في كتابه زاد المعاد ج ٣، ص ٤٠٦، في تبريره لتحريم عمر نكاح المتعة: «فإن قيل: فما تصنعون بما رواه مسلم في «صحيحه»»

يقصد ابن تيمية بالأمرء مروان بن الحكم، وقد أثبت العلماء - كما ذكرنا - صدور هذا الفعل من عثمان!

ومما يثير العجب تجرأ ابن تيمية على ابن الحكم في كلامه السابق وتناسي البدع التي أحدثها الخلفاء قبله، كبدعة التراويح وطلاق الثلاث... فهي لا تخفى عليه، لكنّه لا يستطيع أن يقول الحقّ الذي جاء به دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه هي الازدواجية والكيل بمكيالين!

إحداث معاوية أذان العيدين

قال ابن حجر: «اختلف في أول من أحدث الأذان فيها، فروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب أنّه معاوية، وروى الشافعي عن الثقة عن الزهري مثله.^١ إنّ تغيير الصحابة للتشريعات الإسلامية واجتهاداتهم كثيرة جداً وإنّما ذكرنا أمثلة بسيطة لما أحدثوه، ويبقى السؤال قائماً حول رواية حديث الحوض «إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» ولو كنّا مخطئين فيما ذكرنا، فما هي الأشياء التي أحدثها أولئك المساقون إلى النار؟^٢

➡ عن جابر بن عبد الله، قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر، حتى نهى عنها عمر في شأن عمرو بن حريث. وفيما ثبت عن عمر أنّه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنا أنهى عنهما، متعة النساء ومتعة الحجّ، قيل: الناس في هذا طانفتان، طانفة تقول: إنّ عمر هو الذي حرّمها ونهى عنها، وقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باتباع ما سنّه الخلفاء الراشدون...».

١. فتح الباري، ج ٢، ص ٤٥٣.

٢. يمكن الوقوف على هذه الاجتهادات في كتاب: النص والاجتهاد، للمرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين، وقد فضلنا هذا الأمر في كتابنا: وركبت السفينة، فصل اجتهاد الصحابة أمام المحكمات، وقد بينا هناك أنّه إذا كان المنهج الصحيح هو اتباع الكتاب والسنة وعدم تجاوزهما إلى الرأي والاجتهاد كما يرى السلفية، فقد كان الصحابة أول من اجتهد أمام النصوص المحكمة الواضحة الدلالة.

ملحوظ

مرجعية أهل البيت امتداد للمشروع السماوي

لقد بلّغ النبي (صلى الله عليه وآله) بدعوته أكبر مشروع سماوي أَرَادَهُ اللهُ لِلإِنْسَانِيَةِ، وَقَدْ خُتِمَتِ النَّبُوَّةُ وَلَنْ يَأْتِيَ نَبِيٌّ بَعْدَهُ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ السَّمَاءَ قَدْ اتَّخَذَتْ الإِجْرَاءَاتِ الكَفِيلَةَ بِإِصْطِحَالِ هَذَا الدِّينِ سَلِيمًا مَصَانًا مِنَ التَّحْرِيفِ وَالنَّقْصِ إِلَى جَمِيعِ سَكَانِ الأَرْضِ، فَالْإِنْسَانُ خَلِيفَةُ اللهِ فِي الأَرْضِ فِي أَيِّ بَقْعَةٍ كَانَ، وَإِذَا كَانَتِ النُّصُوصُ السَّلْفِيَّةُ غَيْرَ قَادِرَةً عَلَى إِضْحَاحِ الطَّرِيقِ لِمَنْ يَبْحَثُ عَنِ الحَقِّ، فَأَيْنَ هِيَ المَحَبَّةُ البِيضَاءُ الَّتِي تَرَكَهَا النَّبِيُّ لَنَا؟

إِنَّ المَنْصَفَ الَّذِي يَقْرَأُ أَحَادِيثَ النَّبِيِّ وَسِيرَتَهُ بِمَوْضُوعِيَّةٍ يُلَاحِظُ أَنَّهُ يَرْكِّزُ عَلَى عَمْرَتِهِ أَهْلَ بَيْتِهِ، وَيُوجِّهُ الأَنْظَارَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ، وَهَذَا التَّوْجِيهِ النَّبَوِيِّ مَاخُوذٌ مِنَ القُرْآنِ الَّذِي ذَكَرَهُمْ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ، وَلِأَنَّ مَدْرَسَةَ أَهْلِ البَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) هِيَ امْتِدَادٌ لِلتَّعَالِيمِ السَّمَاويَّةِ وَالنَّبَوِيَّةِ فَقَدْ غَدَتْ غَنِيَّةً بِمَا تَمْتَلِكُ مِنْ أَدَلَّةٍ قُرْآنِيَّةٍ وَنَبَوِيَّةٍ، وَنَحْنُ بَعْدَ أَنْ انْتَهَيْنَا مِنْ دِرَاسَةِ أَغْلِبِ النُّصُوصِ الرِّوَايَةِ السَّلْفِيَّةِ، نَضَعُ بَيْنَ يَدَيْ القَارِئِ نَصًّا وَاحِدًا تَوَاتَرَ نَقْلُهُ وَكَثُرَ شَرْحُهُ وَتَخْرِيجُهُ، لَكِنَّهُ مَا يَزَالُ مَتْرُوكًا مِنْ قَبْلِ الكَثِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ مِنْ أَتْبَاعِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ وَالسَّلْفِيِّينَ. وَإِنَّمَا أَلْحَقْنَا هَذَا البَحْثَ بِمَا سَبَقَهُ لِيُقَارَنَ البَاحِثُ بَيْنَ دَلِيلِ مَنْ أَدَلَّةِ الإِمَامِيَّةِ وَيَبِينُ أَدَلَّةَ السَّلْفِيِّينَ.

حديث الثقلين

ورد حديث الثقلين بصيغ مختلفة كلّها تؤدّي المعنى ذاته في لزوم أتباع أهل البيت للنجاة من الضلال، فقد رُوي في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنّه قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوماً خطيباً بماء يدعي خمأً، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس فإنّنا أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب الله ورعّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»^١.

وروي في مسند أحمد: «إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض» أو «ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإتّهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»^٢.

وروي في صحيح الترمذي والمستدرک على الصحيحين - وصحّحه - : «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^٣.
ونكتفي هنا بتخريج الألباني المحدث السلفي الشهير إذ يقول في تخريج الحديث: «أخرجه الترمذي (٢ / ٣٠٨) و الطبراني (٢٦٨٠) عن زيد بن الحسن الأنماطي عن جعفر عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حجته يوم عرفة و هو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول فذكره وقال: حديث حسن غريب من هذا

١. كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب.

٢. مسند أحمد، ج ٥، ص ١٨٢؛ فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٦٠٣؛ صححه الألباني في السنة لابن أبي عاصم، ص ٣٣٧.

٣. صحيح الترمذي، ج ٥ (كتاب المناقب)، ج ٥، ص ٣٢٩؛ المستدرک، ج ٣، ص ١٤٨؛ وقد احتج ابن تيمية بحديث

الترمذي على حجبة إجماع العترة، راجع مجموعة الفتاوى، ج ٢٨، ص ٢٦٩.

الوجه، وزيد بن الحسن قد روى عنه سعيد بن سليمان وغير واحد من أهل العلم قلت: قال أبو حاتم، منكر الحديث، وذكره ابن حبان في «الثقات». وقال الحافظ: ضعيف. قلت: لكنّ الحديث صحيح، فإنّ له شاهداً من حديث زيد بن أرقم قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوماً فينا خطيباً بماء يدعي (خماً) بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنّنا أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضلّ، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به» فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: «و أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

أخرجه مسلم (١٢٢ / ٧ - ١٢٣) والطحاوي في مشكل الآثار (٤ / ٣٦٨) وأحمد (٤ / ٣٦٦ - ٣٦٧) وابن أبي عاصم في السنة (١٥٥٠ و ١٥٥١) والطبراني (٥٠٢٦) من طريق يزيد بن حيان التميمي عنه ثم أخرج أحمد (٤ / ٣٧١) والطبراني (٥٠٤٠) والطحاوي من طريق علي بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»؟ قال: نعم.

وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، وله طرق أخرى عند الطبراني (٤٩٦٩ - ٤٩٧١ و ٤٩٨٠ - ٤٩٨٢ و ٥٠٤٠) وبعضها عند الحاكم (٣ / ١٠٩ و ١٤٨ و ٥٣٣). و صحح هو والذهبي بعضها. وشاهد آخر من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «إني أوشك أن أدعي فأجيب، وإني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي، الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض».

أخرجه أحمد (٣ / ١٤ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩) وابن أبي عاصم (١٥٥٣ و ١٥٥٥) والطبراني (٢٦٧٨ - ٢٦٧٩) والديلمي (٢ / ١ / ٤٥). وهو إسناد حسن في الشواهد. و

له شواهد أخرى من حديث أبي هريرة عند الدارقطني (ص ٥٢٩) و الحاكم (١ / ٩٣) و الخطيب في «الفتية و المتفقه» (٥٦ / ١). و ابن عباس عند الحاكم و صححه، و وافقه الذهبي و عمرو بن عوف عند ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (٢ / ٢٤، ١١٠)، و هي و إن كانت مفرداتها لا تخلو من ضعف لكنّ بعضها يقوي بعضاً، و خيرها حديث ابن عباس. ثم وجدت له شاهداً قويا من حديث عليّ مرفوعاً به. أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٢ / ٣٠٧) من طريق أبي عامر العقدي: حدثنا يزيد بن كثير عن محمد ابن عمر بن علي عن أبيه عن علي مرفوعاً بلفظ: «كتاب الله بأيديكم، و أهل بيتي».

و رجاله ثقات غير يزيد بن كثير فلم أعرفه، و غالب الظن أنّه محرف على الطابع أو الناسخ، و الله أعلم. ثم خطر في البال أنّه لعلّه انقلب على أحدهم و أنّ الصواب كثير ابن زيد، ثم تأكدت من ذلك بعد أن رجعت إلى كتب الرجال فوجدتهم ذكره في شيوخ عامر العقدي، و في الرواة عن محمد بن عمر بن علي، فالحمد لله على توفيقه. ثم ازددت تأكيداً حين رأيته على الصواب عند ابن أبي عاصم (١٥٥٨).

و شاهد آخر يرويه شريك عن الركين بن الربيع عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت مرفوعاً به. أخرجه أحمد (٥ / ١٨١ - ١٨٩) و ابن أبي عاصم (١٥٤٨ - ١٥٤٩) و الطبراني في الكبير (٤٩٢١ - ٤٩٢٣). و هذا إسناد حسن في الشواهد و المتابعات، و قال الهيثمي في المجمع (١ / ١٧٠): رواه الطبراني في الكبير و رجاله ثقات! و قال في موضع آخر (٩ / ١٦٣): رواه أحمد، و إسناده جيد!

بعد تخريج هذا الحديث بزمن بعيد، كتب عليّ أن أهاجر من دمشق إلى عمان، ثم أن أسافر منها إلى الإمارات العربية، أوائل سنة (١٤٠٢) هجرية، فلقيت في «قطر» بعض الأساتذة و الأكاديميين على مستوى الدكتوراه الطيبين، فأهدى إلى أحدهم رسالة له مطبوعة في تضعيف هذا الحديث، فلما قرأتها تبين لي أنّه حديث عهد بهذه الصناعة، و ذلك من ناحيتين ذكرتهما له، الأولى: أنّه اقتصر في تخريجه على بعض المصادر المطبوعة

المتداولة، ولذلك قصّر تقصيراً كبيراً في تحقيق الكلام عليه، وفاته كثير من الطرق و الأسانيد التي هي بذاتها صحيحة أو حسنة فضلاً عن الشواهد و المتابعات، كما يبدو لكل ناظر يقابل تخريجه بما خرجته هنا.

الثانية: أنه لم يلتفت إلى أقوال المصحّحين للحديث من العلماء و لا إلى قاعدتهم التي ذكروها في مصطلح الحديث، و هي أنّ الحديث الضعيف يتقوى بكثرة الطرق، فوقع في هذا الخطأ الفادح من تضعيف الحديث الصحيح. قبل الالتقاء به و اطلاعي على رسالته كان أحد الأكاديميين بدرجة دكتوراه في الكويت يضعف هذا الحديث، و تأكدت من ذلك حين جاءني خطاب من أحد الإخوة هناك يستدرك على إيرادي الحديث في صحيح الجامع الصغير بالأرقام «٢٤٥٣ و ٢٤٥٤ و ٢٧٤٥ و ٧٧٥٤» لأنّ الدكتور المشار إليه قد ضعفه و أنّ هذا استغرب منّي تصحيحه! و يرجو الأخ المشار إليه أن أعيد النظر في تحقيق هذا الحديث، و قد فعلت ذلك من باب الاحتياط، فلعلّه يجد فيه ما يدلّه على خطأ الدكتور في قبوله الحديث و اعتماده عليه و عدم تنبهه للفرق الكبير الموجود في هذا العلم، و الراسخ فيه، و هي غفلة أصابت كثيراً من الذين يتبعون كلّ من كتب في هذا المجال و ليست له قدم راسخة فيه. و الله المستعان»^١.

تواتر الحديث

حديث الثقلين متواتر، فقد رواه خمسة و ثلاثين صحابياً و تسعة عشر تابعياً، فلا عبرة بمن حاول الطعن بسنده، إذ لا ينبغي علمياً البحث في الأسانيد إذا ثبت تواتر نص ما. قال الشيخ أبو المنذر سامي المصري: «وبعد ثبوت حديث العترة المطهّرة عن سبعة من صحابة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورضي الله عنهم، و من أكثر من ثلاثين

١. سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٤، ص ٣٥٥، رقم الحديث ١٧٦١؛ و يبدو أنّ الألباني يشير إلى الدكتور علي السالوس الذي حاول جاهداً تضعيف حديث العترة.

طريقاً وصحّته التي لا مجال للشكّ فيها وما علمناه من معنى التواتر والمتواتر وشروط المتواتر وأقسام المتواتر وعدد نقلة المتواتر وصفة نقلة المتواتر وإفادة المتواتر يمكننا أن نقول: إنّ حديث العترة المطهّرة قد بلغ حدّ التواتر، وأنّ تواتره معنوي كما نقلنا، وهذا فضلاً عن أنّ لفظ «الكتاب والعترة» ما تخلّف في نصّ مما سبق، فيكون - حسب كلام السيوطي - هذا القدر المشترك من الحديث (كتاب الله وعترتي) متواتر قطعاً.^١

قال الإمام المقبلي إنّ أهل البيت والكتاب - حديث الثقلين - لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض قد تواترت معنى ويشهد له «حديث مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».^٢

وبالرغم من وضوح عبارات حديث الثقلين ودلالاتها لكلّ فهم، إلا أنّ أغلب المسلمين أبوا أن يعملوا بهذه الوصية النبوية الخالدة باتّباع عترته، وقلّدوا أئمة من الفقهاء حصرتهم السياسة بأربعة، واتخذوا والسلفيين من السلف قدوة لهم، مستثنين أئمة العترة الطاهرة، حتى إنّ شيخهم ابن تيمية حاول بكلّ جهده إثبات عدم أخذ المسلمين عن الأمام علي (عليه السلام) وعن سائر أئمة العترة الطاهرة. يقول في ذلك مفتخراً: فليس في الأئمة الأربعة ولا غيرهم من أئمة الفقهاء من يرجع إليه - إلى عليّ - في فقهه؛ أمّا مالك فإنّ علمه عن أهل المدينة، وأهل المدينة لا يكادون يأخذون بقول علي، بل أخذوا فقههم عن الفقهاء السبعة، عن زيد وعمر وابن عمر ونحوهم، أمّا الشافعي فإنّه تفقّه أولاً على المكيين أصحاب ابن جريج كسعيد بن سالم القدّاح ومسلم بن خالد الزنجي وابن جريج أخذ ذلك عن أصحاب ابن عباس كعطاء وغيره، وابن عباس كان مجتهداً مستقلاً، وكان إذا أفتى بقول الصحابة أفتى بقول أبي بكر وعمر لا بقول علي، وكان ينكر على علي أشياء!! ثم إنّ الشافعي أخذ عن مالك، ثم كتب كتب أهل العراق، وأخذ مذاهب أهل الحديث، واختار

١. الزهرة العطرة في حديث العترة، البحث الثالث.

٢. نجاح الطالب في شرح مختصر ابن الحاجب.

لنفسه.^١ وأما أبو حنيفة، فشيخه الذي اختص به حماد بن أبي سليمان، وحماد عن إبراهيم وإبراهيم عن علقمة وعلقمة عن ابن مسعود، وقد أخذ أبو حنيفة عن عطاء وغيره.

وأما الإمام أحمد فكان على مذهب أهل الحديث، أخذ عن ابن عينة وابن عينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس وابن عمر، وأخذ عن هشام بن بشير وهشام عن أصحاب الحسن وإبراهيم النخعي وأخذ عن عبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح وأمثالهما، وجالس الشافعي وأخذ عن أبي يوسف واختار لنفسه قولاً، وكذلك إسحاق بن راهويه وأبو عبيد ونحوهم، والأوزاعي والليث أكثر فقهما عن أهل المدينة وأمثالهم لا عن الكوفيين. وأضاف: فهذا موطأ مالك ليس فيه عنه ولا عن أحد أولاده إلا قليل جداً، وجمهور ما فيه عن غيرهم، فيه عن جعفر تسعة أحاديث، ولم يرو مالك عن أحد من ذريته إلا عن جعفر، وكذلك الأحاديث التي في الصحاح والسنن والمسانيد منها قليل عن ولده وجمهور ما فيها عن غيرهم.^٢

وفي موضع آخر يقول: وأكثر المسلمين بالشرق والمغرب لم يأخذوا عن عليّ شيئاً.^٣ وقال أيضاً: وقد جمع الشافعي ومحمد بن نصر المروزي كتاباً كبيراً فيما لم يأخذه المسلمون من قول عليّ، لكون قول غيره من الصحابة اتبع للكتاب والسنة.^٤ وقال: جميع مدائن الإسلام بلغهم العلم عن الرسول من غير عليّ.^٥

ومما يؤكد جفاء الأمة لأهل البيت (عليهم السلام) ما ذكره الذهبي في ترجمة مالك بن

١. نقله عنه الأمير الصنعاني في كتابه: إجابة السائل شرح بغية الآمل ج ١، صص ١٥٥ و ١٥٦ دون اعتراض منه عليه مما يعني موافقته. والمقبلي هو ضياء الدين صالح بن مهدي بن علي بن عبد الله المقبلي، ولد سنة ١٠٤٧ وتوفي بمكة سنة ١١٠٨، ترجمه الشوكاني في البدر الطالع ج ١، ص ٢٨٨، ٩٢ وقال: «هو ممن برع في جميع علوم الكتاب والسنة، وحقق الأصولين والعربية والمعاني والبيان والحديث والتفسير وفاق في جميع ذلك وله مؤلفات مقبولة كلها عند العلماء محبوبة إليهم يتنافسون فيها ويحتجون بترجيحاته وهو حقيق بذلك».

٢. منهاج السنة، ج ٧، صص ٥٢٩ - ٥٣١، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

٣. منهاج السنة، ج ٨، ص ٤٩.

٤. منهاج السنة، ج ٧، صص ٥١٢ و ٥١٣.

٥. منهاج السنة، ج ٥، ص ٥١٣.

أنس، إذ ذكر العشرات من الفقهاء من التابعين ومن بعدهم ممن ينبغي الرجوع لهم، ولم يذكر من بينهم فقيه واحد من فقهاء أهل البيت (عليهم السلام)، كالباقر والصادق والكاسم والرضا والجواد (عليهم السلام)، وقد كانوا معاصرين لهؤلاء الأئمة.

قال الذهبي: قال مالكيّ - أي من أتباع مالك - قد ندر الاجتهاد اليوم، وتعذر، فمالك أفضل من يقلد، فرجّح تقليده... ولكن شأن الطالب أن يدرس أولاً مصنفاً في الفقه، فإذا حفظه، بحثه وطالع الشروح، فإن كان ذكياً فقيه النفس ورأى حجج الأئمة، فليراقب الله وليحتط لدينه، فإن خير الدين الورع، ومن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، والمعصوم من عصمه الله. فالمقلّدون: صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بشرط ثبوت الاسناد إليهم، ثم أئمة التابعين كعلقمة ومسروق وعبيدة السلماني وسعيد ابن المسيب وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير وعبيدالله بن عبدالله وعروة والقاسم والشعبي والحسن وابن سيرين وإبراهيم النخعي.

ثم كالزهري وأبي الزناد وأيوب السختياني وربيعة وطبقتهم. ثم كأبي حنيفة ومالك والاوزاعي وابن جريج ومعر وابن أبي عروبة وسفيان الثوري والحماديين وشعبة والليث وابن الماجشون وابن أبي ذئب. ثم كابن المبارك ومسلم الزنجي والقاضي أبي يوسف والهقل بن زياد ووكيع والوليد بن مسلم وطبقتهم. ثم كالشافعي وأبي عبيد وأحمد وإسحاق وأبي ثور والبويطي وأبي بكر بن أبي شيبة. ثم كالمزني وأبي بكر الاثرم والبخاري وداود بن علي ومحمد ابن نصر المروزي وإبراهيم الحربي وإسماعيل القاضي. ثم كمحمد بن جرير الطبري وأبي بكر بن خزيمة وأبي عباس بن سريج وأبي بكر بن المنذر وأبي جعفر الطحاوي وأبي بكر الخلال. ثم من بعد هذا النمط تناقص الاجتهاد، ووضعت المختصرات، وأخذ الفقهاء إلى التقليد من غير نظر في الاعلم بل بحسب الاتفاق والتشهي والتعظيم والعادة والبلد.^١

وفيما أوردناه من كلام ابن تيمية والذهبي هو ردُّ على الألباني الذي زعم بعد

تخريجه لحديث الثقلين تمسكه بعثرة النبي.^١

وقد نقل الامام الترمذي مذاهب أئمة الفقه في الأمصار الإسلامية، كسفيان الثوري ومالك والشافعي وأحمد واسحاق بن راهوية وغيرهم، ولم يتطرق لفقه أهل البيت (عليهم السلام).^٢

شبهة سلفية

إنَّ أغلب الشبهات المثارة ضد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) منشؤها المقدمات الخاطئة والمغالطات الهزيلة وعدم فهم مباني الآخرين.

وقد عرض علي أحدهم شبهة شاعت في بعض مواقع الشبكة العنكبوتية، وأضع ردّي عليها هنا لئلا ينخدع بها أحد ولتعم الفائدة، وأورد كلامه شبه كامل ثم أعلّق عليه بعد أن أضع كلامه بين قوسين لتمييزه عن كلامي.

تحت عنوان: «المقارنة بين البخاري و الكافي» كتب أحدهم مايلي:

فإنَّ حبَّ آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو جزء من الإيمان فلا يحتمهم إلا مؤمن ولا يكرههم إلا منافق ... ومعلوم أنَّ الحبل الأول من آل بيت رسول الله كعلي وفاطمة والحسن والحسين (رضي الله عنهم) مبشرون بالجنة، فهم جزء من أهل السنة والجماعة إن لم يكونوا هم أركان السنة هم وباقي الصحابة ... لنرى الآن كيف يأخذ أهل السنة تراثهم من آل البيت (رضوان الله عليهم)... مرويات أهل البيت في كتب أهل السنة:

- أحاديث الرسول (عليه الصلاة والسلام) في الكتب الأربعة عند الشيعة: ستمائة وأربع وستين حديثاً فقط ...

أما في الكتب التسعة عند أهل السنة فتبلغ عشرات الألوف!!

علي بن ابي طالب (رضى الله عنه) كما اعتمد أهل السنة على روايات آل البيت بشكل

١. سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٤، ص ٣٥٥ (رقم الحديث ١٧٦١).

٢. راجع كتابه العلل، ج ١، ص ٣٣٣.

كبير، فروايات علي بن أبي طالب في البخاري مع المكرر ثمان وتسعين رواية وغير المكرر أربع وثلاثين رواية، ورواياته (رضى الله عنه) في صحيح مسلم ثمان وثلاثين حديثاً. وعندما نعمل عملية حسابية يسيرة نرى أنّ الناتج هو اثنان وسبعون رواية في أصحّ الكتب عند أهل السنة بينما أحاديث علي (رضى الله عنه) المرفوعة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) في أصحّ كتب الشيعة - وهو الكافي - ست وستون رواية، فهل يقول لنا قائل من هو المكثّر من المقل؟! بل وروايات علي (رضى الله عنه) في كتب السنة أكثر من روايات أبي بكر، بل هي أكثر من روايات عمر،! بل روايات علي (رضى الله عنه) المنقولة في كتب السنة أكثر من روايات عثمان. بل لا أخفيكم حديثاً إن قلت أن روايات علي (رضى الله عنه) أكثر من مرويات أبي بكر وعمر وعثمان مجتمعين.

فأيّ انصاف بعد هذا؟! وهل يصح أن نقول إنّ أهل السنة أعداء لأبي بكر وعمر وعثمان؟! فاطمة (رضي الله عنها): وأمّا فاطمة (رضي الله عنها) فلها حديث واحد في البخاري برقم (٤٤٦٢)، بينما ليس لها ولا حديث واحد مرفوع في كلّ الكافي وهو عندي تسعة مجلدات، أفلا يصحّ لنا أن نقول إنّ صاحب الكافي - الكليني - ناصبي لأنّه جفا فاطمة الزهراء (رضي الله عنها)؟!!

أحاديث الحسن: أمّا مروياته في كتب أهل السنة فبلغت خمساً وثلاثين حديثاً، فأحاديث الحسن في مسند الامام احمد وحده قد بلغت ثمانية عشر حديثاً... الحسين (رضي الله عنه): وأمّا الحسين (رضي الله عنه) فله حديثان عن أبيه علي (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في كتاب الجمعة برقم (١١٢٧) وكتاب فرض الخمس برقم (٣٠٩١) من صحيح البخاري ومثله في صحيح مسلم.. أي اربعة أحاديث، بينما في الكافي رواية واحدة وكذا عن الحسن (رضي الله عنه)، فهل يصح بعد هذا أن نقول إنّ صاحب الكافي - وهو أصح كتاب عند الشيعة - قد جفا سيّدا شباب أهل الجنة؟! وفي الكتب التسعة السنية ثلاثاً وأربعين رواية!!

محمد الباقر (رحمه الله تعالى): نأت الآن إلى الإمام محمد الباقر (رحمة الله عليه) ذاك الإمام الكبير الفذّ المحدث الكبير. فروايته في الكتب التسعة مائتان واربعون رواية، وتعالوا معي نقارن بين مرويات محمد الباقر (رحمه الله ورضى عنه) وبين روايات. أفضل رجل بعد الأنبياء والرسل عند أهل السنة، إنها مرويات أبي بكر... لتعلموا والله إنصاف أهل السنة، ولكن الحق عزيز والإنصاف صعب، فما لهؤلاء الناس لا يعلمون وعن الحقيقة يحميدون؟! مرويات محمد الباقر (رحمه الله) في صحيح مسلم تسع عشرة رواية، بينما مرويات الصديق تسع روايات، فأني أنصاف بعد هذا!! بل أنّ مرويات الباقر (رحمه الله) وجمعنا به في جنات النعيم في سنن النسائي فقط ستاً وخمسين رواية، بينما مرويات أبي بكر اثنتان وعشرون رواية، فهل يصحّ لمنصف أن يرمي أهل السنة بالجفاء لتراث آل البيت؟! جعفر الصادق (رحمه الله تعالى): نأت الآن إلى مرويات ذاك الإمام الفذّ جعفر الصادق (رحمه الله ورضى عنه)، فهي في الكتب التسعة مائة وثلاث وأربعين رواية... وقد أخرج أصحاب الكتب الستة المعتمدة عند أهل السنة (مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) للإمام جعفر الصادق عدا البخاري، فقد أخرج له حديثان في الأدب المفرد، ولمنتطع أن يقول لماذا لم يخرج البخاري لجعفر الصادق في صحيحه؟ فنقول: ولماذا لم يخرج البخاري لأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل والإمام مسلم وغيرهم من الكبار؟ هل هو تنقّص لهم أم هي شروط أراد تطبيقها في صحيحه؟!.

ردّ الشبهة

قال: «فإنّ حبّ آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو جزء من الإيمان فلا يحبهم إلا مؤمن ولا يكرههم إلا منافق... ومعلوم أنّ الحبل الأول من آل بيت رسول الله كعلي

١. نلاحظ هنا عدم معرفة هذا الكاتب بكتب الإمامية ومبانيهم، فالكافي سبعة أجزاء والثامن هو الروضة منه وليس تسعة أجزاء! ومقارنة روايات الصحابة بروايات أهل البيت غير دقيقة وغير صحيحة، فالصحابي هو مجرد ناقل، والعترة عندنا معصومون، والمعصوم هو عدل القرآن. وسيأتي الردّ عليه مفصلاً.

وفاطمة والحسن والحسين (رضي الله عنهم) مبشرون بالجنة، فهم جزء من أهل السنة والجماعة ان لم يكونوا هم أركان السنة هم وباقي الصحابة».

كم نتمني أن يكون آل البيت من أركان السنة، وأن نطبق عملياً الحديث الذي ينص على أن حب آل البيت أو علي (عليه السلام) من الإيمان وبغضهم نفاق، ولكن كلامه مجرد دعوى دون دليل، وإنما هو حبر على ورق كما يقال، ولو صدقت هذه الدعوة لتم نبذ كل الرواة النواصب الذين يعتمدون عليهم في أخذ معالم الدين، وكان ينبغي أن يتبرؤوا من كل أعداء ومبغضين أهل بيت النبوة! فهم يتبرؤون من أعداء الصحابة ومبغضيهم، وحين يأتي الأمر لأهل البيت (عليهم السلام) الذين وجبت مودتهم في القرآن، والذين حبهم إيمان وبغضهم نفاق، تراهم يترضون عن مبغضيهم ويوثقونهم ويقدمونهم على غيرهم في نقل السنة!

قال أولاً: أحاديث النبي (عليه السلام): أحاديث الرسول (عليه الصلاة والسلام) في الكتب الأربعة عند الشيعة ستمائة وأربع وستين حديثاً فقط ... أما في الكتب التسعة عند أهل السنة فتبلغ عشرات الألوف، لأن معظم احاديثهم عنه (صلى الله عليه وسلم) ...

إنها عملية اسقاط ساذجة تلك التي يقوم بها هؤلاء، فهم يحسبون أن المدرسة الامامية تشترك معهم في المباني، وإن خالفتهم فهذا نقص فيها وطعن في شرعيتها، متناسين خصوصيات هذه المدرسة العريقة.

لقد جهل هذا القائل بأن كل أحاديث ائمة أهل البيت (عليهم السلام) - خاصة في الحلال والحرام - مأخوذة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبهذا صرح الأئمة (عليهم السلام) فأبي حديث رواه أحد الأئمة فهو مأخوذ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

يقول محمد أبو زهرة الأزهري: لقد قام أولئك الأبناء بالمحافظة على تراث أبيهم الفكري، وهو إمام الهدى، فحفظوه من الضياع، وقد انتقل معهم إلى المدينة... وبذلك ننتهي إلى أن البيت العلوي فيه علم الرواية كاملة عن علي (رضي الله عنه)، وروا عنه ما رواه عن الرسول كاملاً! أو قريبا من الكامل، ورووا عنه فتاويه كاملة وفقهه كاملاً أو قريباً من

الكمال، واستكنوا بهذا العلم المشرق في كن من البيت الكريم... ومهما يكن فقد كان جزء كبير من علم آل البيت هو علم علي، آل إليهم من تركته المثرية.^١

قال سعيد بن أبي مريم: قيل لأبي بكر بن عياش: مالك لم تسمع من جعفر - الصادق (عليه السلام) - وقد أدركته؟ قال: سألتناه عما يتحدث به من الأحاديث، أشئ سمعته؟ قال: «لا ولكنها رواية رويناها عن آبائنا».^٢

وقال ابن سعد: وسئل مرة - جعفر الصادق - : سمعت هذه الأحاديث من أبيك؟

فقال: «نعم»، وسئل مرة فقال: «إنما وجدتها في كتبه».^٣

وكان عند محمد بن علي الباقر بن علي بن الحسين كتب كثيرة، سمع بعضها منه ابنه جعفر الصادق وقرأ بعضها.^٤

وقال الصادق (عليه السلام): «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث أبيه، وحديث أبيه حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ»^٥

قال الصادق (عليه السلام): «والله ما نقول بأهوائنا ولا نقول برأينا ولا نقول إلا ما قال ربنا، فمهما أحببتك فيه بشئ فهو عن رسول الله، لسنا نقول برأينا من شئ».^٦

وسأل رجل أبا عبد الله الصادق عن مسألة فأجابه فيها، فقال الرجل: رأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: «مه، ما أحببتك فيه من شئ فهو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولسنا من «رأيت» في شئ».^٧

١. الإمام الصادق، صص ١٦٣ و ١٦٤.

٢. تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٨٨.

٣. المصدر السابق، ص ١٠٤.

٤. المصدر السابق.

٥. الكافي، ج ١، ص ٥٣.

٦. بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٧٣، نقلا عن بصائر الدرجات، للصفار.

٧. الكافي، ج ١، ص ٥٨.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «إنا لو كنّا نحدّثكم برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نحدّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم».^١

وقد عاتب أحدهم أبان بن تغلب على ولائه للإمام الباقر (عليه السلام) وروايته عنه فقال: كيف تلومونني في روايتي عن رجل ما سألته عن شيء إلا قال: قال رسول الله؟!^٢

فكل أحاديث الباقر (عليه السلام) و الصادق و الرضا (عليه السلام) و سائر الأئمة (عليهم السلام) هي أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد كان بحوزتهم (عليهم السلام) صحيفة أو صحائف عديدة من إملاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخط الامام علي (عليه السلام). قال الامام جعفر الصادق (عليه السلام) لأحد أصحابه وهو أبو نصير: «يا أبا محمد وإنّ عندنا (الجامعة) وما يدرهم ما الجامعة؟!»، قال: قلت جعلت فداك، وما الجامعة؟ قال: «صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإملائه من فلق فيه، وخطّ على يمينه، فيها كلّ حلال وحرّام، وكلّ شيء يحتاج إليه الناس حتّى الأرّش في الخدش».^٣

روى أبو الحسن ابن بابويه، بسنده، عن الامام الباقر (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام)، قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمر المؤمنين (عليه السلام): أكتب ما أملي عليك. فقال: يا نبي الله، وتخاف على النسيان؟! فقال: لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا يُنسيك، ولكن، أكتب لشرّكائك. قال: قلت: ومن شرّكائي، يا نبي الله؟ قال: الأئمة من وُلدك...».^٤

وعن عذافر الصيرفي، قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر (عليه السلام) فجعل يسأله، وكان أبو جعفر (عليه السلام) له مكرماً، فاختلفا في شيء، فقال أبو جعفر (عليه السلام):

١. بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٧٢، نقلاً عن بصائر الدرجات.

٢. بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٧٧.

٣. الكافي، ج ١، ص ٢٣٩.

٤. «تدوين السنة الشريفة» للسيد محمد رضا الجليلي، صص ٧٣ و ٧٤، نقلاً عن الامامة والتبصرة من الحيرة، ص ٥٤،

ح ٣٨؛ بصائر الدرجات، ج ١، ص ١٦٧.

«يا بني قم فأخرج كتاب علي (عليه السلام)»، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً ففتحته، وجعل ينظر حتى أخرج المسألة.

فقال أبو جعفر (عليه السلام): «هذا خطٌ عليّ (عليه السلام) وإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وأقبل على الحكم، وقال: «يا أبا محمد إذهب أنت وسلّمه وأبو المقدام حيث شئتم يميناً وشمالاً، فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبريل (عليه السلام)».^١

ندرك ممّا ذكر المغالطة التي وقع بها هذا الرجل وكثيرون ممّن هم على شاكلته، وبهذا يتبين جواب سائر كلامه، ومع هذا سنتابعه ونقف على مغالطاته.

قال: إنّ أحاديث النبي في الكتب الأربعة عند الشيعة بلغت ستمائة وأربعة وأربعين، وهذا الرقم غير دقيق منه، إن لم أقلّ إنّّه متعمد في قوله هذا، فقد بحثت عن اقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكافي فقط فوجدت فيه أكثر من ثمانمائة وتسعين حديثاً! ثم بحثت في وسائل الشيعة ومستدركه وخاتمة المستدرک عن عبارات مثل: قال رسول الله، قال النبي، قال الرسول... فوجدت أنّ هناك أكثر من تسعة آلاف وخمسمائة حديث كلها تنتهي إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)! وهي في المجال الفقهي فقط لا غير!

أما قول صاحب الشبهة (إنّ أحاديثهم تبلغ الألاف)، فهذا صحيح حين نظر لها في كتب السنن، وأوصلها بعض المحدثين إلى ستمائة ألف حديث صحيح^٢، ولكن أغلبها مفقود حالياً، وهذه طامة كبرى ولكن ما هو مقدار الصحيح من هذه الألاف التي ذكرها؟! الراجع ما ذكره ابن حجر في كتاب «النكت على ابن الصلاح» أنّها أربعة آلاف

١. فهرست النجاشي، ج ٢، ص ٢٦١، وراجع كتابنا النبي ومستقبل الدعوة، فقد فصلنا هناك المسألة أكثر.

٢. وهو مروى عن أحمد بن حنبل، راجع تدريب الراوي، للسيوطي، ج ١، ص ٥٠؛ تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٣٠؛ لراجع القارئ كتابنا (وركب السفينة)، صص ١٢١-١٩٤؛ فصل ضياع السنة، ليرى كيفية اختفاء تلك الأحاديث! (ص ٩٩٢) وذهب لهذا الرأي شعبة ويحيى بن سعيد وعبد الرزاق وإسحاق بن راهوية وابن معين، فقالوا: الأحاديث المسندة أربعة آلاف وتيف، النكت على مقدمة ابن الصلاح، بدر الدين الزركشي، ج ١، صص ١٨١-١٨٣؛ وهي عند الشافعي وعبد الرزاق ويحيى بن سعيد وغيرهم تيف وخمسمائة، وهي مع السنن لا تتعدى ألفي حديث، النكت على مقدمة ابن الصلاح، بدر الدين الزركشي، ج ١، صص ١٨١-١٨٣.

وأربعمائة حديث، يقصد الصحيحة بلا تكرار. ونحن لا نسلّم بصحّتها كلّها بسبب الإرسال من قبل صغار الصحابة الموجود في الكثير منها، والإشكال الذي يرد عليها أنّهم قد يرسلون أحاديثهم عن بعض المنافقين المندسين وهؤلاء كانوا ضمن الصحابة!! إنّ أحاديث الشيعة بلغت الآلاف أيضاً لأنّ كلّ أحاديثهم - وليس معظمها - مصدرها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن لم يصرحوا باسمه، وهذا متفق عليه في المدرسة الامامية كما بينا. وأحاديث الأحكام تعادل عند الامامية أضعاف ما هو موجود عند غيرهم، ومقارنة بسيطة بين أهم كتابين تبين لنا الفرق.

فأهم كتاب عند الجمهور هو: «بلوغ المرام من أدلة الأحكام» لابن حجر العسقلاني، وهو في جزء واحد متوسط الحجم، وعدد أحاديثه حوالي خمسمائة حديث.

أما أهم كتاب عند الشيعة فهو «وسائل الشيعة» وعدد أجزاء ثمانية عشر جزءاً من الحجم الكبير، وعدد أحاديثه حوالي ستّة وثلاثين ألف حديث، وقد استدرک عليه الشيخ النوري في «مستدرک الوسائل» أكثر من ثلاث وعشرين ألف حديث، فهناك حوالي ستين ألف حديث في الأحكام.

ونحن نشكّ بالرقم الذي أورده حول عدد أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونشكّ بكلّ الأرقام التي أوردها في شبهته، مع العلم أنّ للأمامية كتباً أخرى شهيرة غير الكتب الأربعة، فقد كتب أصحاب الأئمة الكثير من المؤلفات التي حوت كلامهم (عليهم السلام) فنقل منها أصحاب الكتب الأربعة ونقل منها أيضاً غيرهم كالمجلسي في بحار الأنوار وكانت له طرق خاصة إلى تلك الأصول، فلا ينبغي الاقتصار على الكتب الأربعة حين المقارنة.

قال: بل لا أخفيكم حديثاً إن قلت إنّ روايات علي (رضى الله عنه) أكثر من مرويات أبي بكر وعمر وعثمان مجتمعين و قال: لنرى الآن كيف يأخذ أهل السنة تراثهم من آل البيت (رضوان الله عليهم)، اعتمد أهل السنة على روايات آل البيت بشكل كبير، فروايات

على بن أبي طالب في البخاري مع المكرر ثمان وتسعين رواية وغير المكرر أربع وثلاثين رواية، ورواياته (رضى الله عنه) في صحيح مسلم ثمان وثلاثين حديثاً.

وعندما نعمل عملية حسابية سيرة نرى أنّ الناتج هو اثنان وسبعون رواية في أصحّ الكتب عند أهل السنة، بينما أحاديث علي (رضى الله عنه) المرفوعة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أصحّ كتب الشيعة - وهو الكافي - ست وستون رواية، فهل يقول لنا قائل من هو المكثّر من المقلّ؟!... بل وروايات علي (رضى الله عنه) في كتب السنة أكثر من روايات أبي بكر!! بل هي أكثر من روايات عمر!! بل روايات علي (رضى الله عنه) المنقولة في كتب السنة أكثر من روايات عثمان!!! فأَيّ انصاف بعد هذا وهل يصحّ أن نقول إنّ أهل السنة أعداء لأبي بكر وعمر وعثمان؟!

يُخيل للمرء أنّ هذه المقارنة صحيحة وهي إكرامٌ لعلي (عليه السلام) وتقديرٌ له، ولكن سرعان ما يزول هذا التبادر إذا عرفنا أنّ المقارنة قائمة على أساس خاطئ، ولا تصحّ من الأساس!

فالخلفاء الثلاثة المذكورون كانوا من المقلّين جداً في الرواية.

قال الصنعاني: «والسبب في قلّة ما روي عن الصديق أبي بكر (رضى الله عنه) مع جلالته وتقدمه وملازمته للنبي (صلى الله عليه وسلم) أنّه قد تقدّمت به الوفاة قبل عناية الناس بسماع الحديث وحفظه».^١

وقال محمد عجّاج الخطيب - استاذ في الحديث - عن أبي بكر وعمر: «حملاً علماً كثيراً عنه (عليه الصلاة والسلام)، لم يظهر علمهم كلّنا، وبخاصة أبو بكر، لأنّه لم يعيش كثيراً بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليحتاج إليه...».^٢

وقد اتّخذ الخلفاء الثلاثة من منع الرواية عن النبي سياسة لهم وأمروا الناس بذلك،

١. توضيح الأفكار، ص ٤٢٩.

٢. أصول الحديث، ص ٤٠٣.

بل أحرقوا سنناً جمعوها، فكيف يصلنا عنهم والحال هذا أكثر من علي (عليه السلام)؟ ولناخذ أمثلة بسيطة على ما قاموا به تجاه الحديث:

قال ابن أبي مليكة: «إنَّ الصَّدِّيقَ جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: إنَّكم تحدَّثون عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدَّ اختلافاً، فلا تحدَّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرِّموا حرامه»^١.

وقالت عائشة: «جمع أبي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيراً، قالت: فغممني فقلت: أتقلِّب لشكوي أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك، فجئت بها فدعى بنار فحرقها، فقلت: لما أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل اتَّمنتته ووثقت، ولم يكن كما حدثني، فأكون قد نقلت ذلك»^٢.

وعن يحيى بن جعدة أنَّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة، ثم بدا له أن لا يكتبها، ثم كتب في الأمصار من كان عنده شيء فليمحه^٣.

وعن قرظة بن كعب قال: خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر بن الخطاب إلى صرار - موضع قرب المدينة - فتوضأ ثم قال: إنَّكم أتدرون لم مشيت معكم؟ قالوا: نعم نحن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مشيت معنا، قال: إنَّكم تأتون أهل قرية لها دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تبدوونهم بالأحاديث فيشغلونكم، جدِّدوا القرآن وأقلِّبوا الرواية عن رسول الله وأمضوا وأنا شريككم، فلما قدم قرظة قالوا: حدثنا، قال: نهانا ابن الخطاب^٤.

١. تذكرة الحفاظ، ج ١، صص ٢ و ٣.

٢. تذكرة الحفاظ، ص ٥.

٣. جامع بيان العلم، ج ١، صص ٦٤ و ٦٥.

٤. مستدرک الحاكم، ج ١، ص ١٠٢ وصححه. سنن الدارمي، ج ١، ص ٨٥. تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٥٢٤، وانظر سنن ابن

ماجة، ج ١، ص ١٢. جامع بيان العلم، ج ٢، ص ١٢٠، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الرامهرمزي، ص ٥٥٣.

وروى ابن سعد عن عبدالله بن العلاء قال: سألت القاسم يملي على أحاديث، فقال: إنّ الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلمّا أتوه بها أمر بتحريقها ثم قال: مثناة كمشناة أهل الكتاب، قال: فمنعني القاسم يومئذ أن أكتب حديثاً.^١

يقول ابن قتيبة: وكان عمر شديداً على من أكثر الرواية...^٢؛

لقد اختار صاحب الشبهة ثلاث شخصيات غير مناسبة ليقارن أحاديثها بأحاديث علي (عليه السلام) ولماذا لم يختار صاحب الشبهة أبا هريرة الذي روى ٥٣٧٤ حديثاً بالرغم من قصر مدة صحبته للنبي أو عبدالله بن عمر الذي روى ٢٦٣٠ حديثاً؟!^٣

فليس رواية القوم عن علي (عليه السلام) هذا العدد وقلة الرواية عن باقي الخلفاء نابعاً من الحرص على اتباع علي (عليه السلام) وإثما الخلفاء أنفسهم تسببوا بقله الرواية عنهم، وعلي (عليه السلام) كان من المكثرين من التحدث عن المصطفى وعاش إلى سنة ٤٠ للهجرة واحتيج إليه، بل إن روايتهم عن علي (عليه السلام) قليلة قياساً لعلمه، وقد اعترف بهذا الشيخ محمد أبوزهرة بقوله: وإِنَّه يجب علينا أن نقرّر هنا أنّ فقه علي (عليه السلام) وفتاويه وأقضيته لم ترو في كتب السنة بالقدر الذي يتفق مع مدّة خلافته، ولا مع المدّة التي كان منصرفاً فيها إلى الدرس والإفتاء في مدّة الراشدين قبله، وقد كانت حياته كلّها للفقّه وعلم الدين، وكان أكثر الصحابة اتّصالاً برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقد رافق الرسول وهو صبي قبل أن يبعث (صلى الله عليه وسلم)، واستمرّ معه إلى أن قبض الله تعالى رسوله إليه، ولذا كان يجب أن يذكر له في كتب السنة أضعاف ما هو مذكور فيها.^٤

ثم ذهب صاحب الشبهة يستعرض مسند أحمد، فقال: إنّ الامام احمد وحده روى

١. الطبقات، ج ٥، ص ١٨٨. تقييد العلم، الخطيب البغدادي، ص ٥٢.

٢. تأويل مختلف الحديث، ص ٣٩.

٣. أسماء الصحابة الرواة، ابن حزم، ص ٣٢.

٤. الإمام الصادق، ص ١٦٢.

عن علي (رضى الله عنه) «(٨٠٤)» أحاديث وهو أكثر من مرويات علي في الكتب الأربعة الشيعية والبالغة «(٦٩٠)».

إنّ هذا العدد الذي ورد في مسند أحمد يشمل بقية أحاديث الإمام علي (عليه السلام) الواردة في بقية كتب الحديث السنية، ولو تنازلنا فإنّه ينبغي مقارنة هذا العدد بما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) في كلّ كتب الشيعة. وهذا العدد قليل جداً مقارنة بما رواه الإمامية عن علي (عليه السلام)، فمسند الإمام علي (عليه السلام) لحسن القبانجي يقع في عشرة مجلدات وكلّه منقول من تراث أهل البيت (عليه السلام)، وقد جمع المؤلف روايات الإمام علي (عليه السلام)، فبلغت ١١٤٥١ رواية!! فهل هناك وجه للمقارنة بين المسندين؟! وهل تبين الآن كم روى الشيعة عن علي (عليه السلام)؟!!

ولعلّ الإمام أحمد بروايته عن الإمام علي أراد اصلاح ما أفسده الآخرون، إذ كان الإمام علي (عليه السلام) يُسب على منابر المسلمين، فأحمد هو الذي ربح به وجعله رابع الخلفاء! وهذه مأساة، إذ لم يكن علي (عليه السلام) محسوباً كخليفة شرعي حتى عهد أحمد بن حنبل.

وهذه الأحاديث - ولا أقول كلّها - محل شكّ، إذ كثيراً ما كذب الناس على الإمام علي (عليه السلام) ونسبوا له أشياء ينصرون بها مذاهبهم، كحديث تحريم المتعة وحديث تفضيله للخلفاء الثلاثة على نفسه!

والذي يؤكّد ما نذهب إليه أنّه لم يصحّ من أحاديث الإمام علي (عليه السلام) عند ابن حزم سوى خمسين حديثاً!!^٢

فهل بقي وجه للمقارنة بين أحاديثه (عليه السلام) وأحاديث الخلفاء، وهل تصحّ بعد الذي قدّمناه؟!!

١. ابن حنبل متوفى سنة ٢٤١ هـ، ويُلاحظ أنّه أبرز بعض فضائل الإمام علي (عليه السلام) خلافاً لمن سبقه من المحدثين، ولعلّه أراد من ذلك اخراج العباسيين الذين تسلّموا الزعامة، ووصلوا لها باسم أهل البيت!

٢. الملل والنحل، ج ٣، ص ٦٠.

أما قوله: «وهو أكثر من مرويات علي في الكتب الأربعة الشيعية والبالغة ستمائة وتسعين رواية»، فيدلّ على أنّ صاحب الشبهة لا زال يصدر في كلامه من مغالطات، فإنّه ينبغي محاوره الإمامية حسب مبانيهم، فهم أنفسهم لا يقبلون بأن يحاورهم أحد بغير مبانيهم؟! وقوله هذا مبني على فهم خاطئ، وكان حري بهم أن يجمعوا روايات بقية الأئمة لأنها مأخوذة عن علي (عليه السلام) وإن لم يصرحوا باسمه .

قال: وأما فاطمة (رضي الله عنها) فلها حديث واحد في البخاري برقم «٤٤٦٢»، روى الامام أحمد لها سبع روايات في مسنده، بينما ليس لها ولا حديث واحد مرفوع في كلّ الكافي وهو عندي « ٩ » مجلدات!! فهل يصحّ لنا أن نقول أنّ صاحب الكافي - الكليني - جفا فاطمة الزهراء (رضي الله عنها)؟!

من السهل أن نقلب السؤال على هذا القائل، بالقول: لماذا لم يرو البخاري عن الزهراء (عليها السلام) سوى رواية واحدة فقط؟! لماذا لم يرووا عنها إلا هذا العدد القليل جداً وهي بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سيدة نساء العالمين؟

ينبغي الأنصاف حين نكتب، والزهراء (عليها السلام) بقيت بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) أشهراً قليلة جداً، وهي مدّة غير كافية لكي تتحدّث بما سمعته من أبيها، هذا مع الأمر الصادر من الخلفاء بمنع التحدّث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد روى أبنائها عنها الكثير مما جرى خلال فترة حياتها بعد أبيها، وبالرغم من ذلك ورد عنها من الأحاديث الشيء المهم، ولقد راجعنا الكافي ووجدنا لها (عليهم السلام) أحاديث عديدة، وقد وجدنا على وجه السرعة روايات عديدة^١.

فقول هذا المشتبه «ليس لها ولا حديث واحد في كلّ الكافي» هو مجرد افتراء. ثم إنّه من الخطأ ذكر كم روت الزهراء (سلام الله عليها) من خلال مسند أحمد ومقارنته بما روي لها في الكافي فقط. فلا بدّ هنا لأنصاف البحث من ذكر كلّ ما روي عنها في

مصادر الإمامية، ثم هل رواية سبع روايات عنها (سلام الله عليها) يبرء ذمة الجمهور من المسألة عن عدم اتباعها وعن عدم الرواية عنها؟! أضف لهذا أنه لم يصحّ من أحاديثها سوى حديثين!!

ولكن لماذا لم يذكر صاحب الشبهة عائشة ولما لا يُقارن أحاديث الزهراء بأحاديثها؟! لقد رووا للزهراء (سلام الله عليها) سبعة أحاديث في حين روي لعائشة «٥٦٣٦» من الروايات^٢!! فإن لم يكن هذا هو الظلم والجفاء فما هو الظلم والجفاء إذن؟!!

فهل يجوز مقارنة سبعة أحاديث روتها الزهراء (سلام الله عليها) بخمسة آلاف وستمائة وستة وثلاثين حديثاً روتها عائشة؟! وعلى الرأي المشهور أنها روت «٢٢١٠» من الأحاديث، يبقى الفارق كبير جداً بين أحاديثها وأحاديث الزهراء (سلام الله عليها).

أما الإمامية فهم لو لم يرووا إلا خطبتها العظيمة (سلام الله عليها) لكفى، ففيها من المعارف والعلوم ما يُعادل رواية مئات الأحاديث، وللوقوف على أحاديثها من طرق أهل البيت (عليهم السلام) يمكن مراجعة مسند فاطمة (سلام الله عليها)، وهو يقع في مجلد ضخّم، تأليف عزيز الله عطاردي.

قال: رابعاً أحاديث الحسن (عليه السلام): أمّا مروياته في كتب اهل السنّة فبلغت خمساً وثلاثين حديثاً، فأحاديث الحسن في مسند الامام احمد وحده قد بلغت ثمانية عشر حديثاً... .

لعلّ هذا الكاتب يذكر عدد الأحاديث مكررة، وإلا فابن حزم ذكر للإمام الحسن (عليه السلام) ثلاثة عشر حديثاً.^٣

١. كما في مسند فاطمة الزهراء، للسيوطي، تحقيق: أحمد زمزلي.

٢. وهذا الرقم حسب دراسة جديدة قام بها الدكتور عبد المنعم الحفني، يقول في مقدمة (موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر): (وتضمن الموسوعة نحو ٥٦٣٦ جميعها لأم المؤمنين عائشة أو عنها... حتى أنّ أحاديثها أكثر عدداً من أحاديث كلّ من أبي هريرة وأنس...).

٣. أسماء الصحابة الرواة، ص ١٤٣.

وأين هذا المقدار ممّا رواه أبو هريرة وابن عمر وعائشة؟! فقد روى الأول (٥٣٧٤ حديثاً) وروى ابن عمر (٢٦٣٠ حديثاً)^١، ثم هل أوصانا النبي بحديث الثقلين باتّباع أبي هريرة وابن عمر أم باتّباع الحسن (عليه السلام)؟! لماذا لم يرووا عن الامام الحسن (عليه السلام) إلا هذا العدد القليل بالرغم من طول المدة التي عاشها؟! إنّ لدى الإمامية الكثير من الأحاديث عن الإمام الحسن (عليه السلام) وليس كما يدّعي الكاتب، فمسند الإمام المجتبي، لمؤلفه عزيز الله العطاردي يقع في ثمانمائة صفحة، وهو مليء بالروايات عن الإمام (عليه السلام).

قال: خامساً أما الحسين رضي الله عنه فله حديثان عن أبيه علي (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في كتاب الجمعة برقم (١١٢٧) وكتاب فرض الخمس برقم (٣٠٩١) من صحيح البخاري ومثله في صحيح مسلم، أي أربعة بينما في الكافي رواية واحدة، فهل يصحّ بعد هذا أن نقول إنّ صاحب الكافي وهو أصحّ كتاب عند الشيعة قد جفا سيداً شباب أهل الجنة؟

إنّه لأمر مدهش أن يُروى عن الحسين (عليه السلام) حديثان، وبالرغم من هذا فكاتب الشبهة مسرور لأنّه روى عن الحسين (عليه السلام) حديثين! ثمّ إنّه ينبغي مقارنة «عدد ما روي أي أربعة أحاديث!» بما روي عن الإمامين (عليه السلام) في كلّ كتب الإمامية، وينبغي حساب أحاديث بقية الأئمة وكأنّ الحسن (عليه السلام) راويها عن علي عن النبي، فهو الذي أوصلها لهم، وفق المبني الإمامي ولا ينبغي الحوار بغير هذا، وبهذا يتّضح الردّ على كلامه، فالحسن روى ثلاثة عشر حديثاً عند القوم، أمّا عند الشيعة فروى آلاف الأحاديث.

الامام الحسين (عليه السلام): روى ثمانية أحاديث عندهم^٢، أمّا عند الشيعة فروى آلاف الأحاديث. وقد راجعنا الكافي ووجدنا للحسين (عليه السلام) أكثر من رواية، فزعمه أنّ له رواية

١. أسماء الصحابة الرواة، صص ٣٧ و٣٨.

٢. المصدر نفسه، ص ١٧٠.

واحدة في الكافي غير صحيح.

قال: «نأت الآن إلى الإمام محمد الباقر (رحمة الله عليه) ذاك الإمام الكبير الفذّ المحدث الكبير. فروايته في الكتب التسعة مائتان و أربعون رواية، وتعالوا معي نقارن بين مرويات محمد الباقر (رحمة الله و رضى عنه) وبين روايات من؟! روايات أفضل رجل بعد الأنبياء والرسل عند أهل السنة إنها مرويات أبي بكر...».

ما زال الكاتب هنا يقع في مغالطاته، فلا ينبغي مقارنة روايات الامام الباقر (عليه السلام) مع روايات أبي بكر، فأبو بكر منع الرواية عن النبي وأحرق السنن وعاش قرابة سنتين بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والمقارنة ينبغي أن تكون مع رواة عاصروا الإمام الباقر (عليه السلام)، والغريب أن الرجل قفز وتناسى الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، وذلك لأنه يعلم قلة ما روي عن الإمام (عليه السلام) في تراثه الحديثي، فمثلاً لو قارنا عدد ما رواه الإمام زين العابدين بما رواه عروة بن الزبير لرأينا الفرق كبيراً جداً، فالبخاري روى للإمام زين العابدين ثمانية أحاديث بينما روى لعروة ستمائة واثنى عشر حديثاً!!

ومسلم روى للإمام ستة أحاديث بينما روى لعروة ثلاثمائة وتسعة وسبعين حديثاً!! وروى أحمد في مسنده ثلاثة عشر حديثاً عن الإمام، بينما روى لعروة أكثر من تسعمائة وخمسين حديثاً!! وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أرجعنا إلى عروة بن الزبير، وليس إلى عترته! في حين نجد كتاباً كاملاً بعنوان «الصحيفة السجادية» يقع في ثمانمائة وست وستين صفحة يحوي كلام الإمام السجاد (عليه السلام) من أدعية ومناجاة وغيرها، وهو مروى من طرق الإمامية! ورسالة الحقوق المروية عنه هي من أعظم وأقدم المؤلفات في مجال الحقوق. أضف لهذا دعاء أبي حمزة الثمالي المروى عن الإمام (عليه السلام) وهو

١. فراجع مسند الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين (عليه السلام)، ويقع في ثلاثة أجزاء كبيرة، تأليف: عزيز الله العطاردي، كله منقول من تراث أهل البيت (عليهم السلام).

يحوي عرفانية خاصة قلّ نظيرها حيث يغبط الناس الإمامية عليه!

وإذا رجعنا للإمام الباقر (عليه السلام) فينبغي مقارنة رواياته بما رواه أحد معاصريه، وليكن مثلاً عامر الشعبي، فعلى افتراض صحّة ما قاله من أنّ أصحاب الكتب التسعة قد رووا عن الإمام الباقر (عليه السلام) مائتين وأربعين رواية، نراهم يروون عن عامر الشعبي - ولا علاقة له بعتره النبي من قريب ولا من بعيد - له في الكتب التسعة ألف ومائة وأربعين رواية! أي قرابة خمسة أضعاف ما رووا للباقر (عليه السلام)! ولكنّ الإمامية هم الذين تمسّكوا بالعتره ورووا الكثير عن الامام الباقر (عليه السلام)، فمسندته - (عليه السلام) لعزيز الله العطاردي يقع في خمسة أجزاء كبيرة ويضمّ أكثر من ثلاثة آلاف رواية عنه (عليه السلام).

قال: «نأت الآن إلى مرويات ذلك الإمام الفذّ جعفر الصادق (رحمة الله ورضى عنه)، فهي في الكتب التسعة مائة وثلاث وأربعين رواية... وقد أخرج أصحاب الكتب الستة المعتمدة عند أهل السنة، مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، للإمام جعفر الصادق عدا البخاري، فقد أخرج له حديثان في الأدب المفرد».

هذا الإمام الذي ملأ علمه الشرق والغرب رووا له مائة وثلاث وأربعين رواية! فكم رووا للزهري وهو من معاصري الإمام؟! حين نرجع للكتب التسعة نجد أنّهم رووا عن الزهري أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة رواية!!

١. وكذا روى أصحاب الكتب التسعة لنافع وهو مولى لابن عمر - أسر في الحرب بين المسلمين والفرس - أكثر من ألف وثمانمائة وسبعين حديثاً في حين يروون لسيد العتره في زمانه عشرات الأحاديث، حيث لا تتجاوز الخمسين رواية! لقد كتب الزهري السيرة النبوية تحت إشراف أزلام من بني أمية، روى أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني، ج ٢٢، صص ٢١ و ٢٢، نقلاً عن المؤرخ المدائني، أنّه قال: «وأخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال: قال لي خالد بن عبد الله القسري: ... واكتب لي السيرة، فقلت له: فإنّه يمرّ بي الشيء من سير علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) فأذكره؟ فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم أما خالد القسري هذا الذي عمل الزهري له، فكان زنديقاً. صعد خالد القسري المنبر فقال إلى كم يغلب باطننا حقكم؟! أما أنّ لربكم أن يغضب لكم؟! وكان زنديقاً أمه نصرانية فكان يولّي النصارى والمجوس على المسلمين ويأمرهم بامتهانهم وضربهم وكان أهل الذمّة يشترتون الجوارى المسلمات ويطنونهن فيطلق لهم ذلك ولا يغير عليهم. وقال المدائني كان خالد يقول: لو أمرني أمير المؤمنين نقضت الكعبة حجراً حجراً ونقلتها إلى الشام».

أي أكثر من ثمانية عشر ضعف ما رووا عن الامام الصادق (عليه السلام)! وهذا يثبت أنهم تركوا سيد العترة في زمنه وأخذوا عن الزهري الأموي!

في حين روى الإمامية للصادق (عليه السلام) آلاف الأحاديث، ويكفي أن نرجع لمسند الإمام الصادق (عليه السلام) للعطاردي، إذ يقع في اثنين وعشرين مجلداً من الحجم الكبيره، وكله مأخوذ من تراث أهل البيت (عليهم السلام)! أما موسوعة الإمام الصادق لمحمد كاظم القزويني، فتقع في أكثر من ثمانية وعشرين جزءاً وتضم أكثر من تسعة عشر ألف حديث عن الامام الصادق (عليه السلام).

قال: «ولممتطع أن يقول لماذا لم يخرج البخاري لجعفر الصادق في صحيحه؟ فنقول: ولماذا لم يخرج البخاري لأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل والإمام مسلم وغيرهم من الكبار، هل هو تنقص لهم أم هي شروط أراد تطبيقها في صحيحه؟!...»

يريد صاحب الشبهة أن يقول إن الشروط التي جعلها البخاري لم تتحقق في روايته عن الامام الصادق (عليه السلام)، ولا أدري هل دخل إلى قلب البخاري حتى يعرف هذا الأمر؟! أم عثر على نصّ للبخاري يبين فيه هذه المسألة؟! أما عدم رواية البخاري عن أبي حنيفة مثلاً، فلأنّ أبا حنيفة لم يكن مهتماً بالحديث وروايته على رأي الكثيرين، إضافة للعداء الذي كنهه البخاري لأبي حنيفة.

ثم كيف تحققت تلك الشروط فروى البخاري للنواصب والخوارج في صحيحه وترك أعلم الناس في زمانه؟! لقد أبان ابن تيمية عن السبب في عدم رواية البخاري عن الامام الصادق (عليه السلام)، إذ قال: «فهؤلاء الأربعة، ليس منهم من أخذ عنه - يعني

١. قال الزهري كما في سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٣١: وتوفي عبد الملك، فلزمت ابنه الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد فاستقضى يزيد بن عبد الملك على قضائه الزهري، وسليمان بن حبيب المحاربي جميعاً. قال: ثم لزمت هشام بن عبد الملك وصير هشام الزهري مع أولاده، يعلمهم ويحجّ معهم، وعن مكحول، وذكر الزهري فقال: أي رجل هو لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك؟! قلت - أي الذهبي - بعض من لا يعتد به لم يأخذ عن الزهري لكونه كان مدخلاً للخلفاء سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٣٣.

الصادق عليه السلام - من قواعد الفقه، لكن رووا عنه الأحاديث، كما رووا عن غيره، وأحاديث غيره أضعاف أحاديثه، وليس بين حديث الزهري وحديثه نسبة لا في القوة ولا في الكثرة، وقد استراب البخاري في بعض أحاديثه لما بلغه عن يحيى بن سعيد فيه كلام، فلم يخرج له، ويمتنع أن يكون حفظه للحديث كحفظ من يحتج بهم البخاري»^١.
 يُقال هذا للصادق (عليه السلام)؟! إذن كيف يزعم هؤلاء أنهم رووا عن أهل البيت وأنهم هم المتمسكون بهم؟! وكلام يحيى بن سعيد الذي استراب البخاري لأجله في الامام الصادق (عليه السلام) هو ما ذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٨٨ سئل يحيى بن سعيد القطان عن جعفر الصادق فقال: في نفسى منه شئ ومجالد أحب إليّ منه، حيث ويحيى نفسه يتهم مجالد بأنه يكذب!

وتوقف صاحب الشبهة عند الامام الصادق (عليه السلام) ولم يكمل خوف الفضيحة لندرة روايتهم عن بقية الأئمة (عليهم السلام).

وتبقى الرواية عن أهل البيت (عليهم السلام) والعمل بها محصورة باتباعهم من الامامية، ورواياتهم (عليهم السلام) مبثوثة في الكتب المختلفة، حتى قام أحد العلماء وجمع أحاديثهم في مسانيد خاصة بهم - قد تصل إلى ثلاثين جزءاً - فبالإضافة لما ذكرنا سابقاً فهناك:

- مسند الإمام الكاظم (عليه السلام) في ثلاثة أجزاء كبيرة، عزيز الله العطاردي.
 - مسند الإمام الرضا (عليه السلام) وفيه ألف ومائتان وثلاثة وأربعين حديثاً، عزيز الله العطاردي.

- مسند الإمام الجواد (عليه السلام)، وفيه خمسمائة واثنان عشر حديثاً، عزيز الله العطاردي.

- مسند الإمام الهادي (عليه السلام) وفيه خمسمائة وحديثان، عزيز الله العطاردي.

- مسند الإمام العسكري (عليه السلام)، وفيه خمسمائة وأربعة وثلاثون حديثاً، عزيز الله العطاردي.^١

وهناك كلام آخر لكاتب الشبهة أعرضا عنه لضعفه، وفيما قدّمنا كفاية لكل عاقل منصف.

إنّ منهج عداء أهل البيت (عليهم السلام) امتدّ ليشمل جميع الأئمة من القرون الأولى حتى وصل إلى عهد ابن تيمية فأبان عنه بكلّ وضوح في كتاباته، فمن المتقدمين يقول ابن حزم عن الأئمة (عليهم السلام) وبكل جرأة: «وأما من بعد جعفر بن محمد فما عرفنا لهم علماً أصلاً، لا من رواية ولا من فتيا على قرب عهدهم منّا، ولو كان عندهم من ذلك شيء لعرف كما عرف عن محمد بن علي وابنه جعفر وعن غيره منهم ممن حدث الناس عنه».^٢

إنّ كلام ابن حزم هذا لا يحتاج إلى نقاش، فهو رجل متعصب قد عاش في الأندلس بعيداً عن المدينة المنورة والعراق، وقد خفيت عليه أمور عديدة لبعده ذلك.

قال المعلمي أحد أعلام السلفيين: «... وَكَانَ بَنُو فَاطِمَةَ فِي عَصْرِ تَأْسِيسِ الْمَذَاهِبِ مُضْطَهَدِينَ مُرَوِّعِينَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يَتَّصِلُ بِهِمْ إِلَّا وَهُوَ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمْ يَتِمَّ كُنُوزُهَا مِنْ نَشْرِ عِلْمِهِمْ كَمَا يَنْبَغِي».^٣

وفي كلام المعلمي جواب لابن حزم ولكلّ من يذهب مذهبه.

لقد جعل العقيلي الإمام موسى بن جعفر في كتابه مع الضعفاء!^٤

وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة، قال الألباني: «موسى بن جعفر حديثه غير محفوظ،

١. وهناك موسوعة الإمام الرضا (عليه السلام) في ثمانية أجزاء كبيرة، محمد الحسيني القزويني، صدرت عن مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية؛ وهناك موسوعة الإمام الجواد (عليه السلام)، في جزئين كبيرين، تأليف اللجنة العلمية في مؤسسة ولي عصر؛ وهناك موسوعة الإمام العسكري في خمسة أجزاء صدرت عن مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية.

٢. الفصل في الملل والنحل، ج ٤، ص ١٧٥.

٣. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، ج ٢، ص ٦٣١.

٤. ج ٤، ص ١٥٦.

ولا يتابع عليه إلا من جهة تقاربه»^١.

وقال ابن القيسراني في تذكرة الحفاظ أطراف أحاديث كتاب المجروحين لابن حبان.^٢
بعد أن ذكر حديثاً: «رواه علي بن موسى الرضا عن آبائه، وكان يأتي عنهم بالعجائب»
وهذا اتّهام صريح للرضا (عليه السلام) في الرواية عن آبائه.

وقال ابن حبان معرّضاً بالإمام الجواد (عليه السلام): علي بن موسى الرضا وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن من سادات أهل البيت وعقلانهم وجملة الهاشميين ونبلائهم، يجب أن يعتبر حديثه إذا روي عنه غير أولاده وشيعته، وأبي الصلت خاصّة فإنّ الأخبار التي رويت عنه وتبين بواطيل، إنّما الذنب فيها لأبي الصلت ولأولاده وشيعته.^٣

قال ابن تيمية: الثالث أن يقال: القول بالرأي والاجتهاد والقياس والاستحسان خير من الأخذ بما ينقله من يعرف بكثرة الكذب عنمن يصيب ويخطئ نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم، ولا يشكّ عاقل أنّ رجوع مثل مالك وابن أبي ذئب وابن الماجشون والليث بن سعد والأوزاعي والثوري وابن أبي ليلى وشريك وأبي حنيفة... والبخاري وعثمان بن سعيد الدارمي وأبي بكر بن خزيمة ومحمد بن جرير الطبري ومحمد بن نصر المروزي وغير هؤلاء، إلى اجتهادهم واعتبارهم مثل أن يعلموا سنة النبي (صلى الله عليه وسلم) الثابتة عنه ويجتهدوا في تحقيق مناط الأحكام وتنقيحها وتخريجها خير لهم من أن يتمسكوا بنقل الروافض عن العسكريين وأمثالهما، فإنّ الواحد من هؤلاء لأعلم بدين الله ورسوله من العسكريين أنفسهم؛ فلو أفتاه أحدهما بفتيا كان رجوعه إلى اجتهاده أولى من رجوعه إلى فتيا أحدهما، بل ذلك هو الواجب عليه فكيف إذا كان ذلك نقلاً عنهما من مثل الرافضة

١. ج ٥، ص ٢٩٦.

٢. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ج ١، ص ٢٤.

٣. الثقات، ج ٨، ص ٤٥٦.

والواجب على مثل العسكريين وأمثالهما أن يتعلموا من الواحد من هؤلاء!!^١

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ وهنيئاً لابن تيمية اختيار هؤلاء بدلا من العسكريين (عليهما السلام)!

وللأسف فقد طعن البعض بالعسكري (عليه السلام)، فبعد أن أورد السيوطي رواية عن الحسن العسكري (عليه السلام) في فضل الزهراء (سلام الله عليها) قال: «موضوع، الحسن العسكري ليس بشيء»^٢.

تتملك المرء الحيرة والعجب وهو يقرأ كلام هؤلاء في أئمة العترة، أما ابن تيمية فمنهاجه مليء بالطعن والتعريض بهم^٣ حتى اتهمه ابن حجر العسقلاني وغيره بالنصب^٤. ويبقى الاشكال قائماً في قلّة رواية الجمهور عن عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدم الرجوع لهم لأخذ معالم الدين عنهم وروايتهم عن النواصب والخوارج كحريز بن عثمان^٥ وعمران بن حطان وعمر بن سعد قاتل الحسين (عليه السلام)، وهؤلاء ينطبق عليهم وصف النفاق، كما هو مضمون الحديث الصحيح^٦.

١. منهاج السنة، ج ٧، ص ٤٧٢.

٢. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٣٦١، وكذا ورد في كتاب الموضوعات لابن الجوزي، وهو اتهام منهما للامام بوضع الحديث - والعياذ بالله.

٣. يقول ابن تيمية في منهاجه، ج ٧، ص ١٤٧: «وقد علم قَدْحُ كثيرٍ من الصحابة في عليٍّ» وقال في (منهاج السنة النبوية، ج ٧، صص ١٣٧ و ١٣٨): (... لَا سِيَّمَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؛ فَإِنَّ عَامَّةَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ كَانُوا يَوَدُّونَهُمَا، وَكَانُوا خَيْرَ الْقُرُونِ. وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ عَلِيٍّ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ كَانُوا يُبْغِضُونَهُ وَيَسْتَبُونَهُ وَيَقَاتِلُونَهُ!!).

٤. وقال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان، ج ٦، صص ٣٩٠ و ٣٩١: ردّاً على ابن تيمية عندما تعرّض للعلامة الحلبي: ...وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي [أدّته]، أحياناً، إلى تنقيص علي رضي الله عنه !!

٥. قال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، ج ١٣، ص ٣٠: «حريز بن عثمان: هو الرّحبي الحمصي، وهو ثقة من رجال البخاري؛ ولكنه كان يُبغضُ علياً أبغضه الله!

٦. في صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب، وفيه: «إنّه لعهد النبي الأمي إليّ أنّه لا يحبّني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»، فراجع ترجمة المذكورين وغيرهم في كتب الرجال لترى توثيق العلماء لهم بالرغم من انطباق صفة النفاق عليهم ﴿وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لَكَادِبُوْنَ﴾؛ (المنافقون: الآية ١).

إلى هنا تم القسم الأول من بحثنا «قراءة في الأدلة السلفية – المجموعة الأولى، النصوص الحديثية» وستبعه عمّا قريب بالقسم الثاني الذي يشمل النصوص القرآنية، والحمد لله رب العالمين.

المصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- إجابة السائل شرح بغية الآمل، الأمير الصنعاني محمد بن إسماعيل (١١٨٢ هـ) تحقيق ومراجعة: القاضي حسين بن أحمد السياغي و الدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦ م.
- ٣- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم أبو محمد على بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ) مطبعة العاصمة القاهرة.
- ٤- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت ٩٢٣ هـ) ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ١٣٢٣ هـ.
- ٥- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني محمد بن على بن محمد (ت ١٢٥٥ هـ) الطبعة الأولى، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٦ هـ.
- ٦- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني محمد ناصر الدين، بإشراف زهير الشاويش، ط٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م المكتب الاسلامي - بيروت.
- ٧- الاستذكار، ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمري القرطبي (٤٦٣ هـ) تحقيق سالم محمد عطا ومحمد على معوض، ط١، ٢٠٠٠ م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٨- الاستيعاب، ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمري القرطبي (٤٦٣ هـ)، تحقيق على محمد الجاوي،

ط١، ١٤١٢هـ، دار الجيل، بيروت - لبنان.

- ٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، انتشارات اسماعيليان طهران - ناصر خسرو.
- ١٠- أسماء الصحابة الرواة، ابن حزم أبو محمد الأندلسي (٤٥٦هـ) تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، ١٤١٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.
- ١٢- أصول الإيمان، محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) مكتب التراث.
- ١٣- الاعتصام، الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، (٧٩٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. مصر - المكتبة التجارية الكبرى.
- ١٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (٧٥١هـ)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١١هـ.
- ١٥- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ) دار إحياء التراث العربي.
- ١٦- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية الحراني تقي الدين أحمد (٧٢٨هـ) دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ١٧- إكمال الكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، الأمير الحافظ ابن ماكولا، دار الكتاب الاسلامي الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
- ١٨- الإمام الصادق، محمد أبو زهرة.
- ١٩- أنساب الأشراف، البلاذري أحمد بن يحيى، تحقيق الدكتور محمد حميد الله، مطابع دارالمعارف بمصر، ١٩٥٩م.

- ٢٠- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي محمد باقر (١١١١هـ)، ط ٢ المصححة، مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٢١- البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ) حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه على شيري، ط ١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.
- ٢٢- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، على بن محمد بن العباس (المتوفى نحو ٤٠٠ هـ)، ط ١، ١٤٠٨ هـ، دار صادر - بيروت.
- ٢٣- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٢٤- تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري) أبو جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي (ت ٣١٠ هـ)، ط ٤، ١٤٠٣ هـ، مؤسسة الأعلمي.
- ٢٥- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣)، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ط ١، ١٤١٧ هـ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- ٢٦- التاريخ الكبير، البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (٢٥٦ هـ) المكتبة الإسلامية - ديار بكر - تركيا.
- ٢٧- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي (ت ٥٧١ هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، سنة الطبع، ١٤١٥ هـ.
- ٢٨- تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي (٢٨٤ هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان.
- ٢٩- تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٣٠- تحفة الأحوذى، المباركفوري، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٠ هـ.

- ٣١- التحف في مذاهب السلف، الشوكاني اليمني الصنعاني محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٥هـ) مطبعة المدني، توزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ٣٢- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت ٩١١هـ) حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفارياي، الناشر دار طيبة.
- ٣٣- تذكرة الحفاظ، الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ) دار إحياء التراث العربي.
- ٣٤- تراجمات الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، (١٤٢٠هـ) تأليف أبي الحسن الشيخ، تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، دار المعارف - الرياض.
- ٣٥- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، ابن حجر العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت .
- ٣٦- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم) ابن أبي حاتم الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان .
- ٣٧- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٣٨- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٣٩- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (٨٥٢هـ) دار المعرفة، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان، ١٣٩٠هـ.
- ٤٠- تقريب المعارف، أبو الصلاح الحلبي تقي بن نجم، (٤٤٧هـ) تحقيق فارس الحسون، طبع سنة ١٤١٧هـ .
- ٤١- التمهيد، ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمري القرطبي (٤٦٣هـ) تحقيق، مصطفى بن أحمد

العلوي، محمد عبد الكبير البكري، سنة الطبع ١٣٨٧هـ، المغرب، وزارة عموم الأوقاف.

٤٢- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، المعلمي عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد العتمي اليماني (ت ١٣٨٦هـ)، تخريجات وتعليقات محمد ناصر الدين الألباني - زهير الشاويش - عبدالرزاق حمزة، ط ٢، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٤٣- تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الشافعي (ت ٩١١ هـ)، ضبطه وصححه الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٤- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، ط ١، دار الفكر، ١٤٠٤ هـ.

٤٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢ هـ)، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، حققه وضبطه نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، ط ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٤٦- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، الأمير الصنعاني محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني، الكحلاني أبو إبراهيم عز الدين (ت ١١٨٢هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط ١، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤١٧ هـ - / ١٩٩٧ م.

٤٧- تيسير الكريم العلي في وصف حوض النبي، وحيد عبد السلام بالي .

٤٨- الثقات، ابن حبان محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ)، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند.

٤٩- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمري القرطبي (٤٦٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٨ هـ.

٥٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) أبو جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن

كثير بن غالب الأملي (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٥١- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١ هـ)، دار احياء التراث العربي بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٥٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط١، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان.

٥٣- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١ هـ)، ط١، ١٤٠١ هـ، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٥٤- جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، الطبعة السادسة، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤١٧ هـ.

٥٥- الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، عبد الكريم بن عبدالله الخضير.

٥٦- حوار مع الشيخ الألباني في مناقشة لحديث العرياض بن سارية، حسان عبد المنان، ط٢، ١٤١٦ هـ، مكتبة المنهج العلمي، بيروت - لبنان.

٥٧- حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد بن إبراهيم الشيباني، الدار السلفية.

٥٨- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٦، ١٤١٧ هـ.

٥٩- دلائل الصدق لنهج الحق، محمد حسن المظفر (ت ١٣٧٥ هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث.

٦٠- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ)، وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

- ٦١- الديباج على صحيح مسلم، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) حقق أصله وعلق عليه أبو إسحاق الحويني الأثري، ط١، دار ابن عفان، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.
- ٦٢- الردة ونبذة من فتوح العراق، سيف بن عمر التميمي، اعتني بتهديبه محمد حميد الله.
- ٦٣- رسالة في الرد على الرافضة، محمد بن عبد الوهاب (١٢١١ هـ).
- ٦٤- زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت ٧٥١ هـ) الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٥ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٦٥- الزهرة العطرة في حديث العترة، أبو المنذر سامي المصري.
- ٦٦- سبل السلام، الأمير الصنعاني محمد بن إسماعيل الكحلاني (١١٨٢ هـ)، الطبعة الرابعة ١٣٧٩ هـ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٦٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني محمد ناصر الدين (١٤٢٠ هـ) ط١، مكتبة المعارف - الرياض.
- ٦٨- سلسلة الأحاديث الضعيفة، الألباني محمد ناصر الدين.
- ٦٩- السنة، ابن أبي عاصم أبي بكر عمرو الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧ هـ) تخريج، محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٧٠- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥ هـ) تحقيق وتعليق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
- ٧١- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ).
- ٧٢- سنن الترمذي، الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩ هـ) حققه وصححه، عبد الوهاب عبد اللطيف. دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ.
- ٧٣- سنن الدارمي، الدارمي ابو محمد عبدالله بن الرحمن بن الفضل بن بهرام (٢٥٥ هـ) مطبعة

الاعتدال - دمشق، ١٣٤٩هـ.

٧٤- السنن الكبرى، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (٤٥٨هـ) دار الفكر.

٧٥- سنن النسائي، النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٣٠٣هـ) دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٣٤٨هـ.

٧٦- سير أعلام النبلاء، الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) ١٣٧٤م، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، ط ٩، ١٤١٣هـ مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٧٧- سيرة ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار (١٥١هـ) تحقيق الدكتور سهيل زكار.

٧٨- السيرة النبوية، ابن هشام الحميري (٢١٨هـ) تحقيق وضبط محيي الدين عبدالحميد، سنة الطبع ١٣٨٣هـ.

٧٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي أبو قاسم الطبري، خرج أحاديثه أحمد سعد حمدان.

٨٠- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني محمد بن عبد الباقي بن يوسف المصري الأزهرى، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٨١- شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، ط ١، دارالوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٨٢- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، الطبعة التاسعة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

٨٣- شرح العقيدة الطحاوية، سفر الحوالي.

٨٤- شرح العقيدة الواسطية، عبدالله بن محمد الغنيمان.

٨٥- شرح معاني الآثار، الطحاوي أبي جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلامة

- الأزدي الحجري المصري الحنفي (ت ٣٢١ هـ)، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ، دارالكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٨٦- الصارم المنكي في الرد على السبكي، ابن عبد الهادي شمس الدين محمد بن أحمد الحنبلي (ت ٧٤٤ هـ)، تحقيق عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني قدم له فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، ط١، مؤسسة الريان، بيروت - لبنان. ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ٨٧- صحيح البخاري، البخاري أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي (ت ٢٥٦ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١ هـ.
- ٨٨- صحيح شرح العقيدة الطحاوية، حسن بن علي السقاف القرشي الهاشمي (معاصر) دار الإمام الرواس، بيروت - لبنان.
- ٨٩- صحيح صفة صلاة النبي، حسن بن علي السقاف، دار الإمام النووي، عمان - الأردن.
- ٩٠- صحيح مسلم بشرح النووي، محيي الدين النووي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، سنة الطبع، ١٤٠٧ هـ.
- ٩١- الصوارم المهركة في جواب الصواعق المحرقة، الشهيد نور الله التستري (ت ١٠١٩ هـ). طهران، مطبعة نهضت.
- ٩٢- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيتمي أحمد المكي (٩٧٤ هـ)، خرج أحاديثه وعلق حواشيه وقدم له عبدالوهاب عبداللطيف، ط٢، الناشر مكتبة القاهرة لصاحبها على يوسف سليمان شارع الصناديق، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- ٩٣- صيد الخاطر في التخلي من الأمراض النفسية والتخلي بالآداب الشرعية والأخلاق المرضية، ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ)، ط١، دار القلم - دمشق، ١٤٢٥ هـ.
- ٩٤- الضعفاء الكبير، العقبلي أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي، حققه ووثقه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- ٩٥- الضعفاء والمتروكين، ابن الجوزي الحنبلي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي (ت ٥٩٧ هـ).
- ٩٦- الضعفاء والمتروكين، الدارقطني علي بن عمر (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق صبحي البدري السامرائي.
- ٩٧- ضعيف سنن الترمذي، الألباني محمد ناصر، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م.
- ٩٨- طبقات الحفاظ، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١ هـ).
- ٩٩- الطبقات الكبرى، ابن سعد محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري (٢٣٠ هـ) دار صادر، بيروت - لبنان.
- ١٠٠- عقائد أئمة السلف، اعتني به فواز احمد زمرلي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- ١٠١- العقد الفريد المؤلف، ابن عبد ربّه الأندلسي: أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربّه ابن حبيب بن حدير بن سالم (ت ٣٢٨ هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- ١٠٢- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، الصابوني .
- ١٠٣- العقيدة السلفية في كلام ربّ البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية، عبد الله بن يوسف الجديع، الطبعة الثانية، دار الإمام مالك - دار الصميعي، الرياض، ١٩٩٥ م.
- ١٠٤- العقيدة الصحيحة ونواقض الإسلام، عبدالعزيز بن عبد الله بن باز.
- ١٠٥- عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، صالح بن عبد الله العبود، عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية، ط ٢، المدينة المنورة - السعودية، ١٤٢٤ هـ.
- ١٠٦- علل الترمذي، الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩ هـ)، ط ٢، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ.
- ١٠٧- العلل، المدني علي بن عبد الله بن جعفر السعدي (ت ٢٣٤)، تحقيق ومراجعة محمد مصطفى الأعظمي، ط ٢، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت، سنة الطبع، ١٩٨٠ م.

- ١٠٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى ابن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي (ت ٨٥٥هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١٠٩- عيون أخبار الرضا، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ١١٠- الغيلانيات، أبو بكر الشافعي، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٧ هـ.
- ١١١- فتاوى ابن باز، ابن باز.
- ١١٢- الفتاوى الكبرى، تقي الدين ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق وتعليق وتقديم محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١١٣- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، أحمد عبدالرزاق الدويش، الرياض - السعودية.
- ١١٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني شهاب الدين، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- ١١٥- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين دمشقي البغدادي، (٧٩٥هـ).
- ١١٦- فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي، الغماري أحمد بن محمد بن الصديق الحسن بن المغربي (ت ١٣٨٠)، حققه وعلق حواشيه وصحح أسانيده محمد هادي الأميني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) العامة أصفهان - إيران.
- ١١٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري أبو محمد علي بن أحمد (٤٥٦هـ)، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٣١٧ هـ.
- ١١٨- فقه الآل بين دعوى الإهمال وتهمة الانتحال، الشيخ أمين بن صالح هيران الحذاء، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع.

- ١١٩- الفقيه و المتفقه، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣ هـ)، المحقق أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الطبعة الثانية، دار ابن الجوزي - السعودية، ١٤٢١ هـ.
- ١٢٠- فهرست أسماء مصنفى الشيعة المشتهر برجال النجاشي، النجاشي أبو العباس أحمد بن علي ابن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي (٤٥٠ هـ)، ط ٥، ١٤١٦ هـ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة إيران.
- ١٢١- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، المناوي محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١ هـ)، ضبطه وصححه احمد عبدالسلام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ١٢٢- الكافي، الكليني أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩ هـ)، صححه وعلق عليه على أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران .
- ١٢٣- الكامل في التاريخ، ابن الأثير عزالدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (٦٣٠ هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، ١٣٨٥ هـ .
- ١٢٤- الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدى الجرجاني أبو أحمد عبدالله (ت ٣٦٥ هـ)، ط ٢، قرأها ودققها على المخطوطات يحيى مختار غزاوي خريج جامعة أم القرى، دار الفكر.
- ١٢٥- كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي (٥٩٧ هـ)، ط ١، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٨ هـ.
- ١٢٦- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، صححه وعلق عليه على أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر الاسلامي (التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة - إيران).
- ١٢٧- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي علاء الدين علي بن حسام الدين البرهان

فوري (ت ٩٧٥ هـ)، ضبطه وفسر غريبه وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ بكرى حيانى، الشيخ صفوة السفا، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

١٢٨- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية، السيوطي جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر (٩١١ هـ).

١٢٩- لسان العرب، ابن منظور الأفرقي المصري أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، نشر ادب الحوزة، قم - إيران، ١٤٠٥ هـ.

١٣٠- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني أحمد بن على (ت ٨٥٢ هـ)، بإشراف، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان.

١٣١- ما أنا عليه وأصحابي، احمد سلام، الطبعة الثانية، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤١٦ هـ.

١٣٢- مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦ هـ).

١٣٣- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان بن أحمد أبى حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد.

١٣٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى (ت ٨٠٧ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان .

١٣٥- مجموعة الرسائل والمسائل، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (٧٢٨ هـ) خرج أحاديثه، محمد رشيد رضا.

١٣٦- مجموع فتاوى ابن باز، ابن باز.

١٣٧- مجموعة الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (٧٢٨ هـ)، تخريج الأحاديث، عامر الجزائر- أنور البار، ط١، وطبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، الرياض - دار الوفاء، ١٩٩٧ م.

١٣٨- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، الرامهرمزي (ت حدود ٣٦٠ هـ)، تحقيق عجاج الخطيب.

- ١٣٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)، دار الهجرة، قم، إيران، ط ٢، ١٤٠٨هـ.
- ١٤٠- المستدرک علی الصحیحین، الحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٤١- مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن جارود الفارسي البصري، (٢٠٤هـ) دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٤٢- مسند أبي يعلي، أبو يعلي الموصلي (٣٠٧هـ) تحقيق دار المأمون للتراث.
- ١٤٣- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان.
- ١٤٤- مسند الإمام الباقر (عليه السلام) لعزير الله العطاردي.
- ١٤٥- مسند الأمام الصادق (عليه السلام) لعزير الله العطاردي.
- ١٤٦- مسند الإمام المجتبي (عليه السلام)، عزيز الله العطاردي.
- ١٤٧- مسند الإمام الشهيد أبي عبدالله الحسين (عليه السلام)، عزيز الله العطاردي.
- مسند الأمام علي (عليه السلام)، حسن القبانجي.
- ١٤٨- مسند زيد بن علي، زيد بن علي، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.
- ١٤٩- مسند فاطمة (عليه السلام)، عزيز الله عطاردي.
- ١٥٠- مسند فاطمة الزهراء، السيوطي، تحقيق أحمد زمرلي.
- ١٥١- مصنف ابن أبي شيبة في الحديث والآثار، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الكوفي العنسي (ت ٢٣٥هـ)، ط ١، دار الفكر، ١٤٠٩هـ.
- ١٥٢- المعارف، ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، حققه وقدم له دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م.
- ١٥٣- المعجم الأوسط، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ)، دار الحرمين للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٤١٥ هـ.

١٥٤- المعجم الصغير، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت -

لبنان.

١٥٥- المعجم الكبير، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠ هـ) تحقيق وتخريج حمدي

عبدالمجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي.

١٥٦- معجم المؤلفات الإسلامية في الرد على الفرقة الوهابية، عبدالله محمد علي، ط١، مركز الزهراء

الإسلامي، ١٤٣٠ هـ.

١٥٧- المغازي، الواقدي محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ)، نشر دانس اسلامي.

١٥٨- المغني في الضعفاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، منشورات

محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

١٥٩- مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد، محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦ هـ)، تحقيق ومراجعته

محمد بن اسماعيل الأنصاري، ط١، الرياض - مطابع الرياض.

١٦٠- المنتقى من روائع فتاوى المنار عز الدين بليق.

١٦١- منهاج السنة، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (٧٢٨ هـ)، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم،

دار أحد.

١٦٢- موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، عبد المنعم الحفني.

١٦٣- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، الدكتور عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، ط٢، مكتبة

الرشيد للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ١٩٩٥ م.

١٦٤- الموطأ، مالك بن أنس (١٧٩ هـ)، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

١٦٥- الموضوعات، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي (ت ٥٩٧ هـ)، ضبط وتقديم

وتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان، ط١، المكتبة السلفية المدينة المنورة، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

- ١٦٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٦٧- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق، دار الحديث، ط. ١.
- ١٦٨- النبي ومستقبل الدعوة، مروان خليفات، الطبعة الثانية، مركز الأبحاث العقائدية.
- ١٦٩- نصب الراية تخريج أحاديث الهداية، جمال الدين الزيلعي (١٧٦٢هـ)، ط١، دار الحديث - القاهرة، ١٤١٥هـ.
- ١٧٠- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، أبو عبدالله محمد بن جعفر الكتاني، ط٢، المصححة ذات الفهارس العلمية، دار الكتب السلفية للطباعة والنشر بمصر.
- ١٧١- النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، حققه وعلق عليه مسعود عبدالحميد السعدني محمد فارس، ط١، دار الكتاب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ١٧٢- النكت على مقدمة ابن الصلاح، الزركشي أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الشافعي (٧٩٤هـ)، المحقق د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، الطبعة الأولى، أضواء السلف - الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٧٣- نيل الأوطار، الشوكاني محمد بن علي بن محمد (٢٥٥هـ)، سنة الطبع ١٩٧٣م، دار الجيل بيروت - لبنان.
- ١٧٤- وسطية أهل السنة بين الفرق، الدكتور محمد باكريم محمد با عبدالله، ط١، دار الراية - الرياض، ١٩٩٤م.
- ١٧٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (٦٨١هـ) تحقيق، احسان عباس، دار الثقافة.
- ١٧٦- وركبت السفينة، مروان خليفات، مركز الغدير، ط٤، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ.

الفهرس

٧	كلمة المعهد
٩	مقدمة المؤلف
١١	المدخل
١١	معنى السلفية
١٣	لمحة عن السلفية
١٥	الفصل الأول: النصوص الحديثية
١٧	الحديث الأول: خير القرون قرني
١٧	المستدلون بالحديث
١٨	معنى القرن
١٨	نصوص معارضة
٢٤	في عمق الحديث
٢٧	دلالة الحديث
٢٨	الحديث الثاني: ما أنا عليه وأصحابي
٢٩	الذين استدلوا بالحديث
٣١	أسانيد الحديث
٣٥	مع الألباني
٣٧	اشكالات على الحديث

- ٤٢ الحديث الثالث: لا تزال طائفة.....
- ٤٢..... الذين استدّلوا بالحديث.....
- ٤٦..... مفهوم حديث (لا تزال طائفة).....
- ٤٧ شبهة سلفية.....
- ٤٩ الحديث الرابع: كتاب الله وستي.....
- ٥٠..... الذين استدّلوا بهذا الحديث.....
- ٥٠..... ملاحظات أولية.....
- ٥٢..... سند الحديث.....
- ٥٦..... الذين ضعّفوا الحديث.....
- ٥٩ الحديث الخامس: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر.....
- ٥٩..... الذين استدّلوا بالحديث.....
- ٦٠..... مناقشة السند.....
- ٦٥ الحديث السادس: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء.....
- ٦٥..... الذين استدّلوا بالحديث.....
- ٦٦..... وجه الاستدلال.....
- ٦٦..... نظرة أولية.....
- ٦٧..... الراويان الأساسيان.....
- ٦٧..... ترجمة العرباض.....
- ٦٨..... ترجمة عبد الرحمن بن عمرو السلمي.....
- ٦٩..... نظرة في أسانيد الحديث.....
- ٨٠..... في عمق الحديث.....
- ٨٧ الحديث السابع: لا تسبّوا أصحابي.....
- ٨٧..... الذين استدّلوا بالحديث.....
- ٨٩..... إحباط الأعمال.....
- ٩٣ الحديث الثامن: حديث حاطب (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).....
- ٩٤..... الذين استدّلوا بالحديث.....

- ٩٤..... الدنيا دار ابتلاء
- ٩٨..... تعارض حديث حاطب مع القرآن
- ٩٩..... الدليل الأول على التعارض
- ١٠٠..... الدليل الثاني على التعارض
- ١٠١..... الدليل الثالث على التعارض
- ١٠٢..... الدليل الرابع على التعارض
- ١٠٢..... الدليل الخامس على التعارض
- ١٠٤..... الدليل السادس على التعارض
- ١٠٥..... الدليل السابع على التعارض
- ١٠٦..... الدليل الثامن على التعارض
- ١٠٧..... الدليل التاسع على التعارض
- ١٠٨..... الدليل العاشر على التعارض
- ١٠٩..... الحديث خلاف السنة
- ١٠٩..... الدليل الأول
- ١٠٩..... الدليل الثاني
- ١٠٩..... الدليل الثالث
- ١١٠..... الدليل الرابع
- ١١٠..... الدليل الخامس
- ١١١..... الدليل السادس
- ١١١..... الدليل السابع
- ١١٢..... الدليل الثامن
- ١١٢..... الدليل التاسع
- ١١٣..... الدليل العاشر
- ١١٣..... الدليل الحادي عشر
- ١١٤..... الدليل الثاني عشر
- ١١٥..... الدليل الثالث عشر
- ١١٦..... الدليل الرابع عشر

- ١١٦..... الحديث يخالف التاريخ
- ١١٧..... إقامة الحدود على بعض البدرين
- ١١٨..... ابن المديني ينكر الحديث!!
- ١١٨..... ابن الجوزي يفسر الحديث
- ١١٩..... أحاديث ذات صلة
- ١١٩..... «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم»
- ١٢٠..... الله الله في أصحابي
- ١٢٢..... أصحابي أمانة لأمتي
- ١٢٧..... الفصل الثاني: حديث الحوض**
- ١٢٩..... حديث الحوض
- ١٢٩..... ألفاظ الحديث
- ١٢٩..... أمتي أمتي
- ١٣٠..... رجال منكم
- ١٣٠..... أناساً من أصحابي
- ١٣٠..... ممن صاحبني
- ١٣١..... طائفة منكم
- ١٣١..... حتى إذا عرفتهم
- ١٣١..... لأنازعن أقواماً
- ١٣٢..... أيها الناس ... جيء بكم زمراً
- ١٣٢..... ليرتدنّ أقوام بعد إيمانهم
- ١٣٢..... يؤتى بأقوام
- ١٣٣..... أنا فلان بن فلان
- ١٣٣..... من أصحابي من لا يراني
- ١٣٣..... شراح الحديث
- ١٣٤..... في عمق الحديث

- ١٣٦..... نقض تفسيره بأهل الكبائر
- ١٣٧..... نقض تفسيره بالمنافقين
- ١٣٨..... نقض تفسيره بالمرتدين
- ١٤٢..... قرائن وشواهد تفسر الحديث
- ١٤٢..... إشارة القرآن للارتداد
- ١٤٤..... ارهاصات الارتداد
- ١٤٦..... بعض من ارتد في حياة النبي
- ١٤٨..... معنى الارتداد
- ١٤٩..... إشارة القرآن للتبديل
- ١٥٠..... تحذيرات النبي
- ١٥٢..... شهادة من عمر
- ١٥٣..... شهادة أخرى لعمر
- ١٥٣..... شهادة من النبي
- ١٥٣..... شهادة أخرى
- ١٥٤..... النبي يشهد لأهل أحد فقط
- ١٥٥..... شهادة من عائشة
- ١٥٥..... شهادة أنس
- ١٥٦..... شهادة أبي الدرداء
- ١٥٦..... شهادة حذيفة
- ١٥٧..... شهادة أبي هريرة
- ١٥٧..... قرينة همل النعم
- ١٥٨..... شهادة أم سلمة
- ١٦٠..... شهادة البراء بن عازب
- ١٦٠..... شهادة أعين
- ١٦٠..... شهادة الغمانيين
- ١٦١..... تصديق الأمراء

- ١٦٣..... نماذج مما أحدثوا بعده
- ١٦٣..... الإحداث بالصلاة
- ١٦٧..... صلاة التراويح
- ١٦٨..... طلاق الثلاث
- ١٦٩..... تقديم الخطبة على الصلاة في العيدين
- ١٧٢..... إحداث معاوية أذان العيدين

ملحق..... ١٧٢.....

- ١٧٥..... مرجعية أهل البيت امتداد للمشروع السماوي
- ١٧٦..... حديث الثقلين
- ١٧٩..... تواتر الحديث
- ١٨٣..... شبهة سلفية
- ١٨٥..... ردّ الشبهة
- ٢٠٧..... المصادر
- ٢٢٣..... الفهرس